الاتجاه العربى والاسلامى

ودوره فى تحرير الجزائر

تأليف

د. نبيل أحمد بلاسى

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

الاخراج الفنى : ماجـدة البنـا

تصميم الغلاف : درية محمد علي

•• إهـــداء

الى روح أبي ، الى روح أمي ، الى روح خالي عبد الله سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشخصية الجزائرية العربية الاسلامية
وأهمية البحث

وصل تيار العروبة والاسلام الى الجزائر منذ القرن الأول الهجرى ، وقد وضح استجابة الجزائر لهذا التيار فى مظهرين هامين : أولهما اسلام صولات بن وزمار شيخ قبيلة مغراوة أشهر قبائل زناته ، ثانيهما الانتشار السريع للغة العربية بدليل ان أحد أفراد قبيلة نفراوة ــ الضاربة فى الجنوب الشرقى من الجزائر ــ وهو طارق بن زياد سجل عروبة وطنه منذ فجر تاريخهم الاسلامى فى خطابه الذى ألقاه بين جنوده قبل انطلاقهم لفتح الأندلس حاملين راية الاسلام (١) .

وقد اكتسبت الجزائر المقومات الأساسية لبناء مراكز الثقافة العربية التى أخذت تنتشر ويعلو شأنها سريعا فى شتى أرجاء الجزائر ، ففى الشرق الجزائرى ظهرت مدن : طبنه ، تاهرت ، المسيله ، القلعة ، وبجاية ، وفي الجنوب بسكره وورجله ، وفى الغرب وهران وتنس . وقد تبادلت هذه المراكز فيما بينها مشعل الثقافة العربية . كما حرصت هذه المراكز الثقافية على الاتصال بمراكز الثقافة العربية بالشرق العربى فاتصلت بالمدينة فى الحجاز ، والبصرة فى العراق ، محتكة بألوانهما الثقافية المتباينة ، ثم أخذت منهما ما يتفق وطبيعة الشخصية الجزائرية فمثلا راج بالجزائر المذهب المالكى الذى دعا اليه الامام مالك بن أنس فى المغرب عامة ، وفى الجزائر خاصة ، كما تركزت فى مدن بلاد الزاب الواقعة شرق الجزائر الحالية دراسات الفقه وعلوم الحديث والشريعة على المذهب المالكى ، وقد استهدفت هذه الدراسات تنظيم شئون

الجزائر ، وأحوال أهلها على هدى الفقه . والمعرفة المبنية على القرآن والسنة (٢) .

كما تميزت مراكز الثقافة العربية بافراز القادة الشعبيين من الفقهاء الذين وجهوا الناس الى جادة الصواب ، وجنبوهم الانحراف ، ودفعوا عنهم بلاء السلطة ، وتكون بذلك العصب الرئيسى للمجتمع المغربى ، والجزائرى خاصة ، وهو تقديس الفقهاء ، وتلمس الهداية والارشاد منهم . وقد عبر هذا الالتحام بين الفقهاء والشعب عن نجاح مراكز الثقافة العربية بالجزائر فى بناء وعى ثقافى سليم ، يستقى مقوماته من المصادر الأصلية (٣) .

واذا كان الفقهاء قد نالوا الاحترام من الشعب الجزائرى ، فان الشعب الجزائرى قد تضافر بجهده لبناء المساجد لتكون بمثابة مراكز لدراسة علوم الدين ، ومن أشهر المساجد التى لاتزال باقية فى الجزائر المسجد العتيق الذى يعد منبره أقدم أثر دينى اسلامى يرجع عهده الى سنة ٤٠٩ هـ ، وبنى أبو تاشفين الزيانى منارته سنة ١٣٢٣ م أما المسجد الجديد فيرجع الى سنة ١٦٦٠م حين تعاون البناءون والمهندسون الجزائريون والأتراك على بنائه على نمط مساجد استانبول ، ولايزال يوجد بهذا المسجد مصحف جميل الصنع أرسله أحد سلاطين الأتراك هدية الى باشا الجزائر ، وبقايا كرسى كان يجلس عليها المدرسون(٤) كما يوجد بالجزائر مسجد سفير الذى بناه صفر بن عبد الله أحد رجال باربروس سنة ١٥٣٤ م ، ثم جدده ووسعه بابا حسان باشا سنة ١٧٧١م ثم حسين باشا سنة ١٨٢٧ (٥) ، وأيضا مسجد على بتشنى الذى كان أحد قادة الأسطول الجزائرى ، وابتنى هذا المسجد سنة ١٦٢٣ م ، كما يوجد بالجزائر مسجد سيدى عبد الرحمن الثعالبى الذى ابتناه الحاج أحمد داى سنة ١٦٩٦ م .

كما تركزت حركة الثقافة والتعليم فى الجزائر فى ثلاثة حواضر اساسية هى مدينة تلمسان فى الغرب الجزائرى ، ومدينة بجايه ، ومدينة قسنطينه فى الشرق الجزائرى . وقد ازدهرت فى هذه الحواضر الآداب والفنون لعدة قرون ، كما اشتهرت بها بعض الأسر العلمية التى تقلب افرادها فى مناصب التدريس والافتاء ، والقضاء والامامة . وقد انحصرت مدارس الشعب الجزائرى فى هذه الحواضر ، وفى عدد آخر من الحواضر كمدينة الجزائر ووهران وبسكره (٦) .

وقد أشار الى بعضها الرحالة المغربى أبو الحسن الوزان ، فذكر

« ان بتلمسان خمس مدارس حسنة التصميم ، مزدانه برخارف الفسيفساء ، وانه شاهد في بجاية عددا آخر من المدارس ، كما شاهد في قسنطينه مدرستين • كما شيد صالح باى سنة ١٧٧٦ م مدرسة سيدى الكتانى لمختلف الفنون ، كما شيد نفس الباى مدارس أخرى في عنابه ، والقل ، وجيجل ، وكان يلحق بالمدرسة جامعا وكتابا ، ودار كتب • كما وجدت بمدينة الجزائر مدارس منها مدرسه القشاشيه التي أشار اليها أبو راس الناصرى (٧) •

اما الغرب الجزائرى فقد اهتم الباى محمد بن عثمان بتشييد دور العلم من مساجد ومدارس اذ بنى مدرسه في مدينه معسكر ، وأخرى في وهران ، وثالثه في مدينة مازونه ، الا أن أشهرها المدرسه المحمديه بمدينة معسكر التي أشار اليها المؤرخ أبو راس الناصرى في حديثه عن المدارس •

واذا كانت الشخصيه الجزائريه العربيه الاسلامية قد عرفنا بعض ملامحها من خلال عرضنا عن ثقافتها ومساجدها ومدارسها ، فان هذه الشخصيه قد لعبت أيضا دورا هاما في الجهاد من أجل عروبتها واسلامها ، وقد ظهر هذا الدور حينما بدأ عدد كبير من المهاجرين العرب في الأندلس في الفرار من الاضطهاد الأسبانى لهم ، والذى بدأ بعد سقوط غرناطه سنة ١٤٩٢ م • وقد شهدت هذه الفترة حربا بحرية طاحنه بين الجانبين تلخصت في تعقب السفن الأسبانية لسفن العرب الأندلسيين الفارين من محنه الاضطهاد المسيحى لهم صوب المغرب العربى، ومهاجمه السفن الأسبانية للسفن الحربية العربية ، ولشواطىء شمال افريقيا كلما أمكن ذلك ، اما على الجانب الاسلامى فقد انبرى أبناء شمال افريقيا في الدفاع عن سفن المهاجرين ، ووقف هجمات المسيحيين على أساطيلهم وموانيهم ، والرد على كل حادث يقع من جانب المسيحيين(٨) ، وقد لمعت من بين أسماء رجال البحر المسلمين في القرن السادس عشر أسماء مثل بابا عروج وأخيه خير الدين ، وكان الاخوان قد تعاونا في انشاء امارة مستقلة في جزيرة جربه اتخذاها قاعدة بحرية ، جمعا فيها المتطوعين ، وأعدا فيها السفن ، وطلب رجال القبائل الجزائريون من بابا عروج مساعدتهم في استرداد ميناء بجايه من أيدى الأسبان ، ونجح بابا عروج في استخلاص ميناء بجاية من براثن الأسبان ، كما نجح بابا عروج في سنة ١٥١٦ م في صد هجوم أسبانى على ميناء الجزائر • وسار على رأس قوة من ثمانمائة جندى نظامى ، وحوالى خمسة آلاف متطوع جزائرى ، في الوقت الذى ارسل اسطولا مسلحا بالمدفعية

ومحملا بالمجاهدين الجزائريين لمهاجمة الحصون الأسبانية على الساحل ، وتمكن بابا عروج من اقامة سلطان له على الشاطىء المواجه للجزيرة الخاضعة للأسبان (٩) ، وقد امتد حكمه الى تلمسان حيث قضى على حكم أسرة بني زيان .

وقد خشيت أسبانيا أن يقوم بالهجوم على وهران فجردت ضده حملة قوامها ١٥٫٠٠٠ مقاتل ، حاصرت تلمسان ، ورغم هذا تمكن بابا عروج من الفرار — من حصار الأسبان له — عبر الخطوط الأسبانية . الا أن الاسبانيين تمكنوا في النهاية من القبض عليه وقتله سنة ١٥١٨م بعد نجاحه في توحيد صفوف الشعب الجزائري في مواجهة العدو الاسباني .

وتحرج موقف خير الدين الذى كان يعرف ببربروسا بعد مقتل أخيه بابا عروج ، فطلب معونة السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٨ م فأمده بالفين من جنود الانكشارية ، وسمح له بتجنيد أهالي الأناضول نفسها حتى يتمكن من مواجهة الأخطار الاستعمارية (١٠) ، وقد استهل خير الدين الأعوام الأولى من حكمه في مواجهة الهجمات الأجنبية على البلاد الاسلامية ، وأصبح أسطوله في الحوض الغربي للبحر المتوسط وسيلته الفعالة في حربه ضد القوة الاسبانية بقيادة شارل الخامس ، وقد أفلح خير الدين في الاستيلاء على المنطقة الساحلية من الجزائر ، كما استولى على القلعة التى أقامها الاسبانيون على جزيرة مواجهة للساحل ووصل هذه الجزائر بالبلاد سنة ١٥٢٩ وأصبحت نواة لمدينة الجزائر الحالية .

عمل خير الدين على توحيد أقطار شمال أفريقية ، فاحتل تونس وطرد منها مولاى الحسن حليف الاسبان ، ولما استعادها الاسبانيون منه قام بهجوم مضاد على جزيرة ميورقة ، كما انتهز الامبراطور شارلكان فرصة انشغاله بعملياته البحرية ، وجرد على الجزائر حملة بحرية قوامها تسعة وعشرين ألف مقاتل من الألمان والايطاليين والاسبانيين وقادها بنفسه ، وقد تمكنت هذه الحملة من النزول بسهولة على الساحل ، وقد أدى سوء الأحوال الجوية عموما الى فشل الحملة وانسحابها (١١) .

والى جانب خير الدين ظهر مجاهدون آخرون من أمثال درغوت باشا، ومراد آغا ، والعلج الذين أدوا واجبهم كاملا في تحرير الجزائر ، وأفلحوا في تحرير تونس ، وطرد الاسبانيين من طرابلس ، وقد وقفت سفنهم مع سفن الدولة العثمانية في معركة ليبانتوسنة ١٥٧١ م ، التى قتل فيها درغوت باشا أمير البحر ، والتى شارك فيها العلج كقائد لميسرة الأسطول

العثمانى . وقد تمكن هذا الأخير من قطع يد الأجانب فى تونس ، بعد أن قطعوا لحية تركيا فى موقعة ليبانتو ، وقد علق على ذلك الموقف الصدر الأعظم فى حديثه الى سفير البندقية بقوله (١٢) : « ان اللحية تنمو ، أما اليد المقطوعة فتظل دائما بتراء » .

لقد عمل هؤلاء القادة على توحيد أقاليم المغرب الكبير ، وقواه الحربية ، وذلك بايجاد روابط مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ، وكانت عمليتهم عملية جهاد اسلامى (١٣) ، ضد القوى الاستعمارية التى حملت راية المسيحية .

وترجع أهمية البحث التالى ، الى أن الادارة الفرنسية فى الجزائر كانت تحاول مسح الثقافة العربية الاسلامية التى كانت لاتزال حية بين علماء الدين المسلمين ، وحينما أرادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحياء الثقافة العربية الاسلامية فى الثلاثينيات جوبهت بمعارضة شديدة من قبل الادارة الفرنسية تحت ستار الادماج والمشاركة ـ بفضل تمسكها بالدين الاسلامى ، واعتزازها بشخصيتها العربية .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

صدق الله العظيم

الباب الأول

الاتجاه العربى والاسلامى ودوره
فى الاحتفاظ بالشخصية الجزائرية

الفصل الأول

مقاومة العروبة والاسلام لعملية الغزو الفرنسي للجزائر

اكتفت فرنسا فترة من الزمن باحتلال النقاط الساحلية ، محاولة فرض سيادتها على المناطق الداخلية بالجزائر عن طريق شيوخ ورؤساء القبائل ، ولكن فرنسا فشلت في محاولتها نتيجة مقاومة الوطنيين الجزائريين لتوغل النفوذ الفرنسي داخل بلادهم (١) .

وقد جابه الفرنسيون بعد احتلال الجزائر نمطين من المقاومة :

أولا : النمط السياسي للمقاومة :

وقد دخل هذا النمط في خصومة مع الاستعمار الفرنسي بسبب عدم احترام الأخير للحياة الاجتماعية الجزائرية ، وسوء معاملته للوطنيين الجزائريين واستيلائه على أراضيهم وممتلكاتهم ، واحتلال مساكنهم وممتلكاتهم وزواياهم ، وتحصيل أموال الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين لصالح الخزينة الفرنسية ، وتسبب الاستعمار الفرنسي في غلق المدارس والقضاء على الندوات العلمية (٢) . كما كان من أسباب خصومه هذا النمط مع الاستعمار الفرنسي زج السلطات الفرنسية لغير المتعاونين معها في السجن تحت أية دعوى ، وايغال السلوك الفرنسي في الوحشية التي وصلت الى حد ذبح القبائل البريئة كحادث قبيلة العوفية على عهد الدوق روفيجو ، وأخذ الرهائن من مرابطي القليعة (٣) .

وقد اتبع هذا النمط اسلوب الشكوى والتذمر ، ومخاطبة الرأى العام ، والكشف عن مساوىء الحكم الفرنسي في الجزائر ، وازاء ازدياد

نشاط النمط السياسي للمقاومة نفت السلطات الفرنسية العناصر الخطرة منهم خارج الجزائر ، ونقل حزب المقاومة السياسية نشاطه الى باريس ، وصعد المنفيون جهودهم الى حد عقد المؤتمرات الصحفية ، والاستجوابات والرسائل الشخصية ، والعرائض الرسمية ، وكانوا يبغون من وراء ذلك جلاء جيش الاحتلال الفرنسي ، والاعتراف بالكيان الجزائري ، وقد أسفرت جهود حزب المقاومة السياسية في صيف سنة ١٨٣٣ عن تحرك البرلمان الفرنسي وظهور لجنة التحقيق الافريقية التي خيبت آمال الفريق الذي يرفض التعاون مع الفرنسيين للاختلاف الجنسي ، والحضاري ، وقد تزعم هذا الفريق حمدان عثمان خوجه الذي طرد من الجزائر في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣٦ .

ومن مظاهر مقاومة العروبة والاسلام للغزو الفرنسي للجزائر شخصية المداح الذي كان يردد أشعاره الحماسية في المقاهي والأسواق العامة (٤) ، وقد أثارت أشعاره حماسة الشعب الجزائري الذي هب لمقاومة الاحتلال الفرنسي بكل الوسائل التي تفتقت عنها أذهان الجماعات التي قادت حركات المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين .

ثانيا : النمط العسكري للمقاومة :

وينقسم هذا النمط الى مقاومة شعبية دينية غذتها الجمعيات الدينية وقد اعتنق هذا النمط مبادىء : الجهاد ، الأرض ، الشرف ، الوطن وتولاها مرابطون ورؤساء قبائل منهم الأمير عبد القادر . ومقاومة حكومية قام بها رجال الادارة العثمانية واعتنق هذا النمط مبادىء : الجهاد ، والذود عن التقاليد وأشهر من تولاها سياسيا الحاج أحمد باي قسنطينة ، هذا بالاضافة الى بقايا المقاومة المتفرقة للغزو الفرنسي الذي زحف على الواحات وبلاد القبائل (١٨٥١ ــ ١٨٥٨) ، وكذلك الثورات مثل ثورة سنة ١٨٧١ .

١ ــ الأمير عبد القادر

لم يكن الطريق أمام فرنسا ممهدا عند احتلالها للجزائر ، مما أدى الى اكتفائها باحتلال النقاط الساحلية ، الا أنها حاولت بسط نفوذها على داخل البلاد عن طريق شيوخ العرب ورؤسائهم ولكنها فشلت في ذلك نتيجة لمعارضة الجزائريين لتوغل النفوذ الفرنسي الى الداخل مما أدى الى تصاعد المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين . وكانت وهران تعتمد في مقاومتها للغزاة الفرنسيين على قواها الشعبية تارة ، وتارة أخرى على

معونة سلطان مراكش لها (٥) الذى تعرض لضغط من فرنسا بهدف وقف تأييـــده للمقاومة ، فكان أن أجمعت الارادة الشعبية ممثلة فى البربر والعرب الذين اجتمعوا تحت شجرة الدردارة بوادى فروجة من غريس(٦) على انتخاب عبد القادر أميرا عليهم وذلك لقيادة حركة المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين ٠

وقد بدأ الأمير عمله بمراقبة القبائل النازلة حول المراكز الفرنسية وبواسطة الوعظ الديني تارة ، وبالتلويح بالقوة تارة أخرى تمكن الأمير من الزامها بعدم تموين الغزاة ، ولما اكتملت لعبد القادر وحدة الصف بعد اخضاعه لبلاد البربر ، وزناته وسـحقه القبائل المتمردة كقبائل عكرمة وبنى مديان شرع فى مواجهة الخطر الفرنسى ومحاربته (٧) ، وكان الأمير يرمى أن يحاصر الفرنسيين ، ويضيق عليهم الخنـــاق ، ويمنع عنهـم التموين ، لذلك أذاع فتوى بأن كل من ساعد الفرنسيين مرتد عن دينه وأطلق على القبائل الخاضعة للفرنسيين اسم المتنصرة ٠ ولما فشل حاكم وهران فى استمالة القبائل لمده بحاجته من التموين ، ثم ادراك حاكم وهران ان خطط عبد القادر تقوم على : المباغتـــة وعدم مواجهة الفرنسيين فى الميدان المكشوف فتر حماسه ، ووقع مع عبد القادر معاهدة دي ميشيل في ٢٦ فبراير سنة ١٨٣٤ ، وفيها اعترف الفرنسيون بسيادة الأمير على غرب ووسط الجزائر ، كما اشتملت هذه المعاهدة على مواد تتعلق بامداد الأمير بالســـلاح ، والتجارة ، وتبـــادل الأسرى ، والعملة والتبـــادل القنصلى (٨) ٠

ولم يمض من العام الثانى على توقيع المعاهدة الا بضعة أشهر حتى أعلنت فرنسا الحرب على عبد القادر ، وتمكن الأمير من هزيمتهم هزيمة ساحقة فى معركة المقطع (٢٠ مايو ســـنة ١٨٣٥) وقد برهنت معركة المقطع على أن عبد القادر خصـــم ينبغى أن يحسب حسابه (٩) ٠ وقد ترتب على معركة المقطع اصدار حكومة باريس قرارا باحتلال معسكر حتى تجبر عبد القادر على التسليم (١٠) ، واختارت لهذه المهمة قائدها كلوزيل الذى سار فى شهر فبراير بقوة مكونة من ١١٫٠٠٠ جندى الى مدينـــة معسكر ، عاصمة عبد القادر بهدف احتلالها ، وما ان دخلها الفرنسيون فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٣٥ حتى وجدوها مدينـــة مهجورة ، اذ سبقهم عبد القادر فى اخلائها ، ولكن الفرنسيين رحلوا عنها فى ٩ ديسمبر الى مستغانم كما أعلن المارشـــال كلوزيل ، وقد فسر هذا الرحيـــل بانه انسحاب ، وضاع تبعا لذلك النجاح الذى صادفته الحملة (١١) ٠

ولم تمض بضعة أيام على دخول الفرنسيين معســـكر حتى جاءت

أنباء هزيمة عبد القادر مرة أخرى للقوات الفرنسية في سيدى يعقوب ، حيث قتل منهم : أربعين ، وجرح ثلاثمائة من بينهم قائد حامية وهران ذاتها • ولم يكن فشل الجنرال كلوزيل هو الضربة الوحيدة التى تلقاها الفرنسيون • اذ شهد عام ١٨٣٦ هزيمة أخرى لكلوزيل وذلك عندما حاول التخلص من أحمد باى قسنطينة

وقد لاحظ الفرنسيون صعوبة محاربة الجزائريين في جبهتين مختلفتين ، لذلك فكروا في مهادنة الأمير عبد القادر بابرام معاهدة التافنة (١٢) معه حتى يتفرغوا لتصفية المقاومة التى يقودها أحمد باى قسنطينة •

٣ ـ تصفية جبهة قسنطينة :

اقترح كلوزيل في سنة ١٨٣٦ على حكومة باريس ارسال حملة للاستيلاء على قسنطينة ورغم موافقة الحكومة على هذا الاقتراح ، الا أن الوزارة سقطت وجاءت وزارة أخرى غيرت من استعدادات الوزارة لتنفيذ هذا المشروع (١٣) •

وقد ذكر كلوزيل في احياء فكرة الحماية على قسنطينة ، خاصة وان الفرنسيين كانوا يحتلون عنابه منذ سنة ١٨٣٢ وانتهى الأمر الى تجريد حملة على قسنطينة مكونة من ٧٫٤٠٠ جندى و ١٫٣٠٠ حصان ، وكانت مدفعيتها وذخيرتها محدودة • وقد وصلت الحملة الى قسنطنية يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٣٦ وسط ظروف سيئة • وما ان وصلت الحملة أمام قسنطينة حتى استقبلتها مدفعية المدينة بقذائفها (١٤) • وفشلت الحملة في اقتحام المدينة نظرا لحصانتها ، واضطرت للانسحاب ، وقد طاردها جيش أحمد باى الى قالمة . كما غنمت قواته غنائم كثيرة من الفرنسيين •

وأدى هذا الانتصار على الفرنسيين الى ارتفاع معنويات الأهالى وارسال الفرنسيون النجدات الى عنابه ، ثم اعفاء كلوزيل من القيادة وحل محله في القيادة دامريمون في فبراير سنة ١٨٣٧ ، وأخذ الفرنسيون يستعدون لجولة أخرى ضد قسنطينة بهدف محو هزيمتهم السابقة في « عقبة العشارى » ، ومن ثم فانهم هادنوا الأمير عبد القادر بعقدهم معاهدة التافنة معه ليتفرغوا لجبهة قسنطينة ، وقبل الهجوم على قسنطينة ، قاموا بالتفاوض مع الحاج أحمد ، الا أن المفاوضات التى قادها يوسف بوشناق مندوب الفرنسيين اخفقت • وهاجم الفرنسيون قسنطينة يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٧ في السابعة صباحا بثلاث طوابير

اقتحمت الفتحات التى أحدثتها ضرب المدفعية الفرنسـية فى أسـوار المدينة ، واصطدمت فرق الاقتحام الفرنسية بمقاومة ضـارية من قبل الأهالى الذين أخذوا فى اطلاق الرصاص على الغزاة الفرنسيين ، واستمر الالتحام فى شوارع ومنازل قسنطينة حتى تمكن الفرنسيون من احتلال قشلاق الانكشارية والقصبة ، رغم مصرع قائدهم داميمون أثناء القتال ، وتولى فالى القيادة ، وقد أدى احتلال القوات الفرنسية لقشلاق الانكشارية والقصبة الى ضعف مقاومة مدينة قسنطينة ، ثم توقف هذه المقاومة بعد تطهير منازل المدينة (١٥) .

٣ ـ القضاء على عبد القادر :

تعمدت فرنسا اثارة المشاكل بينها وبين عبد القادر بمجرد احتلال مدينه قسنطينة وطلب الماريشال فالى اعادة النظر فى معاهدة تافنه ، ولكن عبد القادر رفض ذلك (١٦) ، وكان فالى الحـاكم العـام للجزائـر سنة ١٨٣٧ يرى فى ازدياد قوة عبد القادر خطرا يهدد البقاء الفرنسى فى الجزائر ، ولما كان من أنصار الاحتلال الشامل ، فانه تعمد اثارة المشاكل مع عبد القادر ، واستجابة لرغبة فالى رفضت حكومة باريس التفاوض مع الوفد الذى أرسله عبد القادر فى أى مسالة سياسية .

ولما أيقن عبد القادر اخفاق مساعيه السلمية ، وتصميم الفرنسيين على خرق معاهدة التافنة جمع مجلس شوراه فى « تقدمت » فى شـهر يوليو سـنة ١٨٣٩ وطـرح عليه محـاولات فرنسـا خرق معاهـدة التافنة ، وكانت النتيجة ابادة الأفواج الأولى من المستوطنين الذين استقروا فى سهل المتيجة ، واستسلام بعض الحاميـات الفرنسـية فى المناطق الداخلية ، وأسفر هجوم عبد القادر عن زحزحة الفرنسيين عن مواقعهم العسكرية ، وانحسار نفوذهم عن المنطقة الداخلية ، وتركزة فى المنطقة الساحلية ، كما أخليت مدينة الجزائر من السكان الأوربيين ، ولم يتمكن فالى على الرد على هجوم عبد القادر الا بعد وصول المدد من فرنسـا ، اذ أرسلت اليه الحكومة الفرنسية نجدة مكونة من ١٢٫٠٠٠ جندى ثم زادت قواته بعد أشهر قلائل الى ٦٠٫٠٠٠ جندى (١٧) ، وتمكن فالى من ارسال الحملات الى شرشال ، وميديه ، ومليانه وذلك فى ابريل سنة ١٨٤٠ ، ولكن قوات عبد القادر عادت لتطويقهم من جديد .

كما فشلت خطة الفرنسيين فى اقامة حاميات فى المناطق الداخلية لأن ذلك كان يستلزم تأمين وصـول قوافل الامدادات اليها عن طـريق السيطرة على الطرق التى كانت تتعرض دائما لهجمات الجزائريين الذين

كبدوا الفرنسيين خسائر فادحة فى العـام الأول للحرب ، وأدت هذه الخسائر الى عزل الجنرال فالى الحاكم العـام وتعيين الجنرال بيجو فى منصب الحاكم فى الثانى والعشرين من فبراير سنة ١٨٤١ (١٨) .

وضعت الحكومة الفرنسية تحت تصرف بيجو امكانيات لم يحصل عليها من قبل أى حاكم عام اذ بلغ عدد جيشه ١٠٨ ألف جنـدى فى سنة ١٨٤٧ ، أى ما يوازى ثلث الجيش الفرنسى ــ وقد اتبع بيجو اسلوب الرازيا (الابادة) فى اتلاف مزروعات الجزائريين وتحطيم قراهم ــ دون مراعاة الاعتبارات الانسانية (١٩) . حتى يقهر الجزائريين وكانت النتيجة تساقط مراكز ومدن الأمير واحدة بعد الأخرى ، وكان آخرها حامية تقدمت التى سقطت فى أوائل ١٨٤٢ مما اضطر عبد القادر الى جمع أنصـاره فى شبه مدينة متحركة سميت « زمالة عبد القادر » .

وانخفضت معنويات الأمير عبد القادر بعد حادث الزمالة التى وقعت فى قبضة الدوق دى مال Ducdumal ، وتلى ذلك النكبات التى حلت بمساعديه الذين لم يكملوا المهام التى كلفهم بهـا عبد القادر لأنهم : اما وقعوا فى الأسر ، أو قضوا نحبهم فى قتال الفرنسيين وبذلك فقدت دولته التماسك .

وقد عرض بيجو على عبد القادر الاستسلام مع السماح له بالذهاب الى الاستانة للاقامة فيها ، ولكن عبد القادر آثر اللجوء الى المغرب ، والبقاء فيها ريثما تتاح له فرصة استئناف المقـاومة من جـديد . ولم يسترح الفرنسيون لوجود عبد القادر بالمغرب ، فضغطوا على سلطان المغرب ، ولوحوا له باستخدام القوة ، وبالفعل احتل لامورسيير La moricière المراكز الواقعة على الحدود مثل سيدو ، ولا للامغنية .

وقد أدت حوادث الحدود الى اشتباكات مع قبائل بنى سـناسن ومطير ، ثم الى اندلاع الحرب بين فرنسا والمغرب التى أدت فى النهاية الى هزيمة المغرب ، بينما ضرب أمير جوانفيل Le Prince de Joinville طنجة وموجادور بالقنابل ، وطلب من الحكومة المغربية اعتبار عبد القادر خارجا على القانون (٢٠) وبعد تسعة أيام أوقف القتال ، وذلك بعد تدخل قوة من الأسطول الانجليزى (٢١) .

وقد ترتب على هذا الضغط العنيف على سلطان المغرب اجبار الأخير على اجراء تخطيط جديد للحدود المغربية الجزائرية ، والكف عن مساعدة عبد القادر ، مما اضطر الأخير الى العودة للجزائر ، واستئناف القتال فى سبتمبر سنة ١٨٤٥ .

وكان لعودة الأمير عبد القادر صدى كبيرا فى الجزائر ففى ثمانية أيام انتشرت الثورة فى جنوب وهران ، كما اتصـــل عبد القادر بزعماء الجمعيات الدينية الثائرة ، ونسق فيما بينهم ، ولكن فرنســـا صفت ثورات الجمعيات الدينية بطريقة الرازيا (الابادة) ثم تفرغ الفرنسيون لجبهة الأمير ، فحشدوا لها خمسين ألف جندى (٢٢) ، ولكن عبد القادر تراجع الى الحدود المغربية للاقامة مع بقية القبائل الموالية له ، ولكنه وجد نفسه محاصرا بالعداء من الفرنسيين أعدائه التقليديين ، وسلطان مراكش الذى هاجمه بجيوشه ، وهزمه فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٤٧ • ولم يجد عبد القادر بدا من التســليم ، بشرط أن تتعهــد احــدى الشخصيات الفرنسية الكبيرة بترك حرية الهجرة له ولمن شاء من رجاله الى الاسكندرية أو الى عكا ، ومن دراستنا الى شخصية عبد القادر نلمس أن عبد القــادر تزعم الاتجاه العربى والاسلامى الذى قاوم الغزو الفرنسى للجزائر ، وكان يعرف على أنه أمير المؤمنين ، ولم يعـــرف على أنه ملك الجزائر حتى أن الفرنسيين أطلقوا على الجزائريين اسم Les Arabes لا اسم الجزائريين لأن الروح القومية بين الجزائريين لم تكن قد تبلورت بعد فى ذلك الوقت، كما أظهر مسلك عبد القادر فى الحكم على انتهاجه الخط العربى الاسلامى ودليلنا على ذلك ثمة شواهد منها :

(أ) المكاتبات التى دارت بين عبد القادر والفرنسيين والتى اعتبر فيها عبد القادر أمير المؤمنين وحامى المسلمين (٢٣)

(ب) قول عبد القادر « اننى لا أحمل من قلبى الا رغبة واحدة هى سعادة المسلمين وصالحهم وتقدمهم » •

(جـ) لم يجمع عبد القادر من شــعبه ســوى ضريبتين : الزكاة والعشور وهما ضريبتان شرعيتان هـــذا فضلا على اطلاقه اسم الخليفة على نوابه الذين حكموا الأقاليم التى تخضع لنفوذه وفى هذا دليل على مسلكه الاسلامى •

(د) وصفه لنقض بيجو معاهدة التافنة بأن هذا النقض جاء من ناحية المسيحيين •

(هـ) وصف عبد القادر للادارة الفرنسية للأراضى المحتلة الجزائرية بأنها مسيحية (٢٤) •

وبالاضافة الى عامل الدين نجد القوة الفتية لعبد القادر ممثلة فى جيشه الذى بلغ عدده ـ فى احدى الأوقات ـ خمسة عشر ألفا وثلاثمائة

جندى قسمهم الى خيالة ، ومشاه(٢٥) ، ومدفعية ، وكان وسيلته فى توحيد صفوف القبائل خلف حركته ٠

٤ ـ مقاومة العـروبة والاسـلام للغزو الفرنسى للواحـات وبلاد القبائل:

بعد تصفية فرنسا لجبهة الأمير عبد القـادر ، ولجبهة قسنطينة ، انحصرت المقاومة الجزائرية فى الواحات وبلاد القبائل ٠ وقد سـجلت بعض الواحات بطولة خارقة فى مقاومة الغزاة الفرنسيين الزاحفين عليهـا مثل الزعاطشة (٢٦) ، وكان يحكمها بوزيان أحد مشايخ الطرق الصوفية ، الذى رفض الرضوخ لأوامر السلطة الفرنسية بالغاء ضريبة النخيل مورد الواحـة الرئيسى ، وقد أغلق بوزيان الواحـة فى وجـه ممثلى السلطة الفرنسية التى دفعت بقوة قوامها ٧ آلاف جنـدى تحت قيادة الجنرال دى هربيون ، وقد دام حصار القوة الفرنسية للواحة أربعة أشهر دافع خلالها السكان عن واحتهم دفاعا حارا رغم احتراق منازلهم بما فيها من سكان ، ولكن قوات دى هربيون تمكنت من اقتحامها ٠

اما جبهة القبائل فقد كان على السلطات الفرنسية ان تمهد الطرق فيها قبل أن تفكر فى غزوها ، وفى سنة ١٨٥٦ قرر الجنرال راندون أحد قادة الجيش الفرنسى احتلال منطقة القبائل بعد وصول نشاط مندوبى الجمعيات الدينية ، وأعد حملة مكونة من ٢٧ ألف جندى كان من بينهم عدد كبير من الجزائريين ، وقد انطلق بعضـهم من حصن تيزى وزو ، والبعض الآخر من جهة البحر ٠ وفى ٢٥ مايو سنة ١٨٥٧ سلمت جماعة آيت راتن وكانت من أقوى الجمـاعات البربرية فى جرجـرة ٠ كمـا استسلمت لالا فاطمة زعيمة قبيلة اليلتن فى ١١ يوليو سنة ١٨٥٧ بعد معارك دموية ٠ ويعتبر استسلامها نهاية لمقاومة القبائل الضاربة ، الا أن انتفاضة كبرى عكست روح التمرد والرفض الجزائرى للاحتلال الفرنسى قد تصاعدت فى سنة ١٨٧١ ٠

٥ ـ ثورة سنة ١٨٧١ :

كان لهذه الثورة التى قامت بقيادة المقرانى فى أوائل سنة ١٨٧١ مقدمات ، منها عدم اقتناع الجزائريين حتى الذين يصدقون فى الأساطير الفرنسية التى كان الفرنسيون يحكونها للجزائريين بأنهم معصومون من الهزيمة وذلك بعد سقوط فرنسا أمام القوات الألمانية التى اجتاحت فرنسا

بعد موقعة سيدان في سنة ١٨٧٠ ٠ ولما لاحظ الجزائريون الاضطرابات التي قامت عقب أحـــداث مجلس بلدى باريس ، وســـقوط الامبراطورية الثانية ـ شرعوا في سنة ١٨٧٠ في تنظيم الشرطة الوطنية الخاصة بالثورة، والأتفاق على كلمة السر التي ســتتداول أثنــاء الثورة ٠ واخذت لجـان الشرطة في ادارة الجزائر محليا (٢٧) ، وبالاضافة الى لجان الشرطة التي كانت تدعوا الى الثورة واخبار هزيمة الفرنسيين ، كان هناك تمرد جنود الصبائحية الجزائريين الذى حدث في يناير سنة ١٨٧١ ٠ وقد شـارك المتمردون الشعب ، واغتالوا ضباطهم الفرنسيين ، وطالبوا بالاســتقلال مرددين أن باريس قد سـقطت في يـد البروســيين وان محى الدين (ابن الامير عبد القادر) سيأتي من تقطة « ان الجزائر ستثور كلها ، وان هذه فرصة فذة لطرد الفرنسيين (٢٨) » ٠

وجاء الأمير محى الدين بن عبد القادر من الشرق وأخذ في الاتصال بالجزائريين ورؤسائهم ، ودعاهم الى الجهاد ، وأخذت الثورة في الانتشار في الجزائر خاصة في المناطق الشرقية ، والجبلية الواقعـة الى شرق مدينة الجزائر ، وشارك فيها المحاربون الجزائريون ، ورجـال الطرق الصوفية تحت راية الجهاد (٢٩) ٠

وقد زاملت هذه التطورات الثورية ، دعاية دينية وطنيـــة ثورية قام بها الشيخ محمد بن الحداد شيخ الطريقة الرحمانيـــة المشهورة في منطقة القبائل (٣٠) والذى عد عقل الثورة المفكر الذى أعلن الجهاد ، ونادى الجزائريين الى السلاح قائلا : « ان يوم الخلاص قد حان » ، وقام أتباعه بالدعوة الى الجهاد ضد الفرنسيين في المساجد ، والأماكن العـامة ، والأسواق والمقـاهى (٣١) ، وفي خلال بضعة أسابيع ساهمت جهة القبائل وحدها بمائة وخمسين الف رجل ـ وكان الزعيم العسكرى لهذه الثورة الحاج المقرانى قد نال شعبية ضخمة نتيجة مساعدته للفلاحين خلال المجاعة التي حدثت في سنة ١٨٦٧ ٠ وكان يتوقع الحصول على مساعدات عسكرية من الأمير عبد القادر ، ومن الدولة العثمانية ومن تونس ، الا أن شيئا من هذا لم يحدث ٠ وعلى الرغم من النجاح الذى أحرزته هذه الثورة في البداية نتيجة لسوء الأحوال في فرنسا الا انها لم تدم طويلا لأن بسمارك رأى أن يخفف وطأة الهزيمة على فرنسا ، فاطلق سراح عدد كبير من الأسرى لقمع الثورة المشتعلة في الجزائر ، ثم جـــاء مصرع المقرانى في ٢ مايو سنة ١٨٧١ في معركة وادى سفله ــ التي ثبت فيها الجزائريون حتى النهاية ، ولكن المدفعية الفرنسية قررت نتيجتها (٣٢)

بداية النهاية بالنسبة لهذه الثورة فقد خلفه : أخـــوه بومزراق ، وعزيز بن الشيخ الحداد ٠

وواصل المجاهدون الكفـــاح ، وتحصنوا في الجبـــال ، ولكن الفرنسيين واصلوا الهجوم والقضاء على الثورة بكل الوسائل مما اضطر بومزراق الى التقهقر جنوبا صوب توجرت وورجلة ، وتتبعه الفرنسيون، وقامت الامدادات والأقوات في أيدى المجـــاهدين ، الذين انتشروا في الصحراء ، وحاصرهم الفرنسيون وتمكنوا من أسر أبي مزراق وجماعة من رجاله بعد أن سقطوا من الجوع والعطش في ٢ يناير سنة ١٨٧٢ ٠ وقد عملت هذه الثورة على اذكاء نار الوطنية العربية والتضامن الاسلامى بين الجزائريين ضـــد الفرنســيين الذين عمدوا الى الانتقـــام من الجزائريين (٣٣) ٠

ورغم اخمـاد الفرنسيين لثورة ١٨٧١ فان الروح الجزائرية التى كانت تميل الى الاستقلال عادت للظهور في شـــكل انتفاضـــات ضد الاستعمار الفرنسى ومن أهم هذه الانتفاضات : ثورة أولاد سيدى الشيخ في جنوب الجزائر والتى وقعت سنة ١٨٨١ تحت زعامة الشيخ بوعمامة الذى بدأ ثورته في ١٩ يناير سنة ١٨٨١ بمهاجمة المراكز العســكرية الفرنسية ، وتمكنه من هزيمة وقتل وينبر ينر القائد الفرنسى ٠ وقد امتدت ثورة بوعمامة الى وهران ، ومنطقة الصحراء والهقار واســتمرت ثلاثة وعشرين عاما (١٨٨١ ـ ١٩٠٤) ناضل خلالهــا الشيخ بوعمامه بشجاعة وثبات ، وقد تمــكن الفرنســيون من تصفيتها عن طريق : الحيلولة دون تسلل بوعمامه الى المنـــاطق السكانية في الشمال ، تفوق الفرنسيون في السلاح خاصة المدفعية واغلاق الحدود المغربية في وجه بوعمامه ، وهذا بالاضافة الى شيخوخته وقد ساهمت كل هذه العوامل السابقة في تصفية هذه الثورة (٣٤) ٠

الفصل الثانى

مقاومة العروبة والاسلام لعملية الاستعمار والاستغلال الفرنسى للجزائر

١ ـ الاستغلال الفرنسى للأراضى والفلاح الجزائرى :

استولى الفرنسيون فى البداية على أملاك الجنود الأتراك ، وعلى أرض الجزائريين المحاربين فى المتيجة وأخذت فكرة الاستعمار تتبلور (١) ، واستقر فى الأرض الجزائرية عدة مستعمرين ، ثم أخذ الفرنسيون يقدمون من فرنسا على نية الاستعمار ، فكانت الادارة تمنحهم الأرض لاستعمارها وأصبحت قرى القبة ، ودلل ابراهيم ، وبوفاريك أول مراكز الاستعمار الفرنسى ، ثم أخذ المستعمرون يتقدمون فى المتيجة الى أن أشعل عبد القادر الحرب العامة على الفرنسيين فحطم الجزائريون مراكز الاستعمار بالمتيجة وأخفقت المحاولة الأولى (٢) .

وحتى تستغل فرنسا الأرض الزراعية الجزائرية ، نهج الفرنسيون على ارغام الجزائريين على هجرة أراضيهم الخصبة فهذا المارشال بيجو Bugeaud ـ الذى تبنى سياسة احتلال الجزائر بالسيف وبالمحراث (٣) ـ يعلن أمام البرلمان الفرنسى فى ١٥ يناير سنة ١٨٤٠ بانه لم يجد وسيلة فعالة لاخضاع الجزائريين غير مصادرة أملاكهم الزراعية (٤) ، وان سياسته كرجل عسكرى ستتركز على اعطاء المستوطنين الفرنسيين فرصة الاقامة فى كل مكان توجد فيه مياه دون اعتبار للمالك الأصلى لتلك الأراضى (٥) ، واستطرد قائلا : ان مهمة الجيش الفرنسى هى منع العرب من زراعة وحصاد محاصيلهم (٦) .

وقد أمر بيجو باشتراك القوات المسلحة الفرنسـيـة مع حركة الاستيطان في استغلال الجزائر ، وانشـاء القرى الجديدة للمستوطنين القادمين من أوربا ، كما شجع الوحدات العسكرية الفرنسية على زراعة الأراضي المجـاورة لمعسكراتهـا (٧) واقترح بيجـو تملك المستوطنين العسكريين لأغلبية الأراضي التي تستولى عليها الحكومة في الجزائر ، وتشجيعهم على الزواج من فرنسـيات والاسـتقرار في الجزائر حيث يهيأ لهم وسـائل الاسـتقرار من مسكن ومال ، وحبوب ودواب تلزم للزراعة (٨) ، كما رسم بيجو مشروع لتوطين مائة الف فرنسي بيد أن هذا المشروع الذي اقترحه بيجو على البرلمان الفرنسي سـنة ١٨٤٤ قد واجه معارضة النواب الفرنسيين ، كما صادر بيجو بموجب قانون أصدره سنة ١٨٤٥ نصف مليون هكتار من أراضي القبائل التي شـايعت الأمير عبد القادر ، وقاومت الغزو الفرنسي ، كما ادخل أراضي العرش ضمن الأراضي الأميرية ، وأصبح في وسع الحكومة الاستيلاء عليها مالم تثبت القبائل الجزائرية ملكيتها لها قبل سنة ١٨٣٠ (٩) ، كما كرر بيجو طرح نفس المشروع سنة ١٨٤٧ ، ولكنه واجه نفس معارضـة النواب لتدخل الحكومة الفرنسية في توجيه الاستعمار والاستيطان ٠

ولم يقيض لمشروعات الجمهورية الثانية النجاح بسبب : قلة عدد العمال الذين نقلوا من فرنسا الى القرى الجزائرية ، وعدم قدرة هؤلاء العمال على التحول الى العمل الزراعي ٠

(أ) نابليون الثالث والجزائر :

سارت سياسة نابليون الثالث NAPDLEON III في الجزائر على محورين ، المحور الأول: هو تسليم السلطة الى مجمـوعة العسـكريين بالجزائر ومن مظاهر ذلك تعيين الجنرال راندون Randon (١٨٥١ — ١٨٥٨) حاكما عاما على الجزائر ، المحور الثـاني : المساعدات التي تقدمها الحكومة الفرنسية : وحتى يمتص نقمة الجاليـة الأوربية اتفق نابليون الثالث مع الحاكم العام للجزائر على تقديم المساعدات اليها ، فكان أن بعث الحاكم العام بتعليمات الى ولاته بمنح كل مستوطن مجانا قطعة من الأرض مساحتها خمسون هكتارا ، ولم يترك للقبائل الجزائرية سوى الجزء الذي تزرعه كل قبيلة لقوت أفرادها فقط (١٠) ، وقد مهدت سياسة الجنرال راندون التوسعية الى استيلاء الحكومة على ١٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار من الأرض على الأقل (١١) ٠

ولم تتوقف حـكومة نابليون الثالث عن سـياسة الاسـتيطان

الأوربى ، وحاولت تنظيمها من جديد بتشجيع الاستعمار الحر ، ومنح الامتيازات للجمعيات الرأسمالية ، ففى ٢٦ ابريل سنة ١٨٥١ صدر قانون لم يلغ مبدأ منح المستوطن الأرض مجانا ، الا أنه اشترط تملك المستوطن مبلغا معينا من المال ليساهم به مع الحكومة فى نفقات اصلاح الأرض ، ولا يمنح المستوطن الأرض الا بعد أن يثبت قدرته على استعمالها ، وقد ظل هذا القانون سائدا حتى سنة ١٨٦١ حين اتجهت نية الحكومة الى منح الأراضى المستولى عليها الى جمعيات رأسمالية كبيرة ، ولم تستطع أغلب هذه الجمعيات تنفيذ تعهداتها مع الحكومة الفرنسية اذ فضلت معظمها استغلال العنصر الوطنى فى الزراعة نظرا لقلة أجرة فى مقابل ترك خمس محصول الأراضى لهم سواء أكان هذا الخمس عينا أو نقدا ٠

(ب)رد الفعل الوطنى للاستغلال الفرنسى للأرض الجزائرية :

وفى خلال هذه الفترة ظهرت كمية كبيرة من المطبوعات والمقالات المعادية والتى طالبت بترك الجزائر لابنائها ، وفضحت جرائم المستعمرين والمستوطنين ويبدو أن حركة المقاومة السياسية الجزائرية – التى نفى بعض زعمائها خارج الجزائر بسبب نشاطهم المعادى للاستعمار – وراء هذه الحركة التى تأثر بها نابليون الثالث فطلب الى المارشال بلسييه فى رسالته الشهيرة التى كتبها له فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٦٣ بضرورة ترك الفلاحة للوطنيين الجزائريين ، كما شرح أن عملية حصر الأراضى لاتهدف الى انتزاعها من أيدى أصحابها واعطائها للمستوطنين ، بل تهدف الى تقسيم الأراضى الى قرى واقامة الملكية الفردية فيها بصورة تمكن الجزائريين من التصرف فيها (١٢) ٠

وقد أتم نابليون هذا التشريع بمرسوم ديسمبر سنة ١٨٦٤ الذى حرم نظام المنح الحكومية للمستوطنين ، وأتباع سياسة الشراء الحر كوسيلة لانتقال الملكية للجزائر ، وبذلك وضع نابليون حدا لسياسة الاستيطان الرسمى ٠

(جـ) موقف الجالية الأوربية من سياسة نابليون الثالث :

اذا كانت سياسة نابليون قد امتازت بالتقلب ، والميل الى فريق العسكريين بالجزائر فانه فى نفس الوقت عمل على امتصاص نقمة المستوطنين عليه باقطاعهم أراضى الجزائريين فى سيدى بلعباس ، وفى وادى مرزوق وبجوار بطنه ، كما واصلت السلطات الفرنسية استخدام الأوربيين فى استغلال الأراضى الزراعية (١٣) ، الا أن

المستوطنين فضلوا تجنب الصراع مع نابليون الثالث لعدم قدرتهم على مواجهة الجيش الفرنسي فى الجزائر ، ومن ثم نقلوا الصراع مع نابليون الثالث الى باريس حيث انضموا الى خصومه ، وتركزت حملتهم بصفة خاصة حول مستقبل الفرنسيين المغتربين ، والعقبات التى تعترضهم وقد صادفت حملتهم هوى من بعض الزعماء السياسيين الذين أنبروا للدفاع عن مصالح الجالية الأوربية مثل الزعيم الجمهورى جول سيمون Jules Simon مما دفع الرأى العام ــ الذى عارض سياسة نابليون الثالث ــ الى مهاجمته ، كما أفلحت الجالية الأوربية فى ضم رجال الكنيسة الى قضيتهم ، وكان رجال الدين يعزون فشلهم فى تحويل الجزائر الى المسيحية الى الجيش الفرنسى الذى حال دون قيام دولة مسيحية فى الجزائر (١٤) ، وقد زادت حدة هذه الموجة المعادية لحكم نابليون مجاعة سنتى ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ التى راح ضحيتها نصف مليون جزائرى (١٥) ، نتيجة لقلة الأمطار ، وفساد المحصول ، ثم هجوم الجراد ، وصحب تلك المجاعة حدوث زلزال ثم وباء الكوليرا والتيفوس. وقد استغل رجال الدين الكاثوليك فى الجزائر خاصة المنسنيير لافيجيرى Mgr. Lavigerie هذه المجاعة ، ونجحوا فى جمع عدد من هؤلاء الأطفال الجزائريين فى أديرتهم ، ثم منحوهم مساحات صغيرة من أراضى وادى الشليف ، وهذا أصل فرقة الآباء البيض الجزائريين التى كونها المنسنيير لافيجيرى ، مما أعطى الرأى العام الفرنسى فكرة سيئة عن الأوضاع فى الجزائر .

وازاء ضغط الرأى العام الفرنسى أمر نابليون الثالث بايفاد لجنة تحقيق برلمانية للتحقيق فى أوضاع الجزائر ، وقد امكن لهذه اللجنة أن تتفهم نفسية الجالية الأوروبية فى الجزائر ، وان تستجيب لمطالبها ، ونتيجة لهذا قدمت اللجنة مقترحاتها الآتية :

زيادة مساحة الأراضى التى يستغلها المستوطنون ، والغاء المكاتب العربية (١٦) الملحقة بالجيش الفرنسى ، وتقسيم أراضى الأعراش أو الأراضى التى تخضع للملكية الجماعية والأتباع الا باتفاق جميع الأفراد المعنيين ، والسماح بتكوين الملكية الفردية ، والتخلص من قادة العرب الارستقراطيين ، وعدم استعمال الشريعة الاسلامية التى يتبعها القضاة ، وتطبيق القوانين الفرنسية على جميع القاطنين بالجزائر ، وتكوين هيئة محلفين من الفرنسيين للنظر فى الأعمال الجنائية ، كما طالب المستوطنون ببعض استثناءات لاعفائهم من القوانين الفرنسية تتلخص فى اعفائهم من كافة الضرائب ، واعفائهم من الخدمة العسكرية ،

وفرض ضرائب على الوطنيين ، وتطبيق القوانين الفرنسية على المسلمين في جميع الحالات (١٧) ٠

ولعل نظرة الى هذه المقترحات تعكس لنا أطماع المستوطنين الذين يرغبون في الاستئثار بخيرات الجزائر دون العنصر الوطني صاحب الأرض الحقيقي ، ومن مظاهر ذلك : مطالبتهم بنصيب الأسد في الأراضي التي تخضع للادارة المدنية ، لأن وقوع هذه الأراضي في حوزتهم يعني عدم وجود منافس لهم في ادارتها ، وكان المنافس لهم فريق العسكريين الذي ابتدع فكرة المكاتب العربية التي عكست روح السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها فريق العسكريين ، وان كان ادعاء فريق العسكريين بأن هذه المكاتب انشئت لحماية مصالح السكان الوطنيين هو الوجه المظهري الذي غطى هذه الأطماع ، اما تقسيم أراضي الأعراش فهي تفتيت لوحدة القبائل من خلال تفتيت ملكياتها ، وشغلها بالقضايا الفردية ، ولم تنس الارستقراطية العربية التي قد يبرز منها زعيم يدعو الى وحدة الصف على غرار الأمير عبد القادر ، والمقراني وغيره ، ومن هناك فان رغبتهم في التخلص من قادة العرب الارستقراطيين يعني قفل الباب على هذا الهاجس المخيف الذي يراودهم أحيانا ، ولاشك أن هؤلاء المستوطنين كانوا عنصريين ، ولم يكتفوا بكل هذه المطالب ، بل رغبوا في الاعفاء من الضرائب ، والتجنيس ، وفرض الضرائب على الوطنيين الذين تحملوا العبء دائما ٠ وفي هذا ضربة لأماني نابليون الذي زار الجزائر سنتي ١٨٦٠ ، ١٨٦١ واتصل ببقايا الأسر الوطنية العتيقة ، وأعجب بالروح الوطنية التي ناضلت رغم كل شيء في معركة البقاء ، وكانت نتيجة هاتين الزيارتين خروج نابليون بفكرة الاعتراف بالشخصية العربية بجانب كون الجزائر مستعمرة أوربية (١٨) ٠

كما فتح الباب أمام الجزائريين في الحصول على حق المواطنة وذلك بمقتضى تشريع يونيو سنة ١٨٦٥ (١٩) ٠ وظن نابليون خطأ انه أسدى بذلك خيرا للجزائريين ، وكان طبيعيا ان يثير المستوطنون القلاقل لحكم نابليون الثالث عن طريق الاثارات ، وكانت مقترحات الترضية ما هي الا الاستجابة لمطالب المستوطنين الذين عبر أحدهم واسمه دى مونتبلو De Monteblo عن هذه المقترحات بانها تهدف الى تحقيق الادماج لصالح الفرنسيين لأن المسلمين لديهم كل شيء ، ولا يرغبون في أي شيء ٠

ولم يكتف المستوطنون بهذا التطور الذي يرجح الكفة لصالحهم ، وانما أصبح لهم نواب يعبرون عن مصالحهم في الجمعية الوطنية

الفرنسية لدرجة انهم انتقدوا الدستور الخاص بالجزائر قائلين « انهم لا يعترفون بالامبراطورية (٢٠) ومضـوا فى طريقهم معرقلين مشروعات الامبراطور تجاه الجزائر ، ثم كانت نكسة سيدان ــ التى أسرت فيها جيوش بسـمارك لويس نابليون ــ فرصة للتنسيق بينهم وبين زعماء حكومة باريس الجديدة لوضع برنامج يضمن فرنسة الجزائر ، والسيطرة على شمال أفريقيا (٢١) ٠

(د) سياسة الجمهورية الثالثة وموقف الجالية الأوربية منها :

عمل زعماء حكومة باريس الجدد على تجريد فريق العسكريين بالجزائر من سلطاتهم باصدارهم قرار أكتوبر سنة ١٨٧٠ والذى يقضى بتعيين حاكم عام للجزائر ، واعطوا لمنصب الحاكم العـام حق تنسيق الأمور مع الوزارات المتخصصة فى باريس ، كما أصـدروا مرسـوم ٢٤ ديسمبر ١٨٧٠ الذى يقضى بتجريد الجيش الفرنسى من الاشراف على المكاتب العربية فى المناطق الساحلية ٠ وبعد نجـاح المستوطنين السـياسى ركزوا على اخذ أراضـى العرب سـواء بالابعاد او العزل او المصادرة ، والاعتماد على الدولة فى تمويل مشاريع الاسـكان والاقامة ، ومما زادهم يقينا بمشاركة الدولة فى مشروعات الاسكان ، تزايد نزوح أعداد من المهاجرين من مقاطعتى الالزاس واللورين التى ضمت الى ألمانيا بمقتضى معاهدة فرانكفورت وذلك بعد هزيمة ألمانيا لفرنسا ٠ وتعكس لنا الاجراءات التى اتخذتها الجمهورية الثالثة مع المسـتوطنين عن اتجاه هذه الجمهورية نحو سيـاسة الادماج التى كـان من أهم أهدافها فتح اراضى الجزائر كلهـا ، بعـد حسر المناطق العسـكرية وقصرها على الصـحراء والواحات ، ففى السنوات الاولى التى تلت قيام الجمهورية الثالثة ركزت حكومة باريس جهودها على اعداد كبيرة من المهاجرين الفرنسيين وذلك لتوازن بينهم وبين المهاجرين الاوربيين الآخرين ، ولم تكتف بذلك بل صـادرت مسـاحات أخرى من الاراضى كى تغرى المهاجرين بالثروة غير المتوافرة فى أوربا (٢٢) ٠

وتعد الفترة من ١٨٧١ ــ ١٨٨١ ذروة الموجات المهاجرة حيث ارتفـع عدد المهاجرين من ٢٤٦ الفـا الى ٣٧٦ الـف مسـتوطن ، ولم يسـتطع الفرنسيون تغليب العنصر الفرنسى المهاجر على سـائر العناصر الاوربية الاخرى لان العنصر الفرنسى فى غالبه حبذ العودة الى فرنسا ، وتحولت ملكية معظم الأراضى الزراعية الى أيديهم عن طريق الأراضى المصادرة ، أو بالأراضى المتخلفة من حصر القبائل ، أو استخدام الحيل لاغتصـاب أملاك الوطنيين ٠

وهكذا أسفرت سياسة الجمهورية الثالثة عن انتشار سياسة الاستيطان الأوربي ، وتركز المستوطنون في المدن الكبرى حيث تتركز المصالح الحكومية التي كانت قاصرة عليهم ، مما شكلوا في النهاية غالبية من مدينتي الجزائر ووهران ، ولم تشارك الغالبية في الوظيفة فحسب ، بل شاركت أيضا في القطاعات الجغرافية والصناعية ، كما شاركت من قبل في القطاع الزراعي ·

٢ ـ أحوال السكان الوطنيين :

رأينا مما سبق كيف سيطر المستوطنون على ثروات الجزائر . وادى سوء الأحوال الذى صاحب السكان الوطنيين الى نعت المستوطنين لهم بأنهم جنس غير قابل للتعليم ·

واعترف هانوتو أحد المؤرخين المتخصصين في شئون الاستعمار « بأن الادماج قد طبق لصالح المستوطنين ، وانه من المستحيل ادماج عنصر السكان الأصلي في البيئة الفرنسية اجتماعيا وثقافيا لأسباب تاريخية وروحية · وقال ان تطبيق نظام الادارة والقضاء الفرنسيين عليهم لايدل أبدا على ان هذه الحواجز قد تخطيت ·

اذن فقد شهدت الجزائر نوعا من التفرقة العنصرية يدل على ذلك رفض المستوطنين ان يشاركهم الجزائريون ـ الذين تجنسوا حسب تشريع سنة ١٨٦٥ ـ في أن تكون لهم غالبية في المجالس المحلية المشتركة ·

وقد ظهرت آثار السياسة العنصرية في جميع نواحي الحياة ، فعلى صعيد الادارة المحلية ، كان تمثيل العنصر الوطني ضئيلا بالنسبة لعدد السكان الأصليين ، وفي القضاء حول المستوطنون الأمور الشرعية للسكان المسلمين الى القضاء المدني ، أما على قطاع الضرائب فقد أعفت الحكومة المستوطنين من ضرائب التركات والدخل ، بينما أبقت نظام ضرائب العشور على الأراضي الزراعية ، والثروة الحيوانية والنخيل وقد بلغ مجموع هذه الضرائب تسعة ملايين فرنك ، أما بالنسبة للتعليم الابتدائي واعتباره اجباريا مجانا فان أطفال المستوطنين هم الذين تمتعوا بهذه الامتيازات دون الجزائريين ، وهذا علاوة على محاولة محو الثقافة العربية بجعل اللغة العربية لغة ثانية (٢٣) في المدارس الثانوية ، ولم يكتف المستوطنون بكل هذه الحقوق التي حصلوا عليها دون الوطنيين أصحاب الأرض الجزائرية الأصليين ، بل أن بعضهم شكى من

ان الادارة الفرنسية لاتضع مبدأ المســــاواة بين المستوطنين الأوربيين والوطنيين في الالتزامات ، ويقصدون بذلك الخدمة العسكرية الاجبارية وحتى ذلك الوقت ، كان التحاق الجزائريين بالجيش الفرنسي يتـم عن طريق التعاقد للعمل في صفوفه ، وبهذه الطريقة تكونت فرقة القناصة الجزائرية التي اشتهرت أثناء الحملات الاســتعمارية الفرنســـية في غرب أفريقيا .

٣ ـ رد الفعل الوطني الجزائري :

(أ) الهجرة الجزائرية وأسبابها :

دفع ســـوء الأحوال التي سبق الحديث عنها الجزائريين لمغادرة بلادهم وكان وراء هجرتهم التي ذكرت دوافعها بعض دوافع أخرى منها : قسوة ملامح الحكم الفرنسي ، ومن مظـــاهر هذه القســـوة : قانون الأهالي ، فقدان وسائل التعبير لدى الوطنيين ، وكانت الأحوال الاقتصادية سببا آخر مهما للهجرة فقد كانت كثرة الضرائب كالضرائب القانونية ، والضرائب الدينية كالزكاة والعشور والسخرة والحراسة الليلية بدون أجر ، بالاضافة الى فقدان الجزائريون أراضيهم مثار شكوى الجزائريين الى السلطات الفرنسية ، ومن بين أسباب الهجرة الرئيسية أيضا مراقبة المؤسسات الدينية ومصادرة الأوقاف ، وادارة الشئون الدينية من طرف فرنسا ، ومن جهة أخرى كانت القومية الاسلامية ســببا آخر هاما في الهجرة الجزائرية فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن التاسع عشر الى ذويهـم في الجزائر كانت تصف الحرية في الشرق الأدنى ، مما شجع الجزائريين على أن يولوا وجوههم شـــطره فرارا من سياسة الاضطهاد الفرنسية ، وحلما بحياة أفضل في الخارج . وقد كان التجنيد الاجباري من بين أســـباب الهجرة الجزائرية ، وقد عارضت كل الطبقات التجنيد الاجباري وعندما صـــدر قانون التجنيد الاجباري غادر الأعيان الجزائريون وعائلاتهـم بلادهم بعد أن باعـــوا أملاكهم (٢٤) . ونظرا لتأثير طبقة الأعيـــان في المواطنين فانهم أغروا عددا كبيرا من الجزائريين على الهجـرة التي شملت الجزائر كلهـــا اذ هاجرت بعض العائلات الكبيرة مدينة مليانه وسطيف ١٨٩٩ ، كمـــا امتدت هذه الهجرة الى مدن تورين ، ندرومه وريمشي ، وسبدو ، كما اتجه حوالي ٢٠,٠٠٠ مهاجر جزائري الى المغرب الأقصى وتونس سنة ١٩٠٧ الا أن الهجرة الحقيقيـة كانت هجرة مدينة تلمســان التي حدثت ســنة ١٩١١ عندما رحلت عن المدينة ١٢٠٠ عائلة اتجهت الى ســـوريا التي وصل عدد المهاجرين اليها حوالي ٢٠,٠٠٦ مهاجر جزائري .

وازاء هذه الهجرات التى حدثت فى هذه الفترة (١٩٠٧ ــ ١٩١١) أمرت السلطات الفرنسية بوقف الهجرة ، واغلاق الحدود الجزائرية ، ولكن الهجرة رغم ذلك لم تتوقف ، وقد شكل الحاكم العام لجنة لبحث أوضاع الهجرة ، ولم تتخذ الادارة الفرنســـية هذه الخطوة الا بعد أن تلقت مطالب من بلدية وهران تدعو الى معالجة الحالة والتحقيق فيها ٠

وقد وصف بعض الكتاب الفرنسيين مثل فيكتور ديمونتى هجرة سنة ١٩١١ بانها الهلع الحقيقى الذى يوشك ان يكون وباء أخلاقيا ، وقد عزى الحاكم العام الفرنسى ليتو أسباب هذه الهجرة الجماعية الى : تحريضات من الخارج ، والى التعصب الاسلامى ، والأزمة الاقتصادية التى تمر بها الجزائر فى ذلك الوقت أثنـــاء مواجهته لنــواب الجمعية الوطنية الفرنسية عن أسباب هجرة الجزائريين الى الخارج (٢٥) ٠

(ب) مقاومة قانون التجنيد الاجبارى :

اتخذت المعارضة الجزائرية لقانون التجنيد العسـكرى الاجبارى اربعة أشــكال هى : الشغب فى الشــوارع ، والعرائض ، والوفود ، والاختفاء ، وكانت هذه الأشكال مؤيدة وموجهــة من قبــل الصــحافة الوطنية الجزائرية ، ومن بين الصحف التى شــاركت فى معارضـــة قانون الخدمة الاجبـــارية صحف : الحق والاســلام والرشيدى ، وقد تمثلت مقاومة الجزائريين لقانون الخدمة الاجبارية أيضــا فى شغب الشوارع وحملات الصحافة ، والمنشورات التى كانت توزع فى المقاهى والأسواق داعية الجزائريين لمعارضة قانون التجنيد الاجبارى ، ومتهمة فرنسـا بخرق اتفاق سنة ١٨٣٠ ٠ كمـا جرت فى جميع أنحـاء الجزائر المظاهرات التلقائية العنيفة على أثر موافقة المجلس الوطنى الفرنسى فى فبراير سنة ١٩١٢ على قانون التجنيد الاجبارى ، ووقعت الاصطدامات مع الشرطة ، وانتشرت الاغتيالات والارهاب ، واضطر الفرنسيون فى كثير من الأحيان الى ارسال النجدة كاحتياط ضد امكانية حدوث ثورة ٠

أما الشباب الذى كان المقصود بالتجنيد الاجبارى فقد هرب الى الجبال ، واختفى وازاء تفاقم الأمور أرسلت فرنسا فرقتين عسكريتين الى وهران ، وبعض المدافع الى عمالة وهران لمعالجة أى اضطرابات قد تنشب هناك ، كما قذف المتظاهرون فى مدينة المدية حاكمها بالحجارة ، وجرحوا مساعده الجزائرى (٢٦) ، كما ضرب الجزائريون أيضا الحاكم الادارى لمعاديد قرب سطيف ، وفى ندرومة تظاهر بضــــعة آلاف من المتظاهرين أمام مكتب الحاكم الفرنسى احتجـاجا على قانون التجنيد

الاجبارى ، واشتبكوا مع قوات الأمن الفرنســـية مستخدمين فى ذلك الهراوات والمسدسات ٠

وفى نفس الوقت هرب الشباب الجزائرى من باتنـــه وندرومه وغيرها من المناطق فرارا من التجنيد الاجبارى ، كما دعت جريدة الحق الجزائرية الشباب الجزائرى للهجرة هربا من التجنيد الاجبارى ، وقد أسفرت دعوتها عن هجرة ألف شاب مجند (٢٧) ٠

أما على الصعيد الرسمى فقـــد قدم الجزائريون الى الفرنسيين عرائض ، ورسائل ولوائح معبرين عن معارضتهم للتجنيد الاجبـــارى ، وكانت وراء معركة العرائض « لجنـــة الدفاع عن مصـــالح المسلمين الجزائريين » التى لم تكتفى بارسال العرائض فحسب ، بـل أرسـلت الوفود الى باريس للاحتجاج على قانون التجنيد الاجبـــارى باســـم الجزائريين مثل الوفد الجزائرين الذى سافر الى فرنســا فى ٢٦ يونيو سنة ١٩١٢ لمقابلة بوانكارى رئيس الجمهورية الفرنســية حيث سلمه مذكرة بينت ســـخط الجزائريين على تجنيـــدهم وطالبت بعـلاج لهذا السخط (٢٨) ، وقد وعد بوانكارى الوفد بدراسة جدية لمشاكله ٠ وقد عارض أنصار الادارة الفرنسية من بنى (نعم ـ نعم) مطالب الوطنيين ، كمـا عارض المستوطنون التجنيـد الاجبـــارى واعتبروه وســيلة تمكن الجزائريين من الحصول على حقوقهم السياسية ٠

ورغم احتجاج الجزائريين على قانون الخدمة الاجبارية ، فان فرنسا فرضت التجنيد الاجبارى ـ الذى أصبح أمرا واقعا بموجب قرار فبراير سنة ١٩١٢ ـ على الجزائريين ، ورغم هذا فان كفاح الشعب الجزائرى قد استمر لتثبيت شخصيته العربية الاسلامية ٠

الفصل الثالث

الكفاح الجزائرى لتثبيت الشخصية العربية الاسلامية للجزائر

من خلال تعامل الاحتلال الفرنسى الاستيطانى مع الجزائريين ، أدرك حقيقة الشخصية الجزائرية تاريخيا وثقافيا وحضاريا ، لذلك حشد كل طاقاته وحارب عروبة الجزائر ، وسمى الجزائريين بالمسلمين ، رافضا أن يسميهم بالعرب نسبة الى الأمة العربية التى تشكل الجزائر جزءا منها . وكان الاستعمار يرمى من وراء ذلك انكار عروبة الجزائر ، ومحاولة فصلها عن أشقائها فى الأمة العربية ، والعمل على محو مقومات الشخصية الجزائرية من ناحية أخرى كى يتمكن من دمجها فى الكيان الفرنسى باعتبار الجزائر جزءا من فرنسا حسب النظم والقوانين التى استنها الاستعمار الفرنسى فى محاولاته لمسخ الشخصية الجزائرية وتراثها الحضارى (١)

١ ـ التراث الفكرى للمجتمع الجزائرى وعلاقته بالشخصية الوطنية :

تملك الشخصية الجزائرية تراثا فكريا هو فى جوهره تراثا عربيا اسلاميا ، يتمثل فى الأمور الثلاثة الآتية : تاريخ الجزائر ، ثقافة الجزائر وحضارتها .

وقد حاول الاستعمار الفرنسى أن ينتزع من الشعب الجزائرى لغته وماضيه الحضارى ، ونظامه الاجتماعى والثقافى ، وسعى الى خلق ما اعتقده بعض مفكرى الاحتلال من ابداع العبقرية الفرنسية ، وكتب احدهم فى سنة ١٨٨٣ يقول « نحن بصدد خلق أمة فى الجزائر ، أمة لن تكون متمدينة بدوننا . وفى اليوم الذى احتللنا فيه هذا البلد وطردنا منه

الحكومة الوحشية التي كانت تضطهده تعهدنا بمصائر هذه الشعوب ، واتخذنا على أنفسنا نحوها عهد تمكينهم من الأنوار ، والمعارف ، والعقائد التي تفضلت الحكمة الالهية بمنحنا اياها كل ذلك بفضل دولة متحضرة » ٠

ويبدو من هذا التصريح : عزم الفرنسيين على تمكين الجزائريين ــ الذين كانوا مضطهدين من قبل حكومة الداى ــ من اللحاق بالمدنية الفرنسية لكن أيتم هذا على حساب مقومات الشخصية الجزائرية ؟ ٠

هنا السؤال الذى سنجد الاجابة عليه من خلال عرضنا للشخصية الجزائرية بمقوماتهـا ، التى كانت بمثابة الصخرة التى تحطمت عليها محاولات الفرنسيين فى مسخ الشخصية الجزائرية والتى كان الفضل فى بقائها يرجع الى التعليم على اختلاف طبقاته ، وقد تمثلت مقومات الشخصية الجزائرية فى الثقافة العربية الاسلامية ، وفى اللغة العربية ، والدين الاسلامى ، والتاريخ العربى الاسلامى للجزائر ، وجغرافية الجزائر ٠

٢ ــ الخطط الفرنسية المضادة تجاه الشخصية الجزائرية ومقوماتها :

تمثلت خطة فرنسا فى القضاء على الشخصية الجزائرية من الزاوية الثقافية فى الأمور التالية : ــ

١ ــ استولت فرنسا على معظم معاهد التعليم الموجودة بالجزائر قبل الاحتلال وحولتها أما ثكنات للجيش الفرنسى ، وأما معاهد لتدريس الثقافة الفرنسية ، وأما مراكز تبشيرية لتشكيك الجزائريين فى اسلامهم ٠

٢ ــ تصفية معاهد الثقافة العربية وقصرها على ثلاث معاهد فى قسنطينة والجزائر وتلمسان ٠

٣ ــ احلال الثقافة الفرنسية المسيحية محل الثقافة العربية الاسلامية ٠

٤ ــ الاستيلاء على أراضى الحبوس التى كانت تمول المؤسسات التعليمية الجزائرية ماليا وثقافيا مما أدى الى تصفية الأخيرة ٠

٥ ــ محاولة فرنسة المناطق البربرية بعزلها عن المناطق العربية ، ومنع نشر الثقافة العربية الاسلامية فيها حتى يسهل بالتالى القضاء على شخصيتهم الوطنية (٢) ، ولم تكتفى فرنسا بذلك بل انها سعت فى القضاء على اللغة العربية باعتبارها مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الجزائرية ٠

بالنسبة اللغة العربية :

تمثلت خطة فرنسا في القضاء على اللغة العربية باعتبارها مقوما أساسيا للشخصية الجزائرية ، في تقسيم اللغة العربية الى ثلاثة أقسام : لغة دارجة لا قيمة لها ، لغة فصيحة اعتبرها لغة أجنبية عن البلاد ، واعتبر الاستعمار استعمال الجزائريين اللغة العربية خطا علميا كبيرا (٣) ولم تكتفي فرنسا بهذا وانما قامت بفرنسة جميع مراحل التعليم فرنسة كاملة حتى تبعد اللغة العربية عن معاهد العلم تدريجيا ، وتموت اللغة العربية ، كما قامت السلطات الفرنسية بفرنسة الادارة لصبغ الجزائر بالصبغة الفرنسية . كما وجهت السلطات الفرنسية ضرباتها الى الجهود الأهلية التي تتبنى التعليم الحر لأنه هو الأساس لنشر العربية والاسلام في الجزائر (٤) ، فحاولت تصفية معاهد تعليم العربية « الحرة » ، واضطهاد معلميها بقصد صرفهم عن العمل في معاهد التعليم الحر ، والتقتير في منحهم رخص العمل ، كما قامت فرنسا بتعطيل النوادي العربية الحرة التي تقوم بنشر اللغة العربية بين الشباب ، وتربيته تربية عربية اسلامية ، ومن أمثلة السلوك الفرنسي تجاه العربية انه كان في مدينة قسنطينة قبل دخول الاحتلال لها في سنة ١٨٣٧ ثمانون مدرسة ، وسبعة معاهد ، وثلاثمائة مدرسة وزاوية لم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاثين مدرسة فقط ، وكان يوجد في مدينة عنابة ٣٩ مدرسة و٣٧ مسجدا وجامعا وزاويتان قبل الاحتلال نقصت في ظل الاحتلال الفرنسي الى ثلاث مدارس ، ١٥ مسجدا ، وكذلك كان الحال بالنسبة الى سائر المراكز الثقافية في جميع أنحاء الجزائر (٥) .

بالنسبة للدين الاسلامي :

يعتبر الاسلام مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الجزائرية . وقد حاولت فرنسا القضاء عليه تمهيدا للقضاء على الشخصية الجزائرية ذلك انها رأت في تدخلها بالجزائر فرصة احراز نصر ديني يعيدها الى ذكريات الحروب الصليبية ، والدليل على هذا ثمة شواهد منها : أن فريق الوزراء الفرنسيين الذين تحمسوا لفكرة الاحتلال كانوا في الغالب من الحزب اليميني الذي برز من وزرائه من دافع عن الاحتلال حينما انقسم مجلس الوزراء الفرنسي على نفسه سنة ١٨٢٨ بخصوص أهداف حصار الشاطىء الجزائري اذ دافع كلير مون دي تونير وزير الحربية في ذلك الوقت عن وجهة نظر حزبه بقوله « لقد أرادت العناية الالهية أن تثأر حميه جلالتكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد أعداء المسيحية ، ولعله لم يكن من باب الصدفة

أن يدعى ابن لويس التقى لكم ينتقم للدين وللانسانية ، ولاهانته الشخصية في نفس الوقت بينما يسعدنا الحظ بهذه المناسبة لتنشر المدنية بين السكان الأصليين وندخلهم في النصرانية » .

كذلك تسوق شاهدا آخر هو بورمونت Bourmont قائد الحملة الفرنسية التي دخلت مدينة الجزائر في خمسة يوليو سنة ١٩٣٠ ــ الذي اقام صلاة شكر في فناء القصبة بمناسبة انتصار الجيش الفرنسي وبعث بوصف لهذا الاحتفال قال في نهايته : « مولاي لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطىء أفريقيا » كما أيد ادوار دريو أحد المؤرخين الفرنسيين المعروفين بدراستهم عن الشرق بوصفه الغزو الفرنسي للجزائر بقوله « انه كان أول اسفين دق في ظهر الاسلام » (٦) .

اذن نخلص من هذه التصريحات الى أن فرنسا كانت ترمي وراء احتلال الجزائر الى القضاء على الأسلام ، ونشر المسيحية بالجزائر ، وانها من اجل هذا استولت على الأوقاف الأسلامية التي كانت تقوم برعاية شؤون المساجد ، والتعليم الديني ، ولم تكتفي فرنسا بذلك بل أنها حولت عددا كبيرا من المساجد الاسلامية الهامة اما الى كنائس أو باعت الجزء الآخر لليهود كنكاية في الدين الاسلامي ، ومحاولة للقضاء عليه بالقضاء على مقدساته .

وكانت أمور الدين الاسلامي كلها قبل صدور قوانين سنة ١٩٠٥ (٧) تباشر بواسطة ادارة الأمور الأهلية في الولاية العامة ، وكانت ادارة الأديان فيها ترعى الأديان الثلاثة : الاسلام ، المسيحية واليهودية ، واذا كانت الادارة تنفق على الديانة المسيحية وافرادها لا يتجاوزون ٦٢٣٫٠٠٠ مبلغ ٨٨٤٫٠٠٠ فرنكا ، وعلى الديانة اليهودية ٣١٫٠٠٠ فرنك وعدد أفرادها ٦٤ الفا فانها تنفق على الديانة الاسلامية ٣٢٧٫٠٠٠ الف فرنك وعددها يتجاوز ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ ، واذا ما قسمنا هذه المبالغ على عدد أفراد كل جماعة دينية لوجدنا أن كل كاثوليكي يحصل من ميزانية الأديان على ١٫٣٠ ، وكل بروتستانتي يحصل على ٨ فرنكات ، ويحصل كل يهودي على ٥٠ سنتيم ، وكل مسلم يحصل على سبعة سنتيمات ونصف سنتيم وكانت فرنسا هي التي تقوم بتعيين المفتي والمؤذنين والخطباء (٨) ، وكان هؤلاء بمثابة جواسيس على مواطنيهم ، كما رفضت فرنسا ــ وهي الدولة التي أصبحت لا دينية منذ ثورة سنة ١٧٨٩ ــ مبدأ فصل الأديان الخاص بالدولة على الديانة الاسلامية التي أبقتها تحت سيطرتها المباشرة . وحاولت تنصير البربر بمنعهم من تعلم اللغة العربية ، ومنع العلماء من

التدريس اليهم ، وهكذا تلعب فرنسا دورا دينيا جديدا مع ديانة لا تفهم فيها شيئا سوى الاضطهاد

بالنسبة للتاريخ العربي الاسلامي للجزائر :

عمدت فرنسا الى تشويه التاريخ الجزائري باعتباره مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الجزائرية ، ولم تكتف بذلك بل انها حرمت على الجزائريين دراسته فمن ناحية التشويه أتبع الفرنسيون الخطوات التالية :

١ - انكار عروبة الجزائر بالادعاء بانتماء الجزائريين عرقيا الى بلاد الغال بجنوب فرنسا ، وليس من شبه الجزيرة العربية كما هو رأى معظم المؤرخين الثقاة ، وذلك حتى يقبل الجزائريين فكرة الادماج مع فرنسا باعتبار وحدة الجنس هي القاسم المشترك بين الجزائريين والفرنسيين ٠

٢ - تجاهل علماء الآثار والتاريخ الفرنسيين لتاريخ الجزائر العربي الاسلامي ، وتركيزهم على دراسة تاريخ الجزائر في العهدين الروماني والفرنسي ابان الاحتلال الفرنسي ، وذلك حتى يفهم الجزائريون المثقفون بالفرنسية أن بلادهم فرنسية في حاضرها ، ورومانية في ماضيها ٠

٣ - اعتبار الفتح العربي الذي نشر الاسلام بالجزائر ، ودام ثلاثة عشر قرن احتلال عربي للجزائر ، وأن فرنسا هي التي حررت الجزائر من هذا الاستعمار في العصر الحديث ٠

اما من ناحية حرمان الجزائريين من دراسة تاريخهم فقد تمثل في اعطاء التاريخ الجزائري للطلبة في صورة مشوشة تفتقر الى التسلسل التاريخي في حين أن تاريخ فرنسا يدرس الى الطلبة في جميع العصور حتى ينشأ أبناء الجزائر على جهل تام بتاريخ بلادهم ، كما أن معاهد التعليم العربي الحر بمدارسها ومساجدها وزواياها قد ضغط عليها من قبل الاستعمار لمنعها من دراسة تاريخ الجزائر ، وكان الاستعمار يقوم بمنح المعلمين - الذين يستبعدون دراسة تاريخ الجزائر - رخصة التعليم (٩) ٠

كما اعتبر الاستعمار الجغرافية مثل التاريخ تساعد على تكوين الروح الوطنية ، والشخصية القومية ، ومن ثم حارب الاستعمار الفرنسي تدريسها للجزائريين في مدارس التعليم الحكومي الفرنسي ، ومدارس التعليم العربي الحر ، وقام بتدريس جغرافية فرنسا في مدارس التعليم الحكومية الفرنسية حتى ينشأون نشأة منحرفة تساعدهم على اضعاف شخصيتهم القومية ، لأنهم يجهلون جغرافية بلادهم جهلا شبه كامل

كما كان الجزائريون يدرسون الجغرافيا وفقا لتعليمات الاحتلال التى كانت تعتبر الجزائر عبارة عن ثلاثة مقاطعات فرنسية وراء البحر المتوسط ، وبحكم هذه المقاطعات الثلاثة حاكم عام ينوب عن حكومة فرنسا ، وقد اتخذت فرنسا فى تدريس الجغرافية اتجاها يوحى بفقر البلاد . وعدم صلاحيتها للتقدم ، وأن الفرنسيين جاءوا يحملون لها هذا التقدم عن طريق تدريس جغرافيـة فرنسا لهم بشريا ، وطبيعيـا ، وسياسيا واقتصاديا وذلك بغية استبدال ولائهم الطبيعى للجزائر لفرنسا ، وبالتالى القضاء ، على الشخصية الجزائرية التى فى القضاء عليها قضاء على الروح الوطنية فى نفوس الجزائريين .

سيطرة الاستعمار على الطرق الصوفية المسيطرة على الفكر الجزائرى :

لم يكتفى الاستعمار الفرنسى بهذه الأساليب المتعددة لمحاولاته محو الشخصية الجزائرية ، بل أنه أخذ فى التسلل الى داخل القيادات الدينية الجزائرية المسيطرة على قطاعات عريضة من أفراد الشعب الجزائرى ومن أهمها الطرقية التى بدأت بـداية حسنة على يد روادهـا الذين نشروا التصوف ، والرياضة الروحية والدعوة الاسلامية ، والتبشير بالاسلام بين غير المسلمين الا أن معظم خلفائهم خلطوا الأمور ، وأكثروا من البدع ، وأدعوا صفات الالوهية أمام العامة من أتباعهم الذين اقتنعوا بأنهم قادرون على المنح والحرمان .

وقد أدى هذا الاتجاه المنحرف للطرقية الى افساد الفطرة الاسلامية ، وأمانة الفضيلة ، وتفكيـك روح الاخوة الاسـلامية ، والخضـوع للاستعمار (١٠) ، وقد استطاعت سياسة الاحتلال الرامية الى بسـط سيطرتها على الجزائر ، ان تكسبهم الى صفوفهم ، لأنها اعتبرت الطرقين الممثلين الحقيقيين للاسلام فى الجزائر ، وبما انهم نجامدون ومنحرفون فقد سـاعدوا — بدون ادراك — على محاولة نجاح سياسـة الفرنسة فى الجزائر لأن الشباب الجزائرى المثقف على النمط الفرنسى أصبح ينفر من الاسلام الذى يمثله هؤلاء المبدعون الذين عملوا بمساعدة الاحتلال على بسط نفوذهم على البسطاء باسم الدين (١١) لابتزاز أموالهم فى مقابل تخديرهم المواطنين ، وصرفهم عن محاولات الاحتـلال مسخ الشخصية الجزائرية مما حدا بالحركات السلفية الأخرى التى تمثلت فى جمعيـة العلماء المسلمين الى مهاجمة الطرق الصوفية بقصد القضـاء على خرافاتها وشعوذتها باسم الدين ، وعقابا لرجالها لتعاونهم مع الاحتلال ضد مصلحة الجزائر السياسية والثقافية والقومية من ناحية أخرى .

٣ ـ رد الفعل الجزائرى للخطط الفرنسية المضادة :

يعود الفضل فى المحافظة على الشخصية الجزائرية فى المقام الأول الى النهج التعليمى الذى حملت لـواءه جمعية العلمـاء التى نجحت فى المحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها التى تمثلت فى الثقافة العربية الاسلامية ، واللغة العربية ، والدين الاسلامى ، والتاريخ العربى الاسلامى ٠

(أ) المحافظة على الثقافة العربية الاسلامية :

عمل الاحتلال الفرنسى للجزائر منذ البداية على فصل الجزائر عن اشقائها العرب فى المشرق أو فى المغرب ، عن طريق فرنسة التعليم ، والادارة ، ونهب التراث العربى ، ومحاولة تشويه تاريخ الجزائر ، وقد تمثلت مظاهر الفصل فى سفر بعض الطلاب لتلقى الثقافة العربية بدور العلم المختلفة فى تونس كجامعة الزيتونة (١٢) ٠ أو الأزهر الشريف بمصر سيرا على الأقدام (١٣) رغم المخاطر التى كانت تحيق بالطلاب الذين يقصـدون العلم من قبل السلطة الاستعمارية التى كانت تتابعهم فى تونس (١٤) ، كما تمثلت عملية الفصل فى الاختفاء السريع لمعظم الجرائد والمجلات العربية الذى كان يبادر الاستعمار الى اغلاقها أو مصادرتها عملا بسياسته التى ترمى الى تجهيل الشعب الجزائرى بثقافته العربية ومن ذلك على سبيل المثال : اغلاق جريدة المنتقد التى دأبت على النقد العنيف للادارة الاستعمارية والطرقية بعد عددها الثامن عشر ، وايقاف جريدة الجزائر التى أصدرها محمد سعيد الزاهرى ، وكذلك جرائد : صدى الجزائر ، والحق ووادى ميزاب ، وميزاب والمغرب ، والنور ، والاصلاح ، والسنة المحمدية والشريعة المطهرة ٠ كذلك نهب الاحتلال للتراث العربى الاسلامى الذى عثر عليه فى المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب التى استولى عليها ضباط جيش الاحتلال ، ورجال الدين المسيحى الذين رافقوه فى عمليات الغزو (١٨٣٠ ـ ١٩٠٠) وأرسلوها الى ذويهم فى فرنسا ٠ أو باعوها لتجار الكتب الأوروبيين الذين نقلوها الى أوروبا ، هذا فضلا عن الاحراق والاتلاف التى تعرضت له المكتبات العربية الجزائرية كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر (١٥) ٠

كما أوقفت الادارة الاستعمارية جريدة الصراط السوى فى يناير سنة ١٩٣٤ وبعد ثـلاثة شهور من صدورهـا ، وجريدة الشهاب سنة ١٩٣٩ ، ولم يتغير هذا الوضع الا فى مطلع القرن العشرين بقليل حين عمل بعض العلماء مثل الشيخ أبو القاسم الحفناوى (١٨٥٢ ـ ١٩٤٢) صاحب كتاب تعريف السلف برجال الخلف (١٦) وغيره على ايصال الحلقة

المفقودة التي صنعها الاستعمار بين الجزائر والعالم العربي وذلك عن طريق التعليم في المساجد والمدارس الأهلية والحكومية (١٧) حتى بدأت حركة التعليم العربي الحر على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة ١٩١٣ الذي كان من الرواد الأوائل الذين وجهوا كل طاقاتهم وجهودهم في بعث الثقافة العربية الاسلامية التي كادت ان تنقرض حين استولى الاستعمار الفرنسي على الأوقاف الاسلامية التي كانت تمول معظم المراكز العربية الاسلامية وبعثها على نطاق واسع بواسطة المراكز الثقافية التي كانت تدار من الجامع الأخضر بقسنطينة ، ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على امتداد أكثر من ربع قرن ، ثم حمل اللواء من بعده جمعية العلماء حتى قيام الفاتح من نوفمبر ، ولولا جهوده في سبيل المحافظة على الثقافة العربية الاسلامية ، لكتب الفكر الانساني الجزائري بصورة أخرى (١٨) وبذلك نجح التعليم العربي الحر الذي تبنته جمعية العلماء في المحافظة على الثقافة القومية للجزائر باعتبارها من مقومات الشخصية الجزائرية .

(ب) المحافظة على اللغة العربية :

كان قرار سنة ١٩٣٨ والذي أصدره وزير الداخلية الفرنسي بشأن اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية هو ذروة المعارك التي خاضتها اللغة العربية باعتبارها لغة الدين والجنس ، فهي لغة دين الاسلام ، وهي لغة الجنس باعتبار ان الجماهير التي تعيش على أرض الجزائر عربية (١٩) . والمحافظة على اللغة العربية محافظة على الدين والجنس ، ومن هنا نشأ حرص متأصل في الجزائر على تعلم اللغة العربية ، وقد نهضت بهذه المهمة جمعية العلماء التي طالبت بالغاء جميع القرارات القديمة المتعلقة بالتعليم العربي ، واستبدال قانون موحد عادل بها يؤخذ فيه رأي الأمة الجزائرية ، وتشارك جمعية العلماء في وضعه .

وقد تمكنت الجمعية بجهودها من انشاء معاهد حرة للتعليم المكتبي للصغار ، وتنظيم دروس في الوعظ والارشاد الديني في المساجد ، ومحاضرات في شئون الحياة العامة في النوادي . وكان التعليم المكتبي يهتم بتدريب الطلاب على الخطابة ، والتبسط في الحديث ، وتربية ملكة الذوق والاستنتاج فيهم ، وفي العودة الى العربية الفصحى ، وتفنن التهذيب ، والترجل في مخاطبة الجماهير

وكان من نتائج ذلك استقامة الألسن المتباينة ، كما دخل في التعليم المكتبي أيضا القرآن الكريم وعلومه ، وطبع أمهات كتب الحديث الصحيحة والتفسير حتى ترشد الجماهير الى جادة الصواب ، ورفع أمية الكبار ،

والتشجيع على القراءة النافعة ، والبحث العلمي السديد ، حتى تحافظ على عربيتها التى تشكل وآدابها لسان الأمة الجزائرية كلها (٢٠) • لأن نشر العربية معنـاه تسـهيل الطريق لفهم القرآن الكريم دين الشعب الجزائرى السماوى (٢١) •

(ج) المحافظة على الدين الاسلامى :

وضع أساس التبشير فى الجزائر الكردينال لافيجرى الذى قام بتأسيس المراكز الهامة للتبشير ، ثم قامت الجمعيات التبشيرية من بعده باكمـال مهامها ، وقـد نالت هـذه الجمعيات الدعم المادى من الأغنياء المسيحيين ، كما وضع رجال ونساء الكهنوت خبراتهم تحت تصرفها ، كما نالت أيضا معرفة وتأييد الحكومات اللادينية وقد اختارت مراكز التبشير مراكزها طبقا للأحـوال المعيشية والنفسية للسكان ، وكان من أهمهـا مراكز « ورقلة » فى الجنوب الجزائرى حيث تكثر المجاعات ، وفى بنى اسماعيل قرب بجايه ، وايفيل على ، وزواوه (٢٢) •

وكان ممكنا أن تثمر خطة التبشير نظرا لعدة عوامل هى : تباعد عهد التبشير ، قوة الاستعمار الذى يرعاه ، انتشار الجهل والفقر ، انتشار الطرقية المضللة للأفكار ، تقاعس المسلمون الجزائريون عن مقاومة جهود التبشير المسيحى قبل ظهور جمعية العلماء ، اذن يصدق هنا قول الشيخ محمد البشير عن الاستعمار الفرنسى بأن « الاستعمار الفرنسى فى الجزائر استعمار صليبى النزعة فهو ــ منذ احتل الجزائر ــ عمل على محو الاسلام لأنه الدين السماوى الذى فيه من القوة ما يستطيع أن يسود العالم ، وعلى محو اللغة العربية لأنها لسان الاسلام ، وعلى محو العروبة لأنهـا دعامة الاسلام ، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية الى ذلك ، ظاهرة وخفية ، سريعة ومتأنية ، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزحف المتصل الأيام والليـالى فى أعمال المحو ، لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله والعمل على تخييب آماله •• » (٢٣) •

وقد تمثلت مقاومة جمعية العلماء لأهداف الاحتلال الفرنسى فى النيل من الاسلام فيما أنشأته من مدارس ، ومساجد ، ونواد لنشر التعليم العربى الدينى ، واحياء الثقافة العربية الاسلامية ، ومقاومة جهود جمعيات التبشير التى ترنو الى نشر المسيحية بين الجزائريين • لأنه شكا كان يخامر الفرنسيين بأن القرآن هو سبب السخط الشعبى عليهم (٢٤) ، وقد أكد هذه الظاهرة أحد النواب فى البرلمان الفرنسى ، ومن ثم كان

قرار الفرنسيين تصفية الاسلام ، فكان تصدى جمعية العلماء لهذا التحول الخطير في التعصب الفرنسي تجاه الدين الاسلامي .

لهذا دعت جمعية العلماء الأمة الجزائرية للتضـــحية من أجل بناء المدارس العربية والمساجد فيما عرف باسم التعليم العربي « الحر » الذى حملت لواء الدعوة اليه جمعية العلماء المسلمين التى ركزت برامجها على تعليم العربية والقرآن وعلومه ، وكانت جمعية العلماء ترمى من وراء تلك الجهود الى ترسيخ دعائم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والابقاء على حيويتها حتى تمكن الناشئة الجزائريين من دراسة مبادىء الدين الاسلامي حتى تنمو شخصيتهم نموا عربيا اسلاميا ، يخالف تكوين وعقيدة دولة الاحتلال والدليل على ذلك اشتمال منهج الدراســــة بالجامع الأخضر بقسنطينة على نفس منهج التعليم العربي الحر الذى اشتمل على المواد التالية : تفسير القرآن الكريم وتجويده ، الحديث النبوى ، الفقه عـلى المذهب المالكي ، العقائد الدينية ، الآداب والأخلاق الاسلامية ، آداب اللغة العربية ، الرياضيات (٢٥) .

ومن أجل تدعيم الاسلام ، الدين الذى تدين به الشخصية الجزائرية نهجت بقية الزوايا والمســاجد نفس نهج الجامع الأخضر وذلك لمواجهة محاولات الاستعمار الفرنسي النيل من الاسلام .

(د) المحافظة على تاريخ الجزائر :

تعرض تاريخ الجزائر العربي الاسلامي ، لمحاربة الاحتلال الفرنسي ، وقد تمثلت هذه الحرب في تسخير التاريـخ الجزائرى لخدمة أهداف الاحتلال في محاولة لمسخ الشخصية الوطنية الجزائرية ومن ذلك على سبيل المثال : أن المناهج الفرنسية قد صورت التاريخ الجزائرى بأنه عبارة عن سلسلة فتوحات للجزائر من قبل الرومان والعرب ، والأتراك ، كما صورت الغزو الفرنسي بأنه « السلم الفرنسية » التى أنهت القرون المظلمة التى عاشتها الجزائر ، مما أدى الى انخداع بعض الجزائريين الذين درسوا في مدارس الاحتلال لهذا التزوير ـ المعتمد ـ للتاريخ الجزائرى ، فبات بعضهم من دعاة الادماج ، وأصبح البعض الآخر ينكر وجود كيان جزائرى أو شخصية جزائرية .

ورغم محاربة الاحتلال للتاريخ الجزائرى وحرمان الجزائريين من تعلمه ، الا أن الجمعيات التى عهد اليها بالتعليم الحر تحايلت على تدريسه تحت عنـاوين مختلفة مثل : « دراســة المواريث » ، دراســة مواقيت العبادات . دراسة تاريخ الاسلام ، أو تاريخ التشريع « وقد تم هذا في

الثلاثينيات ، أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد جاهرت جمعية العلماء بتدريس تاريخ بلادها علانية ، وعلى نطاق واسع فى معاهدها التعليمية . وأدى ذلك الى احياء تاريخ الجزائر بواسطة عدد من رجال حركة التعليم العربى « الحر » لتذكير الأجيال الجزائرية الحاضرة بماضيها التليد حتى يقتدوا به ، وينهجوا نهجه ، ولدحض آكاذيب الاستعمار المشوه لتاريخ الجزائر ، وأثمرت جهود حركة التعليم الحر بالنسبة لدراسة تاريخ الجزائر ، الى تعلق الجزائريين بتاريخ بلادهم ، وتمسكهم بشخصيتهم القومية .

وكان الطالب فى مدارس جمعية العلماء فى المرحلة الأولى يدرس تاريخ الجزائر خاصة ، والعالم العربى بصفة عامة فى السنة الثالثة بواقع حصتين أسبوعيا ، كما كان يدرس فى السنتين الخامسة والسادسة تاريخ الاسلام ، والسيرة النبوية ، ثم تاريخ احتلال الاستعمار لبلاده ، وحركات المقاومة التى قامت ضد الاستعمار ، مع المام بتاريخ العرب الحديث .

وهكذا ساعد التعليم العربى الحر على بعث التاريخ الجزائرى والمحافظة عليه باعتباره أحدى المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية (٢٦) .

(هـ) جغرافية الجزائر :

أفردت مناهج التعليم العربى الحر « مكانة خاصة لتعليم جغرافية الجزائر خاصة ، وجغرافية الوطن العربى بصفة عامة ، وقد عنونت معاهد التعليم العربى الحر بعض مكتب الجغرافيا بشعار جمعية العلماء وهو الاسلام ديننا ــ العربية لغتنا ــ الجزائر وطننا . باعتبار هذه الشعارات تدعو الى المحافظة على الشخصية الجزائرية وتحريرها من الاحتلال الفرنسى الذى عمل على فرنستها وتنصيرها وادماجها .

وكانت معاهد التعليم العربى تعنى بتدريس مادة الجغرافية مثل التاريخ بالنسبة للأطفال ، وكانت تخصص لها حصصا تركز فيها على دراسة جغرافية الوطن الجزائرى والوطن العربى ، والعالم الاسلامى فقط حتى ينشأ الأطفال الجزائريون فى هذا الطور من تكوينهم نشأة وطنية عربية اسلامية .

وقد ساهمت مادة الجغرافية مع مادتى التاريخ والأناشيد الوطنية فى ارساء مبادىء : حب الوطن الجزائرى ، وسكانه ، ولغته العربية

وديانته وثقافته في نفوس النشء الجزائري الذين أدركوا حقيقة الأرض التي يعيشون عليها ، وعروبتها ، واسلامها ، وأنها ليست جزءا من فرنسا حسب مزاعم قادة الاحتلال وأشباههم .

٤ ـ أثر الشرق العربي على الفكر الجزائري :

والى جانب النهج التعليمي ـ الذي حملت لواءه جمعية العلماء ـ الذي نجح في المحافظة على الشخصية الجزائرية ، تأثر الفكر الجزائري بنهضة الشرق العربي مما أفاد الكفاح الجزائري في تثبيت شخصيته فقد تأثرت الجزائر بنهضة الشرق العربي خاصة مصر ، وكانت الجزائر على حد وصف أحد مؤرخيها (٢٧) متجهة بعقولها وقلوبها نحو مصر (٢٨) ترى فيها : الدين والاصلاح الاجتماعي ، والحضارة والعبقرية السياسية . ففي سنة ١٩٠٤ زار الشيخ محمد عبده الجزائر ، ولم تعط زيارة هذا المفكر الاجتماعي ، أو غيره من المصلحين مثل الشيخ رشيد رضا ـ الذي اقام في مصر ردحا طويلا من الزمن لدرجة أنه أصبح مصريا كالمصريين ـ نتائج مباشرة على الصعيد الفكري (٢٩) ، وانما أثرت أفكارهم فيما بعد في الجزائريين الذين تابعوا آراء الشيخ محمد عبده وغيره من المفكرين من خلال مؤلفاتهم وأفكارهم التي كانت تنشر في مجلتي العروة الوثقى ، والمنار التي تابعها المثقفون الجزائريون القارءون بالعربية والتي كانوا يرون فيها أكبر عون لهم على الاصلاح الاجتماعي ، وايقاظ الأمة الجزائرية ، وتطهير الديانة الاسلامية ، وقد الهمت هذه الأفكار العربية الاسلامية الشيخ بن باديس وجماعته الذين أفلحوا في انشاء جمعية العلماء التي نادت بالفكرة العربية الاسلامية من خلال مدارس العلماء ، ومعاهدهم ونواديهم ، وبعثاتهم الدراسية الى الشرق (٣٠) ، وأيضا دعاتهم : كالفضيل الورتلاني الذي أفلح في كسب صداقات بعض شيوخ الأزهر الى حد اقتراحه عليهم بعض الأفكار الاصلاحية والمشاريع التي تعود بالخير على المسلمين مثل : اقتراح الفضيل على الأزهر انشاء معهد علمي بالجزائر ورد الشيخ محمد عبد الله دراز عليه متسائلا : هل سيكون لهذا المعهد نفس حقوق المعاهد الأزهرية ، أم ان غايته التثقيف والارشاد ؟ واذا وجد من يطلب العلم للعلم فهل يكفي عددهم لانشاء معهد دائم بمعنى انه اذا وجد مائة طالب فلابد للمعهد في الأعوام التالية من مئات الطلبة حتى تخصص له الحكومة المصرية ميزانية توافق عليها الى غير ذلك من المسائل كوجود المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم والدعاية ويجيدون الفرنسية (٣١) .

وربما كانت هذه الفكرة هي التي تطورت فيما بعد ، وبعد اتصال الفضيل بالشيخين دراز وشلتوت الذي أحاله اليهما الشيخ محمد عبد الله

دراز — الى تبنى الحكومة المصرية فكرة انشاء معهد فاروق للدراسات العربية فى الجزائر سنة ١٩٥٢ والدليل على ذلك نجاح جهود الفضيل فى موافقة الأزهر على انشائه وعلى اختيار المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم بالعربية والتبشير بالفكرة العربية الاسلامية أمام سياسة الفرنسة التى تحاول بها فرنسا مسخ الشخصية العربية الاسلامية فى الجزائر ، وقد وافقت فرنسا على انشاء المعهد فى البداية (٣٢) ، كما وافقت على شخصيات الأساتذه فيه ، ولكنها عادت ورفضت اعطاءهم تأشيرة الدخول الى الجزائر رغم ترحيبها بهم للمجىء الى فرنسا ، وأردفت السلطات الفرنسية بذلك حركة تنكيل برجال الحركة الوطنية الجزائرية ، ويبدو أن شبح أفكار المشرق العربى على الجزائر قد أرقها فعادت من جديد لرفض فكرة انشاء المعهد خوفا من تأثيراته الفكرية على سياسة الفرنسية التى كانت تتبعها فى الجزائر ، ولقطع العلاقات الثقافية والقومية بين الشعب الجزائرى والشعب المصرى • وبقية الشعوب العربية الأخرى من جهة أخرى •

أما على الصعيد السياسى فقد تأثر الجزائريون بمسلك الزعماء السياسيين من أمثال مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد على الطاهر ، وتابعوا مقالاتهم فى جريدة اللواء التى كانت تعبر عن آلامهم وآمالهم (٣٣) ، كما نقلت بعض الأحزاب الجزائرية كحركة انتصار الحريات الديمقراطية ، والعلماء نشاطها الى القاهرة حيث نسقت مع الأحزاب المغربية الأخرى — تحت ستار المغرب العربى — العمل المشترك ، كذلك كان السبب وراء نشاطها السياسى يكمن فى التعريف بالجزائر وعروبتها لدى : السفارات العربية ، والجامعة العربية ، الجامعات ، الجمعيات : كجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الشبان المسيحيين (٣٤) ، وقد تأثر هؤلاء الزعماء الذين مارسوا نشاطهم فى القاهرة بالتيارات السياسية المشرقية مثل حسين آيت أحمد ، محمد خيضر ، أحمد بن بله ، وهوارى بومدين (٣٥)

وكانت هذه التيارات المشرقية سواء أكانت ثقافية أم سياسية من العوامل التى ساهمت فى تثبيت الشخصية العربية الاسلامية للجزائر •

الفصل الرابع

الاتجاهات فى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى

تعاونت الأحداث والتطورات التى وقعت فى أوائل القرن العشرين فى بلاد العالم الشرقى الاسلامى وفى أوربا وساعدت على بداية الحركة القومية الجزائرية ، حقيقة لم تترك زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة ١٩٠٤ نتائج مباشرة ، وانما بذرت بذورا ستظهر ثمارها فيما بعد ، كما جاء الانقلاب العثمانى الذى وقع سنة ١٩٠٨ بدستور لبلاد الشرق الأدنى ، ووقف عدد من الدول الأوربية موقف العداء من دولة الخلافة العثمانية ، ثم هزت الحرب الايطالية الطرابلسية مشاعر العالمين العربى والاسلامى ، ودفعت بالمتطوعين من تونس والجزائر الى المشاركة فيها • كما وجدت آراء المصلح جمال الدين الأفغانى صداها فى العالم الاسلامى (١) •

وشعر الجزائريون ــ ازاء هذه الأحداث والتطورات التى وقعت فى أوائل القرن العشرين ــ بمدى قوة الغرب عسكريا وسياسيا ، ومدى ضعفهم وضعف اخوانهم فى العالمين العربى والاسلامى الذين يرتبطون معهم برباط الدين واللغة ، وقد أدى سوء الأحوال الاقتصادية فى الجزائر الى تصاعد المد الوطنى فى شكل هجرة جماعية الى المشرق وتركيا ، كما انتهز المثقفون الجزائريون فرصة نذر الحرب ، ومدى حاجة فرنسا لتجنيد الجزائريين للعمل فى الفرق المدرعة ، والمصانع والخنادق الأوربية (٢) ــ وقد بلغ عدد العمال الجزائريين الذين عملوا فى الأراضى الفرنسية عام ١٩٢٤ ، ١٠٠٫٠٠٠ عامل جزائرى (٣) ــ وطالبوا بالغاء قانون الأهالى ، وتغيير نظام الضرائب واصلاح التعليم ، وزيادة عدد ممثلى الوطنيين فى المجالس البلدية والمالية ، وقد أثارت هذه المطالب حفيظــة المستوطنين

الذين تصدوا لمطالب الوطنيين · وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد الجزائريون الى بلادهم بمدخراتهم الصغيرة التى كونوها من مرتباتهم · وبتجاربهم التى اكتسبوها فى المصـــانع ، والمناجم ، وميادين القتال ، وتمكنوا من شراء قطع صغيرة من الأرض ، تسمح لهم بالعيش فى بلادهم ، وبدأوا يفكرون فى مستقبلهم ، ومستقبل فرنسا التى ساهموا فى جلب النصر لها ، فكانت بداية المشاركة فى السياسة ، وساعدتهم على ذلك بعض العوامل منها : نشأة الصـحافة فى الجزائر ، وظهور شخصيات تأثرت بتجارب الحرب ، وأثرت بالتالى فى الحركات السياســـية فى الجزائر (٣) · فكان أن تقدم وفد جزائرى — من الضباط الجزائريين فى الجيش الفرنسى — بزعامة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر بمطالب الى الرئيس ويلسون Wellson الموجود بفرساى بفرنسا مطالبا بتطبيق المبادىء المعروفة باسمه (٤) وكون الأمير خالد الحزب الاصلاحى ، وتعتبر حركته بداية للحركة الوطنية الجزائرية ، وحاولت الحركات السياسية الجزائرية جميعها ، وحتى الحزب الشيوعى الجزائرى ، العودة بتاريخها الى الوراء والانتساب الى هذه الحركة (٥) · ورغم المواجهة العنيفة التى أتبعتها السلطة الفرنسية ازاء الحركة الوطنية الجزائرية الا أن الأحزاب السياسية الجزائرية توالت فى الظهور خاصة فى الثلاثينات ، وهى الفترة التى يمكن فيهـــا تحديد هوية التيـــارات السياسية واتجاهاتهـــا التى تنوعت بين :

أولا : تيـــار يتنوع بين أقصى اليمين واليمين المعتدل وقد عبرت عنه الطرق الصوفية وكتلة المسلمين الجزائريين المنتخبين (F.E.M.A.)

ثانيا : تيـــار الوسط وقد عبرت عنه جمعية العلماء ·

ثالثا : تيار يتنوع بين اليسار وأقصى اليسار وقد عبرت عنه جمعية نجم شمال أفريقيا (E.N.A.) والحزب الشيوعى الجزائرى (P.C.A.)

الا ان ثمة ملاحظات على هذه التيارات السياسية منها : اندثار أقصى اليمين مع تطور الحركة الوطنيـــة ، وميل قوى اليمين المعتدل ، وقـــوى الوسط نحو اليسار ، خاصـــة بعد الحرب العالمية الثانية كما سنرى فيما بعد ·

وسنحاول التعرف على خاصية هذه التيارات المتنوعة التى برهنت على مدى تقدم الوعى السياسى والقومى والاجتماعى عند الجزائريين (٦) ·

اولا تيار يتنوع بين أقصى اليمين ، واليمين المعتدل وقد عبرت عنه :

(أ) الطرق الصوفية ·

(ب) وداديه المسلمين المنتخبين

(أ) الطرق الصوفية :

انحرفت الطرق الصوفية عن جادة الصواب على يد معظم خلفائها الذين خلطوا الأمور ، وأكثروا من البدع ، وادعوا صفات الالوهية أمام العامة من أتباعهم الذين اقتنعوا بقدرتهم على المنح والحرمان ، وقد أدى هذا السلوك المنحرف للطرقية إلى افساد الفطرة الاسلامية ، وتفكك روح الاخوة الاسلامية وتطويع الجزائريين على الذل والمهانه والخضوع للاستعمار (٧) ، وقد أدى تعاونهم مع الاستعمار الى احتفاظهم بامتيازاتهم المادية ، ونفوذهم على الأهالي خاصة في جنوب الجزائر وشكلوا بذلك خطرا على البلاد ، وعلى الحركة القومية الجزائرية مما أدى الى مهاجمة العلماء لهم بسبب تعاونهم مع الاستعمار ضد الجزائر ، تشويهم لأفكار ووجدان العامة بما بثوه فيهم من بدع وخرافات وذلك لتطهير الدين الاسلامي من البدع والعودة به الى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح

وتحت عنوان لماذا حارب الشهاب الطرقية ؟ يقول ابن باديس « حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها ـ علم الله ـ من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا على ان نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على نية من تسبته اليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي : الا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم فكل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة ، وكل طرقي أو غير طرقي تكون آذنا سماعه ، آلة مسخرة فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب الى الله (٩) ·

اذن نستنتج من حديث بن باديس الأسباب التي حدت بالعلماء لمهاجمة الطرق الصوفية ؟ والتي تجمع في ابتلاء الأمة بها ، وايضاح هذا البلاء لانصار الطرق الصوفية من أبناء الأمة حتى ينفضوا من حولها لا سيما بعد أن أصبحت الطرقية أداة مسخرة من قبل الاستعمار ، وما دامت الطرقية مسخرة ، فالعلماء في حالة حرب مستمرة معهم حتى يطهروا الاسلام الحنيف من بدعتهم ، وأراضيهم ، ودعاويهم الانهزامية لانصارهم بطاعة الاستعمار · وبهجوم العلماء المتواصل تنبهت الأمة الجزائرية لخطر الطرقية التي اندثرت فيما بعد مع تطور الحركة الوطنية الجزائرية (١٠) ·

(ب) ودادية المسلمين المنتخبين Fédération des Elusmuslims (١١)

تنوعت ميول أعضاء هذه الجماعة ، فمنهم من كانت ثقافته الفرنسية تحول دون معرفته اللغة العربية ، ومنهم المسلمون ومنهم الاشتراكيون ،

ولكن كان يجمعهم هدف واحد هو معارضة الاستعمار (١٢) ، وكان معظم هؤلاء أعضاء في المجالس البلدية أو مجلس الوفود المالية ، أو موظفين في الادارة واعتنقوا فكرة التعاون مع فرنسا ، قد ألف هؤلاء اتحاد المسلمين المنتخبين F. E. M. A. للتعبير عن مطالبهم في الهيئات المحلية المنتخبة ، وتزعمه الدكتور بن جلول وكان الهدف الرئيسى لهذا الاتجاه الادماج التدريجي للشعب الجزائرى تحت قيادة النخبة من المثقفين في الحياة الفرنسية ، وتحسين أحوال جميع الجزائريين ، وقد عكست مقالات فرحات عباس هذا الاتجاه الذى عبر عنه فى خطابه باسم الاتحاد فى حضور وزير الداخلية الفرنسية رينيه Regnier الذى قال أمامه « لم يبق شيء فى هذه البلاد الا الاتفاق على سياسة الادماج وذوبان العنصر المحلى فى المجتمع الفرنسى (١٣) ، ولكنه أوضح رأيه فى بيانه الذى أعلنه فى العام التالى سنة ١٩٣٦ (١٤)

ورغم ان مطلب هذه الجماعة الرئيسى هو المساواة الا أن هذا المطلب قد انبثقت عنه مطالب فرعية مختلفة كزيادة عدد نوابهم ، والمساواة فى المرتبات ، وفى الخدمة العسكرية داخل صفوف الجيش الفرنسى . كما طالبت أيضا بالغاء المحاكم الاستثنائية التى تهدد سواد الشعب بأقصى العقوبات لأدنى مخالفة ، وتعديل نظام المحلفين والغاء الغرامة الجماعية فى الغابات التى حرم الاستعمار الوطنيين من الدخول اليها ، والمخالف الذى تتسرب غنمه الى الغابات يعاقب بالحبس والغرامة ، أما على صعيد المسائل الاجتماعية فقد طالب النواب بحرية العقيدة والتعليم للمسلمين ، ومساواة الدين الاسلامى بغيره من الديانات (١٥)

ثانيا : تيار الوسط الذى عبرت عنه جمعية العلماء المسلمين :

سبق نشأة جمعية العلماء مرحلة اعداد ثقافى وروحى تمثل فى انطلاق موجة من الشبان الجزائريين صوب تونس ، والمغرب ، والشرق الأدنى بهدف دراسة علوم اللغة العربية ، والدين الاسلامى ، بعد ان عمل الاستعمار على محاربة مقومات الشخصية الجزائرية — التى تمثلت فى الدين واللغة ، والتاريخ والثقافة العربية — حتى يقطع صلة الجزائر بالعالم العربى ، وتمنع الجزائريين من التفكير فى الاستقلال عن فرنسا ، وقد شملت هذه الموجة أيضا زعامات الظل التى ستتبوأ مستقبلا المراكز القيادية ، وقد تعلمت هذه الموجة من العلماء الأفكار النظرية عن الحضارة الاسلامية ، واطلعت على التصورات العابة لمشاكل وقوى العالم ، وعاد هؤلاء عند نهاية الحرب بأفكار معادية للفرنسيين ، وبدأوا فى انشاء الصحافة والمدارس ، والنوادى ، كما داعبتهم فكرة انشاء منظمة تعكس

جهودهم ، وكان أمامهم اختيار أحد طريقين للاصلاح : الأول منها التركيز على التعليم بغية تخرج جيل جديد من الزعامات ذوى المؤهلات العالية لمواجهة تحدى خصوم الاصلاح ، والثانى ايقاظ الجماهير من سباتها بالاتصال المباشر بها وانتصر الاختيار الثانى نتيجة تبنى ابن باديس له والذى كون مع تلاميذه لدى عودته من الخارج جماعة كان هدفها الأساسى اصلاح الدين الاسلامى (١٦) بهدف تخليصه من كافة البدع والأراجيف التى أدخلت عليه ، ومن التفسيرات الغريبة التى آثارها مفسرو القرآن طوال قرون ، ونشر اللغة العربية بانشاء المدارس ·

وكان لترابط العلماء تحت هذا الشكل المزدوج قوة هائلة تهدف الى تحرير الشعب وأثمرت جهود جمعية العلماء فى نشر الوعى الوطنى بين الجزائريين ، وفى معارضة سياسة الاستعمار الذى عمل على تحطيم القومية الجزائرية ، وقد تصدى الشيخ عبد الحميد بن باديس للدفاع عن القومية الجزائرية التى أنكرها أحد الزعماء الجزائريين وهو فرحات عباس فى عام ١٩٣٦ (١٧)

وقد انبثقت عن جمعية العلماء ثلاثة اتجاهات :

١ ـ **اتجاه دينى** : ينادى بالاسلام الذى اختاره الله لتسعد به البشرية لأنه يدعو الى الاخوة والمساواة ، والعدل ، والاحسان ، وتحرم كافة الوان الظلم والمناداة بجعل الحكم شورى حتى لا ينفرد الحاكم بالحكم استنادا الى الآية الكريمة « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » (١٨) ·

٢ ـ **اتجاه اجتماعى** : اتخذ العلماء من القرآن كتاب الاسلام ، ومن السنة المحمدية ، ومن الصحابة ، والتابعين ، واتباع التابعين مثلا أعلى للتعامل فى الحياة · أما غير ذلك فقد حرموه ، وحاربوا البدع كالطرق الصوفية التى لم يعرفها صحابة رسول الله · واعتبروها من أنواع الشرور فى الدنيا لأن فيها تجميد للعقول ، واماتة للهمم ، وقتل للشعور ·

٣ ـ **اتجاه سياسى** : أيد العلماء الفكرة القائلة بأن الجزائريين يجب ان يكونوا ممثلين بكفاية فى كامل المجالس بما فى ذلك المجلس الوطنى الفرنسى ، وقد أدت هذه المطالب التى تقدم بها العلماء الى اصطدامهم بالادارة الفرنسية ، وترتب على ذلك صدور اجراءات شديدة ضدهم ، اذ صدرت المراسيم الفرنسية بجعل الوعظ والارشاد فى المساجد قصرا على الشيوخ المعينين من قبل الفرنسيين · وعينت فرنسا لرياسة اللجنة الاستشارية ولكن برغم هذا فان دعاية العلماء لا تزال تصل الى الجزائريين

وهو مجهود يرجع نجاحه الى العامل الدينى (١٩) ٠ وقد رحب الجيل الجديد من الجزائريين بأفكار العلماء ، وطريقة تناولهم للمشاكل الاجتماعية ، وتفسيرهم التحررى للدين ، وتصديهم للخرافات ، لأنهم أعطوا الشعب الجزائرى فكرة الاستمرار ببعثهم وتركيزهم على بعض القيم الاجتماعية والثقافية التى لولاهم لكانت فى طى النسيان ٠

ثالثا : تيار يتنوع بين اليسار وأقصى اليسار وتعبر عنه :

(أ) جمعية نجم شمال أفريقيا (E.N.A.)

(ب) الحزب الشيوعى الجزائرى (P.C.A.)

(أ) جمعية نجم شمال أفريقيا Etoile Nord Africaine : (٢٠)

تألفت هذه الجمعية فى شهر مارس سنة ١٩٢٦ فى باريس ، وقد ألفها أتباع الأمير خالد الذين طوروا برنامجها فيما بعد ، وكان أغلب أعضاء هذه الجمعية من العمال ، والجنود الذين سرحوا من الخدمة العسكرية ، وطلبة شمال أفريقيا ، والتونسيين والمراكشيين ، وقد تركز معظم نشاط هذه الجمعية بين صفوف العمال الذين يخدمون فى منطقة باريس (٢١) ، الا انها أخذت تدريجيا فى التخفيف من عضوية التونسيين والمغاربة لتصبح فيما بعد منظمة جزائرية بحتة ، ونالت هذه الجمعية عطف وتأييد اليسار الفرنسى وكذلك المنظمات المناهضة للاستعمار رغم انها كانت ترنو الى استقلال شمال أفريقية كله ٠

وقد عالجت جمعية نجم شمال أفريقيا أمورها السياسية بالطريقة الثورية ، والمباشرة معتمدة فى هذا على الصحافة همزة الوصل بينها وبين الجماهير الجزائرية سواء أكانت فى الجزائر ، أم فى فرنسا فاعادت اصدار صحيفة الاقدام التى أنشأها الأمير خالد سنة ١٩١٩ تحت عنوان جديد هو « الاقدام الباريسى » وأضافت اليه الجمعية عنوان فرعى باللغة العربية « من أجل الدفاع عن مسلمى شمال أفريقيا » (٢٢) ٠

وقد برز حزب النجم فى الميدان رغم عداء المستوطنين والشيوعيين له مؤكدا استقلال مذهبه ، واشترك فى مؤتمر بروكسل فى الفترة (١٠ ــ ١٥ فبراير ١٩٢٧) والذى نظمته الجمعية المعادية للاضطهاد الاستعمارى (٢٣) وحضرته وفود آسيوية وافريقية ، وأوربية وأمريكية ٠ وقد استغل النجم هذه الفرصة لاعلان مطالب الجزائريين أمام الاجتماع العالمى الذى كان الأول من نوعه فى برنامج ثورى من خمس عشرة نقطة تتلخص فى : استقلال الجزائر ، وانشاء جيش وطنى ، ومصادرة الأملاك

الزراعية الكبيرة للشركات الاقطاعية ، والغــاء قانون الأهالى والقوانين الاستثنائية الأخرى ، واطـلاق الحريات كحرية الصـحافة ، والحقوق السياسية والنقابية ، والانتخابية ، وحق الجزائريين فى التعليم بجميع مراحله ، وانشــاء المدارس العربية ، وزيادة القروض الفلاحية وتطبيق القوانين الفرنسية على الجزائريين .

وأمام النشاط المتزايد لحزب النجم أقدمت الحكومة الفرنسية على حله في سنة ١٩٢٩ فلجأ زعماءوه الى النشاط السرى ، معززين بذلك التنظيم الشيوعى الذى كانوا قد انضموا اليه فى البداية وفى نفس الوقت تأسس حزب جديد تحت اسم النجم الثاقب ، كان أعضائه يصدرون صحيفة الأمة في أوقات غير منتظمة ، ولكن الحزب تعرض هو الآخر للحل مثل حزب النجمة (٢٤) . وعاد حزب النجمة الى الظهور من جديد سنة ١٩٣٣ . وعقد مؤتمرا عاما وهاما في فرنسا نشر فيه أعضاؤه دستورهم الرسمى فى سنة ١٩٣٣ . وفى هذا الدستور استجاب الحزب استجابة كلية لآمال الشعب الجزائرى (٢٥) فى الحرية التى قيدها قانون الأهالى والذى جعل الجزائريين مواطنين من الدرجة الثانية . وقد طالب حزب النجمة بالغاء كافة القوانين الاستثنائية بما فيها قانون الأهالى . ولم يخرج برنامج حزب النجمة فى سنة ١٩٣٣ فى مجمله عن المطـالب التى عرضها وناضل من أجل تأكيدها حزب نجم شمال أفريقيا فى مؤتمر بروكسل ١٩٢٧ ، وقد اقتصر حزب النجم بصورة رئيسية على فرنسا ، وانشأ اتصـالات له مع البلدان العربيــة والاسـلامية بما فيها تونس ومراكش .

أعاد مصالى سنة ١٩٣٤ تكوين النجمة باسم جديد هو الاتحاد الوطنى لمسلمى شمال أفريقيا . ولكن السلطات الفرنسية اعتبرت هذا الحزب هيئة غير مشروعة فقبضت على مصالى والقت به فى السجن ، ثم أفرجت عنه بعد ذلك فسافر الى سويسرا هربا من التهديد بالاعتقال نظرا لالتقائه مع اليسار الفرنسى فى ادانة العدوان الايطالى على الحبشــة وفى جنيف التقى بالأمير شكيب ارسلان الذى تمكن من اقناعه بالتحول الى مظهره العربى الاسلامى ، كما حمله على زيادة الاتصـــال بالحركة الاصلاحية فى الجزائر نفسها وقد سمحت حكومة الجبهة الشعبية فى فرنسا بعودة مصالى الى باريس حيث استأنف نشاطه السياسى هناك

وقد عاد مصالى الى الجزائر فى أغسطس سنة ١٩٣٦ ، وعقد اجتماعا هاما فى الملعب البلدى بمدينة الجزائر بحضور نحو عشرة آلاف وطنى ثم طاف بعد ذلك بجميع أنحاء البلاد ، وقد أسفرت هذه الجولة عن

تأسيس واحدا وثلاثين فرعا للجمعية ، هذا فضلا عن ثلاثين فرعا أخرى ، وسبعة فروع فى فرنسا • وهنا أدرك الحزب الشيوعى الفرنسى مدى خطورة النجمة ومدى اجتذابها لأعضائه فناصبها العداء الصريح • وانتهى الأمر بحكومة الجبهة الشعبية — التى حظيت بتأييد الكثير من الشباب الجزائرى — الى حل النجمة نهائيا فى ٢ يناير سنة ١٩٣٧

(ب) الحزب الشيوعي الجزائرى Parti Communiste Algérien : (٢٦) :

انسلت الأفكار الشيوعية الى الجزائر منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، اذ عثر فى منطقة القبائل سنة ١٩٢٢ على منشورات تدعو الى الانضمام للحركة الشيوعية العالمية ، وقد تضمنت هذه المنشورات المطبوعة فى مرسيليا مدحا للنظام اللينينى • وقد أوضحت جريدة فرنسية محافظة فى سنة ١٩٢٢ اختيار الشيوعيين للجزائر كحقل تجربة يمارسون فيها نشاطهم رغم خصوبة الزعماء السياسيين والدينيين لهم ، كما بين ذلك تقرير كوتوريى ممثل الحزب الشيوعى الفرنسى فى شمال أفريقيا •

وازاء الانتقادات العنيفـــة ، والاتهـــامات التى وجهت الى الحزب الشيوعى الفرنسى فى سنتى ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ من قبل بوضنقه التونسى ومانويلسكى الروسى ، اضـطر الحزب الشيوعى الفرنسى الى تفنيد الاتهامات التى وجهت ضده (٢٧) ، وللوصول الى ذلك تحرك فى اتجاهين : الأول منهما هو انشاء فرع له فى الجزائر تمهيدا لانشاء حزب شيوعى جزائرى ، وقد أصدر الفرع صحيفة أسماها الصراع الاجتماعى كانت تتلقى أوامر من الحزب الشيوعى الفرنسى كما انها عالجت القضية القومية الجزائرية ضمن القضايا الفرنسية الداخلية ، كما اهتم الفرع بالعمال الفرنسيين الموجودين فى المـدن الرئيسية الجزائرية وأهمل العمـال الجزائريين الذين كانوا يعيشون عادة فى المناطق الريفية • كما تمثل الاتجـاه الثانى فى تحرك الحزب الشيوعى الفرنسى للعمل على ضـم الجزائريين ، وغيرهم من مواطنى افريقيا الشمالية الى صفوفه (٢٨) •

حصل الشيوعيون الجزائريون فى المؤتمر الذى عقد فى فيلربان Villeurbanne فى فرنسا سنة ١٩٣٥ (٢٩) على حق تكوين حزب شيوعى جزائرى مستقلا استقلالا ذاتيا عن الحزب الشيوعى الفرنسى وقد قرر مؤتمر سنة ١٩٣٥ انشاء حزب شيوعى جزائرى كما تغلب على مقاومة الأقلية الأوربية وبدأ تحت قيادة جان شانتورن المسمى ببارتل فى اكتساب صفة محلية ، وفى اسناد مناصب القيادة فى الحزب الى الجزائريين أمثال « اوزجان عمار » ، « ابن على بوخور » (٣٠) ، وقد زوجت

القيادة الشيوعية لأفكارها عن طريق المنشورات ، والصحافة ، وبرغم هذا فان الحزب قد صادف الفشل بسبب برنامجه ·

وقد اتخذ الحزب الشيوعى الفرنسى بسبب تعاونه مع الحركة الشيوعية العالمية بعض المواقف الخاصة ـ وقد شملت هذه المواقف « التحالف » بين الشيوعيين والجماعات الوطنية الثورية وخلق جبهة متحدة ، وتجنيد الجزائريين الى صفوفه ، وتعاون وثيق مع النجمة · وقد باءت كل هذه المحاولات التى حاولها الحزب بالفشل (٣١) · من الحركة الوطنية الجزائرية ، ومن ناحية أخرى فشل فى التوفيق بين مذهبه العالمى وأعماله القومية ، وكان المفروض عليه كعضو فى الحركة الشيوعية العالمية نيابة عن الجزائر ان يهاجم الاستعمار حتى ولو أدى ذلك الى تمزيق الامبراطورية الفرنسية ولكنه لم يفعل ذلك ، كما فشل أيضا على الصعيد الجزائرى فى جذب الاتجاهات الوطنية الجزائرية الأخرى الممثلة فى جماعة النخبة ، والمصلحين ، وقوة العلماء قبل تأسيس جمعيتهم وأخيرا الاتجاه الثورى لنجم شمال أفريقيا الذى نشأ فى ظل الحزب الشيوعى الفرنسى ، ولكن جوهر الخلاف كان يكمن فى قضية القومية ، وانكار الشيوعيين الفرنسيين فى الجزائر للحركة الوطنية الجزائرية الذى تزعم اتجاهاتها النجم ، ورغم هذا فقد استفادت الحركة الوطنية من نشاط الشيوعيين فى الآتى :

١ ـ تسخير وسائل اعلام الحزب الشيوعى لمطالبها فى المساواة فى الحقوق واعادة توزيع الأراضى ·

٢ ـ احتماء بعض الوطنيين فى الحزب الشيوعى الفرنسى حتى لا يصيبهم أذى القوانين التعسفية التى كانت موجهة ضدهم مثل قانون الأهالى وغيره ·

٣ ـ اقتباس الحركة الوطنية الجزائرية للوسائل الشيوعية فى معارضة الاستعمار الفرنسى والتى تمثلت فى النظام الصارم ، والمناورات السياسية ، والشعارات الثورية «كالاستعمار ، والامبريالية والبرجوازية» .

٤ ـ ورغم اختلاف هدف الوطنيين والشيوعيين فان الحزب الشيوعى الفرنسى قد لفت اليه أنظار الجزائريين بمهاجمته الاستعمار عموما ·

وكما سبق الحديث اندثرت قوى اليمين المتطرف (الطرقية) مع تطور الحركة الوطنية ، ومالت قوى اليمين المعتدل والوسط صوب اليسار خاصة بعد الحرب العالمية الثانية الا ان الوسط قد انفرد ببرنامجا كان يرمى الى تدعيم شخصية الشعب الجزائرى بعروبتها واسلامها وقد عبر عن هذا الاتجاه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ·

الباب الثانى

جمعية العلماء

في شهر يوليو سنة ١٩٣٠ أعلنت فرنسا عن احتفالات كبيرة لمدة ستة شهور ، وقد دعي لهذه الاحتفالات — التي امتلأت بالمهرجانات — الدنيا كلها على حد وصف الشيخ البشير لها (١) ، وقد أنفق الفرنسيون على هذه الاحتفالات ما يربو على الثمانين مليونا من الفرنكات (٢) . وكانت مناسبة هذه الاحتفالات مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر ، وقد عمد الفرنسيون في هذه الاحتفالات الى استعراض جيوشهم بالجزائر على غرار جيوش الكونت دي بورمونت — التي دخلت مدينة الجزائر في الساعة العاشرة من صباح يوم ٥ يوليو سنة ١٨٣٠. (٣) — من حيث اللباس ، والعتاد ، والنظام ، والموسيقى ، والأناشيد ، ومعدات النقل (٤) ، كما حضر هذه الاحتفالات رئيس الجمهورية الفرنسية ، ورغم ان بعض الجزائريين قد علق آمالا على هذه الاحتفالات ، الا ان المحصلة النهائية لها كان مجرد الحصول على قرار بالغاء محاكم الزجر الابتدائية (٥) وقد ابرزت هذه الاحتفالات — من خلال التصريحات المعلنة من قبل المسئولين الفرنسيين — مدى روح التعصب الاستعماري ومن ذلك على سبيل المثال : « ان هذا الاحتفال أقيم أيضا لنصلي صلاة الجنازة على الاسلام والعربية في الجزائر ! فقد قبرناهما الى الأبد ! وصارت الجزائر فرنسية في كل أشيائها » مما آثار استياء الجزائريين الذين أهينت مشاعرهم وعقيدتهم .

وفي هذه الفترة تمكن تلاميذ وأتباع الشيخان : بن باديس ، والبشير الابراهيمي — الذين كانوا يخطون وأنصارهم خطوات جادة في سبيل انشاء جمعية العلماء — من افساد الكثير من برامج هذه الاحتفالات المئوية بدعاياتهم السرية — (٦) ، ثم تلى ذلك الخطوة الجادة نحو اخراج فكرة جمعية العلماء الى حيز التنفيذ ، فاجتمع أربعة من العلماء قائلين : ان العامل القوى لتوحيد الشعب الجزائري هو الدين ، وان الغرض من انشاء هذه الجمعية هو العودة الى الاسلام الصحيح ، وكان هؤلاء الأربعة هم : عمر اسماعيل محمد العاصمي ، محمد عبابسة شاعر الأعراش ،

وأحمد توفيق المدني الذى كلف بتحرير القانون الأساسى لجمعية العلماء فقام الشيخ المدنى بهذه المهمة فحرر مائة نسخة من القانون الأساسى ، كما وجه الدعوة الى مائة من كبار الشخصيات المثقفة ومن أبرزهم الشيخ البشير الابراهيمى (٧) ، والعقبى ، الميلى ، العربى ، التبسى ، وبعض شيوخ الطرق كالشيخ القاسمى ، وبن عليوه ، وبعض شيوخ الجنوب كالشيخان ابراهيم أبو اليقظان ، وابراهيم بيوض ، وبعض كبار الأدباء مثل الأمين العمودى ، والسعيد الزاهرى ، وسعيد أبو يحيى الزواوى وغيرهم وقد استجاب لهذه الدعوة ٩٩ منهم ، وكان مقدرا أن يستجيب الى الدعوة أربعين أو خمسين شخصية ، وهكذا تأسست جمعية العلماء ، وانتخب لهـا مجلس ادارى يشمل أهم الرجال فكان فيهم المصلح مثل بن باديس ، والعقبى ، والابراهيمى ، وسعيد الزهرى ومنهم الطرقيين كبن عليوه ، والقاسمى مدير معهد الهامل جنوب بوسعادة (٨) .

واتخذت الجمعية من نادى الترقى الذى أسس بالعاصمة الجزائرية سنة ١٩٢٦ ، مقرا لاجتماعاتها ومؤتمراتها السنوية (٩) ، وبهذا برزت جمعية العلماء التى كانت مجرد فكرة ــ أتفق عليهـا العلماء السنين فى التشاور والتخطيط من أجل اخراج هذه الفكرة ــ الى حيز الوجود يوم ٥ مايو سنة ١٩٣١ .

الفصل الخامس

نشأة جمعية العلماء وجهودها التعليمية

عشية الحرب العالمية الأولى انطلقت موجة من العلماء الشبان قاصدين تونس ، والمغرب ، والشرق الأدنى لتنفيذ عدة أهداف : فربما كان انطلاقهم الى هذه الأنحاء بغية الهروب من الخدمة العسكرية الاجبارية ، وربما كان هدفهم الحصول على بعض الثقافة العربية والتوجيه الاسلامى الذى لا يوجد منه فى الجزائر سوى النزر اليسير ، وقد شملت هذه الموجة من الشبان زعماء المستقبل لجمعية العلماء : عبد الحميد بن باديس ، والبشير الابراهيمى ، والطيب العقبى (١) ٠

وقد تأثرت هذه الموجة المهاجرة بتعاليم رواد المدارس السلفية والوهابية والاصلاح الحديث وفى مقدمتهم ابن تيمية ، ورشيد رضا والشيخ محمد عبده (٢) الذين أنكروا البدع الموروثة ، وتمسكوا بنص القرآن الكريم ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونادوا بالوحدة بين الدول الاسلامية ، وبالعودة باللغة العربية فى الجزائر الى أصولها (٣) ٠

وعندما وضعت الحرب أوزارها ، رجعت هذه الموجة المهاجرة الى الجزائر ، فوجدوا مواطنيهم فى سبات عميق ، يائسين معزولين ، فبدأوا جهودهم الاصلاحية فى خلق الصحافة ، والمدارس ، والنوادى الثقافية ، الا أن فكرة انشاء منظمة تعكس تفكيرهم وجهودهم كانت تراودهم ، وكان الاحتفال المئوى الذى أقامته فرنسا بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر سنة ١٩٣٠ الحافز الذى حرك هذه الجماعة لاخراج فكرة جمعية العلماء الى حيز التنفيذ ، لأن الشعب الجزائرى على امتداد مراحل تاريخه لا يجتمع الا حول الدين والعروبة (٤) ، وهذه المعانى طرحتها جمعية

العلماء على الملأ حين أعلنت انها تتبنى شعارا هو : الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا (٥) ·

وقد اختلفت الروايات حول انشاء جمعية العلماء ، فبناء على رواية الشيخ البشير الابراهيمي « فان الشيخ بن باديس قد زاره بمدينة سطيف سنة ١٩٢٤ فى زيارة سريعة ، وأفصح له عن نيته فى انشاء جمعية تعرف باسم « جمعية الاخاء العلمي » تتخذ من مدينة قسنطينة مركزا لها ، وتجمع شمل العلماء والطلبة ، وتوحد جهودهم ، وقد صادفت هذه الفكرة التى طرحها بن باديس هوى فى نفس الابراهيمى الذى عهد اليه بن باديس بوضع القانون الأساسى لجمعية العلماء · وقد نال هذا القانون موافقة المجلس الذى يكون الجمعية بعد تعديل طفيف ، الا ان ثمة حوادث قد عطلت هذا المشروع ، وأبلغ بن باديس الابراهيمى بما حدث فى حينه ، الا ان الأخير كان من أنصـــار التريث حتى تختمر فكرة الجمعيـــة فى الأذهان (٦) ·

وكان بن باديس موفقا فى اطلاق اسم « جمعية الاخاء العلمى » على الجمعية اذ ذاع هذا الاسم على السنة المثقفين الجزائريين ، كما رددته الصحافة ، وتناقله الخطباء فى الاجتماعات العامة ، والألسن فى المجالس الخاصة ، ورغم هذا التبلور فان أعوان بن باديس قد شعروا بأن فكرة الجمعية ما زالت تحتاج الى الأعداد المحكم ، وان تنفيذها سيخلق انقسام بين الطبقة المتعلمة ، ألا ان احساس الجزائريين بسوء الأحوال الاقتصادية ، والعلمية ، والدينية ، والنفسية والأدبية ، وبصفة خاصة فى مجالى الدين واللغة كانت الدافع وراء اخراج فكرة الجمعية الى حيز الوجـود على يد جمـاعة المصلحين الذين جســدوا أمانى الأمة الجزائرية التى أحست بحاجتها الى اصلاح يشمل الدين والعلم والاجتماع ، وأصبح تأسيس جمعية تشرف على هــذا الاصـلاح المرجو ، وتتولى تخطيط مناهجه مجرد أمنية متقدمة الخطى ساعد على تجسيدهـا الاهانة التى مست مشـاعر الأمة الجزائرية من جراء احتفال فرنسا بمرور مائة عام على احتلالها للجزائر سنة ١٩٣٠ ، فكان أن قام أربعة من العلماء بتأسيس جمعية تنشر علوم الاســلام الصحيحة باسم جديد هو جمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين Association des Oulamas D'Algerie.

ورغم ما نسب البشير الى نفسه من انه كلف بكتابة القانون الأساسى لجمعية العلماء من قبل بن باديس (٨) ، ورغم ادعاء المدنى بتحرير القانون الأساسى لجمعية العلماء (٩) فان الجمعية قد برزت كواقع حى ملموس ، الا انهما يتفقان على أن اختيار بن باديس لاسم جمعية الاخاء العلمى ، كان بغية لم الشمل بين فريقين من المتعلمين فى الجزائر خلال العشرينات ·

الفريق الأول : وهم العلماء ، أى المثقفون الذين كانوا واعين سياسيا ولهم اتجاه اصلاحى ٠

الفريق الثانى : وهم قليلو الثقافة الذين تخرجوا من الزوايا المحلية وغيرها من المراكز الدينية (٦) ٠

بدليل ان البشير ذكر ان المجلس الادارى الذى تألف بالاختيار فى السنة الأولى كان « غير منقح ولا منسجم » نتيجة السرعة والتسامح فى الاختيـار (٧) ٠ أما رواية المدنى فى لقـائى معه : فقد ذكر ان أبرز الشخصيات التى وجهت لها المائة دعوة هى : بن باديس ، الابراهيمى ، العقبى ، الميلى ، العربى التبسى ، وبعض شيوخ الطرق مثل الشيخ القاسمى مدير معهد الهامل ، وبن عليوه ، وكبـار الأدباء مثل الأمين العمودى ، السعيد الزاهرى ، والشيخ سعيد أبو يحيى الزواوى ٠

ولم تشأ الجمعية ان تفصح عن نواياها الا تدريجيا ، لأنها كفكرة ، ثم كمولد ما زالت تحتاج الى الكثير من المعاونة ، ومن ثم فقد نهجت سياسة التفاهم مع السلطة ومهادنة الطرقية ٠ أما بالنسبة للتفاهم مع السلطة فان الشيخ بن باديس قد عقد سلسلة من الاجتماعات مع : (ميرانت) مدير الأمور الوطنية بالولاية العامة ، و (ميشيل) الكاتب العام للأمور الوطنية بدار العمادة بعاصمة الجزائر ٠ و (دور سيل) عامل عمالة قسنطينة وغيرهم من المسئولين بمدن الجزائر الأخرى ، وقد نالت الجمعية من هؤلاء الاستحسان ، والتشجيع لمبادئها الاصلاحية فى محاربة الآفات الاجتماعية ، وبعدها عن التدخل فى السياسة (٨) ٠ وما ان انقضى العام الأول فى التنظيم والتنسيق حتى وثب فريق المصلحون الى المراكز القيادية فيها ، مما أدى الى مهاجمة ابن عليوه زعيم العلويين وأنصاره لهم ٠

أسس بن عليوه جمعية علماء السنة لتقف فى وجه العلماء (٩) ، وأسس لها جريدة البلاغ الجزائرى التى عبرت عن رسالته الاصلاحية ليس داخل الجزائر فحسب ، بل داخل أفريقية الشمـــالية ، والشرق الأدنى ، وانجلترا ، والأمريكتين ٠ وقد أطلق على بن عليوه أحد المؤرخين وهو « بيرك » لقب « مبشر حديث » جمع الى خاصية الثقافة الاســلامية الانضباط الأوربى ، وقد شارك ابن عليوه العلماء فى التصور الرئيسى للاصــلاح الاجتماعى الا انه اختلف معهم فى وسائل محاربة الاستعمار الفرنسى التى تصورها ابن عليوه تكمن فى الطرقية ، والصلات الاجتماعية ، والمنظم الدينية (١٠) ٠

ورغم ذلك فان العلماء لم يضيعوا وقتهم كله فى مواجهة ابن عليوه وأنصاره ، ذلك ان برنامجا كبيرا كان فى انتظارهم ، ومن ثم فانهم صرفوا

الوقت الأكبر في تنفيذه (١١) تاركين دعوتهم بين صفوف الجزائريين لكسب المزيد من الأنصار تدريجيا ، ولم تمض فترة طويلة حتى راحت الجمعية تجتذب المزيد من الأنصار والمريدين حين أعلنت ان هدفها الأساسي اصلاح الدين الاسلامي (١٢) وتخليصه من البدع والتفسيرات الغريبة التي آثارها مفسرو القرآن طوال قرون ، وتعميم العربية في المدارس .

١ ـ مبادئها واهدافها :

تكون المجلس الاداري لجمعية العلماء في بداية نشأتها في الخامس من شهر مايو سنة ١٩٣١ على النحو التالي : ـ

١ ـ عبد الحميد بن باديس ـ رئيس
٢ ـ محمد البشير الابراهيمي ـ نائب الرئيس
٣ ـ محمد الأمين العمودي ـ كاتب عام
٤ ـ الطيب العقبي ـ نائب الكاتب العام
٥ ـ مبارك الميلي ـ أمين مال (١٣)
٦ ـ ابراهيم بيوض ـ نائب أمين مال
٧ ـ المولود الحافظي ـ مستشار
٨ ـ مولاى بن الشريف ـ مستشار
٩ ـ الطيب المهاجي ـ مستشار
١٠ـ السعيد البحري ـ مستشار
١١ـ حسن الطرابلسي ـ مستشار
١٢ـ عبد القادر القاسمي ـ مستشار
١٣ـ محمد الفضيل الورتلاني ـ مستشار

وقد لخص رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس مبادئها في المعاني الآتية « العروبة ، والاسلام ، والعلم ، والفضيلة » وقال ان هذه المبادىء هي أركان جمعية العلماء التي تحفظ على الجزائريين جنسيتهم وقوميتهم (١٤) . كما روجت جمعية العلماء لمبادئها الاصلاحية من خلال الدعوة والكتب ، ومن أبرزها القانون الأساسي لجمعية العلماء الذي أوضح ان هذه الجمعية اتخذت من نادي الترقي الموجود ببطحاء الحكومة مقرا لها ، وانها مؤسسة حسب الجمعيات المبينة بالقانون الفرنسي المؤرخ بغرة يوليو سنة ١٩٠١ ، وانه لا يجوز لجمعية العلماء الخوض في المسائل

السياسية ، كما أوضح القسم الثاني غاية انشاء هذه الجمعية التي تكمن في محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة (١٥) ، والدعوة لمبادئها من خلال النوادي التي تنشئها في البلاد ، كما أوضح القسم الثالث تنظيمات الجمعية التي صنفت أعضائها الى ثلاثة أقسام :

مؤيدون وقيمة اشتراكهم عشرون فرنكا ، عاملون وقيمة اشتراكهم عشرة فرنكات ، مساعدون وقيمة اشتراكهم خمسة فرنكات · وكان المجلس الاداري يتكون من الأعضاء العاملين فقط ، ويمنح كل عضو عامل بطاقة بيضاء تخول له حق المشاركة في الانتخابات السنوية (١٦) للمجلس الاداري لجمعية العلماء التي أنشأت في مدينة الجزائر مكتب لها ، كما أنشأت في العمالات الثلاثة ثلاثة مكاتب تتبع مكتب العاصمة ، ويطلق على الأعضاء العاملون لقب عالم ، أما الأعضاء المؤيدون والمساعدون فهم الذين يساعدون الجمعية على نشر دعوتها الاصلاحية بين صفوف الشعب الجزائري -

٣ ـ اتجاهات العلماء :

واذا ما تركنا التشكيلات الادارية لجمعية العلماء جانبا ، فاننا نجد ان أصول دعوة العلماء قد انبثقت عن ثلاثة اتجاهات هي : الاتجاه الديني ، والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه السياسي · وقد نادى الاتجاه الديني بالاسلام الذي وضعه المولى عز وجل لهداية عباده ، ودعا اليه جميع الرسل الذين كان آخرهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد اختار المولى عز وجل هذا الدين لتسعد به البشرية لأنه يدعو الى الاخوة بين البشر ، والمساواة بين جميع الأجناس ويعدل بينهم ، ويحرم جميع ألوان الظلم ، ويدعو الى التسامح مع الأديان الأخرى ، والتصدق بأموال الأغنياء الى الفقراء ورحمة الضعيف ، وتعليم الجاهل · ويرشد الضال ، ويغيث الملهوف وينصر المظلوم ، ويحرم الاستعباد والظلم بجميع أشكاله ، كما انه يدعو الى الشورى في الحكم استنادا الى الآية الكريمة :

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ·· وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » (١٨) ·

أما الاتجاه الاجتماعي : فقد اتخذ العلماء من القرآن والسنة المحمدية ومسلك الصحابة والتابعين ، وأتباع التابعين مثلا أعلى للتعامل في الحياة (١٩) فقد نادوا بتعاليم القرآن الكريم ، وبأن محمد أفضل الخلق لأن المولى قد اختاره لتبليغ الرسالة ، ولأنه أكمل الخلق ، ولأنه أبلغ الرسالة ، وجاهد في سبيل ابلاغها وبكل لحظة من لحظات حياته حتى تسعد بها البشرية ومات زاهدا ، وترك للأمة الاسلامية صحابته كمثل أعلى

لسلوك البشر • وان القرآن قد نادى بالتوحيد كأساس للدين ، وجعل من العمل الصالح المبنى على التوحيد السبيل للنجاة والسعادة عند الله ، كما حرموا بناء القباب على القبور ايقاد السرج عليها ، والذبح عندها ، والاستعانة بأهلها لله لأن ذلك من أعمال الجاهلية ، كما اعتبر العلماء الطرق الصوفية بدعة لم يعرفها السلف الصالح من صحابة رسول الله واعتبروها من أنواع الشرور فى الدنيا لأن فيها تجميد للعقول ، وأماتة للهمم ، وقتل للشعور ، كما دعى العلماء الى الرحمة بالجاهلين والمغرورين ومحاربة المعاندون المستغلون (٢٠) •

أما الاتجاه السياسى فقد حاذر العلماء فى البداية من الخوض فى السياسة اذ قالوا فى القسم الأول من القانون الأساسى لجمعية العلماء أنهم جمعية ارشادية لا يجوز لها التدخل فى المسائل السياسية (٢١) ورغم عدم استهلالهم الدعوة بالخوض فى السياسة فانهم دعوا لوحدة الصف كما هاجموا الطرقية باعتبارها المسئولة عن انتشار الفساد والأمراض والانحراف الدينى ، والجهل ، والاهمال فى الحياة ، والالحاد بين الشباب ، ومحاولة فرنسا فرض قانون التجنيد الاجبارى ، كما دعوا الى تمثيل الجزائريين بكفاية داخل المجالس الفرنسية بما فى ذلك المجلس الوطنى الفرنسى (٢٢) ، مما أدى الى اصطدامهم بالادارة الفرنسية •

وكانت جمعية العلماء ترمى الى تحقيق عدة أهداف هى :

١ – تطهير الاسلام من البدع والخرافات ، ومحاولة ايقاد شعلة الحماسة فى القلوب تلك الشعلة التى بذل الاحتلال جل جهوده من أجل اطفائها حتى تنهار مقاومة الجزائريين ضده •

٢ – احياء الثقافة العربية ونشرها بالبلاد خاصة بعد أن عمل الاستعمار على وأدها ، ودفن حضارتها فى الجزائر أكثر من قرن من الزمن.

٣ – التستر وراء الثوب الدينى – الذى ارتدته جمعية العلماء – فى محاربة سياسة الفرنسة والتنصير والتجنيس •

٤ – العمل من أجل الحصول على استقلال الجزائر وضمها الى الأسرة العربية الكبرى وهو الهدف الذى كانت تود جمعية العلماء تحقيقه فى النهاية (٢٣) •

وقد أفصح فيه الشيخ عبد الحميد عن تطلعات جماعته الى الاستقلال، ونظرة المساواة فى التعامل مستقبلا مع السياسة الفرنسية ، وتعكس لنا لهجة الافصاح الذى صاحبت العلماء ابان هذه الفترة مدى وقوف العلماء على تدبيرهم •

٥ ــ المحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتهـا الحضـارية ، والدينية ، والتاريخية والوطنية ، والثقافية ، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية الى القضاء عليها (٢٤) ٠

٣ ــ وسائل نضال العلماء :

صنفت جمعية العلماء أعضائها الى مؤيدين ، عاملين ، ومساعدين يسـاهمون باشتراكاتهم ، هـذا الى جانب اكتتاب الأمة الجزائرية في المشروعات التي تخطط وتدعو لها الجمعية كمشروع معهد عبد الحميد بن باديس الذي اكتتبت الأمة الجزائرية فيه حين أقرضها الحاج حموش كرماني المـال لشراء دار للمعهد ببطحة قسـنطينة ، واكتتبت الأمـة بثمنه (٢٥) ، وبهذه الطريقة تمكنت جمعية العلماء من تدبير أمورها المالية التي تلزم لتنفيذ أفكارها الخاصة التي تهدف الى المحافظة على صبغة الجزائر العربية الاسلامية ، وتربية الشعب الجزائري ، وتنظيم صفوفه ، حتى ينهض لمقاومة الاحتـلال الفرنسي الجاثم على أنفاسه ــ حتى وقت نشأة الجمعية ــ قرنا كاملا من الزمن (٢٦) ، وربما كانت دعوة بن باديس الى وحدة الصف الانطلاقة للعمل الشاق الذي بدأته الجمعية في ايقاظ الشعب الجزائري عن طريق صحفها ، ومعاهدهـا التعليمية اذ تقاسم أعضـاؤها الرئيسيون العمل ، فتكفل رئيسها عبد الحميد بن باديس بقسنطينة وكان يقوم ومعاونوه بمهمة : نشر العلم ، وارشاد المسلمين الجزائريين الى مبادىء دينهم الصحيحة عن طريق الوعظ والارشاد التي كانت تقوم بها المراكز الدينية لجمعية العلماء ، وكان بن باديس ومعاونيه يراعون في رئاسة هذه المراكز السمعة الطيبة لرؤسائها ، والاستعداد للعمل ، ومدى ارتياح أعضاء هذه المجالس لرؤسائهم (٢٧) ، كما كان يقوم برعاية حركة التعليم العربي الحر ، وتكوين الجمعيات المحلية التي تقوم بتكوين المدارس ، وجمع الأموال اللازمة للانفاق عليها ، وامدادها بالكتب ، والوعاظ (٢٨) ٠

أما عماله الغرب فقد اسندت للشيخ البشير الابراهيمي الذي كان يقوم بنفس المهمة متخذا من مدينة تلمسان في عماله الغرب مقرا لعمله كما تولى نائب الأمين العام الشيخ الطيب العقبي مهمة الاشراف على نشاط الجمعية التعليمي والتربوي في العاصمة وعمالتها ٠ الا انه كان هناك تنسيق بين القادة الثلاثة وأعضاء الجمعية وفروعها وأنصارها في مختلف جهات الجزائر ٠

٤ ـ جهود العلماء التعليمية :

(أ) يمكن ايجاز جهود الجمعية التعليمية فى ثلاث مراحل هى :

١ ـ المرحلة الأولى (١٩٣١ ـ ١٩٣٩) : وقامت فيهـا الجمعية بالتعريف بمبادئها ، كما قامت بانجاز ثقافى امتد الى فرنسا نفســها حيث يوجد هناك جالية عمالية جزائرية •

٢ ـ المرحلة الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٤) : وفيها تجمـد نشاط الجمعية مثل سائر الأحزاب الجزائرية نتيجة الحرب العالمية الثانية •

٣ ـ المرحلة الثالثة (١٩٤٤ ـ ١٩٥٦) : وقد توقف نشـــاط الجمعية الرسمى بسبب نشوب ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ، وقيام سلطات الاحتلال بحل كل المنظمات الوطنية بما فيها جمعية العلماء ، وصحفها التى تمثلت فى : السنة ، والشريعة والبصائر ، والشـهاب وأيضـــا نواديها الحرة ومساجدها ، وفى هذه المرحلة تمكنت الجمعية من تحقيق انجازات كبيرة أثارت اعجـاب الأصدقاء ، وفزع وخوف الاستعمار وقد تمثل ذلك فيما يلى :

(أ) المرحلة الأولى (١٩٣١ ـ ١٩٣٩) :

وتمكنت جمعية العلماء من القيام بنشاط دعائى لنفسها عن طريق صحفها التى سبقت الاشارة لها ، وذلك للتعريف بالجمعية ومبادئها ، ولنشر دعوتها بين المواطنين أما نشاطها الثقـافى فقد تمثل فى تاسيسها لعدد من المدارس ، والمساجد ، والنوادى فى أهم المدن والقرى الجزائرية التى وصلت اليها دعوتها (٢٩) •

كما امتـــد نشـــاط الجمعيـــة الى فرنسا حيث تقيم هناك جاليـة جزائرية كبيرة منتشرة فى المناطق الصـــــناعية الكبرى وبلغ عددها مئـات الآلاف ، وقد رأت الجمعيـة أن من الواجب الاهتمام بأمور هذه الطائفة ، واتخـــاذ الوســـائل لانتشالها من وهده الكفر ، والذوبان والانسلاخ عن عروبتها واسلامها ، وبدأت عملهـــا الدعائى هناك سنة ١٩٣٦ بايفاد مجموعة من العلماء برئاســـة الفضيل الورتلانى وهو من الشخصيات البارزة فى جمعية العلماء والتى ستلعب فيما بعد ادوارا هامة فى الاتصال بالجمعيات السياسية والدينيـة فى العالمين العـربى والاسلامى ، وكان الفضيل قد تخرج من معهد التربية والتعليم بقسنطينة سنة ١٩٣٤ ، ونظرا لتفوقه فى اللغة الفرنسية ، واللهجا ت القبلية فقد اختاره بن باديس كمساعدا له يرافقـه فى حله وترحاله • ولمـا تنبهت

السلطات الاستعمارية الى خطورة الجمعية ورسالتها بدأت فى سلسله من مضايقاتها للجمعية ورجالها ، مما حدى بن باديس الى نقل نشاط الشيخ الفضيل ومجموعة من العلماء الى باريس حيث تمكنت هذه المجموعة من جمع الأموال اللازمة من التجار الجزائريين هناك ، وتأسيس ثلاثين مركزا لجمعية العلماء فى باريس (٣٠) ۰ وقد تمثلت مهام مجموعة الفضيل فى القاء المحاضرات التوجيهية ، ودروس الوعظ والارشاد ، وتلقين أبناء العمال الجزائريين مبادىء القراءة والكتابة بالعربية ، ومبادىء الدين الاسلامى ، وتاريخ الاسلام والجزائر ، وجغرافية الجزائر ، والعالم العربى والاسلامى حتى يرتبط الصغار الجزائريون فى المهجر بالحضارة العربية الاسلامية ، وبوطنهم الأصلى الجزائر ، ولا ينصهروا فى الوسط الذى يعيشون فيه ، لاسيما وان عددا كبيرا منهم مولود لأب جزائرى ، وأم أوربية مما يوزع ولائهم بين فرنسا والجزائر ۰

٢ ـ المرحلة الثانية (١٩٣٩ : ١٩٤٤) :

نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية ، وخضوع البلاد للأحكام العرفية فان جميع المنظمات السياسية الجزائرية قد تجمد نشاطها ، بما فيها جمعية العلماء ، هذا فضلا عن نفى رئيسها الجديد الشيخ البشير الى آفلو بصحراء وهران ، وكان الرئيس الجديد قد انتخب غيابيا بالاجماع بعد وفاة الشيخ بن باديس فى ١٦ ابريل سنة ١٩٤٠ ، ومنذ هذا التاريخ والبشير يقود نشاط الجمعية فى المنفى من خلال الرسائل بينه وبين رفاقه قادة جمعية العلماء عن طريق الثقاة ۰

٣ ـ المرحلة الثالثة (١٩٤٤ ـ ١٩٥٦) :

وتعتبر هذه المرحلة فترة نشاط واسع للجمعية فى نشر رسالتها التعليمية من خلال مدارسها ومساجدها ، وملاحظة العمل بدقة فى معاهدها ، حتى لاتكون الجمعية عرضة الى انتقاد الجمعيات المحلية لنشاطها التعليمى (٣١) ، وقد حرصت الجمعية على استمرار العمل بمعاهدها التعليمية رغم احتياجها للمال ، فكانت اذا كلفت أحد الأعضاء بجمع الاشتراكات من اعضائها المؤيدين فانها كانت تحرص على أن يقوم بواجباته التعليمية خلال فترة غيابه أحد زملائه ۰ أما العضو المكلف بجمع المال فانه كان يقوم بالاتصال برؤساء الشعب ، وبالمبرزين المصلحين ، وبايقاظ النشاط فى الشعب الخامدة لأن نجاحه فى جمع

الاشـــتراكات يعـد أشرف مهمة بعـد التعليم (٣٢) ، لأنه يحـرص عـلى استمرارية نشاط الجمعية ورسالتها الدعائية ـ للاصــلاح والتعليم ـ فى كل مقهى ، وكل بيت ، وكل مجلس عن طريق تنسيق الجهد بين دعاتها والأعضاء المبرزين ، كما حرصت الجمعية على الدعاية لمدارســها على صفحات جرائدها حتى يقبل الشعب الجزائرى على النظام التعليمى العربى الذى تتبناه الجمعية (٣٣) ٠

وبهذا الجهد المتواصــــل الذى دعمه تبرعات الشعب الجزائرى لجمعية العلماء تمكنت الجمعية من انجاز رسالتها التعليمية حتى بلغ عدد المدارس التى قامت جمعية العلماء بانجازها فى ســـنة ١٩٤٨ حوالى ١٤٠ مدرسة غطت معظم مدن وقرى الجزائر (٣٤) ، وقد نشرت جريدة البصائر المتحدثة بلسان جمعية العلمـــاء قائمة باسماء مدارسها ـ عن العــام الدراسى ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ـ فى المدن والقـــرى الجزائرية التى شيدت بها تلك المدارس ، وأيضا أسماء مديريها حتى تبرز بذلك مدى الجهد الذى بذلته من أجل تعريب التعليم فى ذلك الوقت الذى تزايدت الوطأة الاستعمارية فى الجزائر ورغم هذا النجاح الذى حققتـــه جمعية العلماء فى ميدان التعليم الابتدائى الا أنها كانت ترنو الى انشاء المرحلة الثانوية بمدارســـها حتى تفـرض وجودهـا هنـــاك ، ذلك أن المرحلة الثانوية فى الجزائر لم تكن قد أنشئت بعد ، وانما كانت الجمعية ترسل أبناءها لدراســـة المرحلة الثـانوية بتونس ، وابتـداء من ســنة ١٩٣٧ ، وبتوجيه من الشيخ عبد الحميد بن باديس أنشئت جمعيـــة الطلبـة المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ شاذلى المكى فى تونس ، وقد قامت هذه الجمعيـــة بنشاطات ثقـافية حوت موضـــوعات أدبيـــة وتاريخية ووطنية عكست مدى الروح الثـــورية التى يتحلى بهـا طلبـــة جمعية العلمـــاء (٣٥) ، الا أن فكرة تطوير المرحلة الابتدائيـة الى الثانوية قد راودت أذهان العلماء ومن ثم فانهم شرعوا فى التمهيد لها ٠

(ب) جهود العلماء فى ميدان التعليم الثانوى :

وفى عام ١٩٤٦ الموافق عام ١٣٦٦ هـ وجهت الجمعية منشـورا الى مديرى مدارسها لارسال كشوف باسماء التلاميذ الذين نجحـوا فى امتحان السنة الدراسية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ من السنة الأولى والثانية ، وأن يوضح مديرو المدارس سن الطالب كحد أدنى ١٦ سنة ، وحالته الصحية ، ومقدار تحصيله للقرآن الكريم ، وحالته المالية ، وذلك لتنفيذ هدف الجمعية فى انضمامهم لمعهد بن باديس الثانوى المزمع اقامته فى العـام التالى ، على شرط أن يراعى مديرو المدارس تحقيق رغبات الآباء

فى تعليم الأبنـاء المستوى التعليمى للطلاب بحيث لايقـل عن مستوى السنة الخامسة ، وان تخاطب الجمعية أولياء الأمور عن طريق مديرى المدارس ، وتخبرهم بمواعيد بدء الدراسة بمعاهدها (٣٦) ٠

وكانت جمعيـة العلماء قد جعلت من معهـد بن باديس الثانوى نواة لانشاء ثلاثة معاهد قررت الجمعيـة انشـاءها فى عمالات الجزائر الثلاث : قسنطينة الجزائر ، تلمسان متى تهيـأت الظروف (٣٧) وقد أسندت ادارة معهد عبد الحميد بن باديس الى الشيخ العربى التبسى ـ الذى كان يرأس لجنة التعليم فى جمعية العلماء (٣٨) ٠ وكان الشيخ العربى التبسى يرى ضرورة انشاء هذا المعهد (٣٩) للتعليم الثانوى فكان أن دعا الشيوخ : البشير الابراهيمى ، ومحمد خير الدين ، أحمد حمانى اقطاب جمعية العلماء ، الأدة الجزائرية للاكتتاب بثمنه (٤٠) ٠

وقد بلغ تلاميذ معهـد عبد الحميـد بن باديس فى عام ١٩٥٥ ، ٩١٣ تلميذا كمـا بلغ عـدد المعلمين الذين يقومون بالتدريس لهـم ٢٧٥ معلما ومعلمة فى سنة ١٩٥١ ، هذا فضلا عن عدد المعلمين الذين أوقفوا عن العمل بسبب مطاردة السلطة الاستعمارية لهم ، وعدد آخر فى سجون الاحتلال بسبب نشاطهم الوطنى والتربوى ، وهؤلاء المعلمون اكتسبوا التدريس بالخبرة ، وقد راعت الجمعية فى اختيـارهم حتى سنة ١٩٥١ بعض الشروط مثل : قوة شخصية المعلم ، حسن أخـلاقه وكفاءته ، الا أنها قررت اعتبارا من سنة ١٩٥١ ضرورة حصول معلميها الجدد على المؤهلات العلمية كشـهادة التحصيل من جامع الزيتونة ، كما خصصت الجمعية لهم كادرا مكون من أربع درجات هى : أ ، ب ، ج ، د وكانت رواتبهم تصرف طبقا لدرجاتهم ٠

(ج) بعثات جمعية العلماء الى البلاد العربية :

لم تتوقف جهود جمعية العلماء فى رسالتها التعليمية على المرحلتين الابتدائية والثانوية فحسب ، بل انها فكرت فى ارسال بعثاتها التعليمية الى المعـاهد والجامعات العربية فأرسلت ١٨ طالبا وطالبة واحدة الى مصر ، والكويت ، والعراق وسوريا (٤١) ، ثم توالت بعثاتها بعد ذلك الى مصر ، وسوريا ، والعراق ، والسعودية حتى وصل عدد بعثاتها سنة ١٩٥٥ الى ١٠٩ طالبا وطالبة ، غير ان هذا العدد قد تزايد بعد الثورة بسنوات قليلة الى بضع مئات (٤٢) ٠

ولم تشترط جمعية العلمـاء فى بداية ارسال بعثاتها الى الشرق ان يكون عضو بعثتها من خريجى مدارسها ، وانما اكتفت بايمان عضو

بعثتها بمبادىء الجمعية . الا انها ابتداء من سنة ١٩٥٤ ، بدأت تدقق في اختيار بعثاتها الى الشرق اذ اشترطت ما يلي :

ان يكون العضو من خريجي معاهدها ، أو من خريجي معهد بن باديس ، كما حددت ان يكون العضو أحد خريجي مدارس الجمعيه أو معاهدها ، ان يحصل خريج المدرسة على شهادة الدراسة الابتدائية ولا يتجاوز عمره ست عشرة سنة ، ألا يتجاوز خريج المعهد الحاصل على الشهادة الأهلية العشرين عاما من عمره (٤٣) •

والى جانب هذه الشروط فهناك الالتزام نحو الجمعية يجب على العضو قبوله مثل الموافقة على ترشيحه للبعثة ، وان يتقيد بهذا الالتزام أثناء فترة الدراسة ، وبعد تخرجه لأن هذا الالتزام هو ان يلتزم العضو بمبادىء الجمعية وأهدافها ، وان يؤمن بقادتها ، وان يكون عنوانا للجمعية ، وان يرجع الى بلاده بعد انتهاء تعليمه ليضع نفسه تحت تصرف الجمعية حيث توجهه الوجهة النافعة لخدمة الأمة الجزائرية ، وان يكون سلوك العضو مشرفا للجمعية ولوطنه ، وان يكون العضو متعاونا مع زملائه ، وهذا الالزام الذى يوقعه العضو هو بمثابة عهد أمام الله ، والجمعية ان يجعل الأخيرة طريقه الى الله في دينه ، ودليله الحياة الشريفة في الدنيا ، ومدربة على حياة الرجولة والبطولة حتى يكون عضوا نافعا لأمته الاسلامية كلها (٤٤) •

(د) النمط التعليمي عند العلماء :

تقوم جمعية العلماء بنوعين من التعليم :

١ ـ **النوع الأول** : وهو عبارة عن دروس منظمة تلقى في بعض الجوامع الهامة بالجزائر ، ويحضرها عدد كبير من الطلاب على المستوى الثانوى على طريقة جوامع الأزهر والزيتونة والقرويين •

٢ ـ **النوع الثاني** : وهو دروس الوعظ والارشاد ، وتوجه الى كافة الناس في الفترة بين صلاة المغرب والعشاء ، وأيام الجمعة أسبوعيا ، ويمارس دعاة الجمعية النوع الثاني خلال فترة العطلة الصيفية ، وشهر رمضان المعظم •

٣ ـ **النوع الثالث** : كانت جمعية العلماء حصيفة في نظرتها الى الأمة الجزائرية التي قسمتها الى ثلاث فئات : صغار تضمهم مدارسها الابتدائية وكبار يخفون الى مساجدها ، وشباب يرتادون أماكن اللهو والمجون •

ومن هنا فان الجمعية حرصت على أن تغرس فيهم مبادئها الدينية من خلال النوادى الاجتماعية التى تغرس فيهم مبادىء : التربية الخلقية ، والدينية والوطنيـة ، وتجعلهم أحرص عـلى مقومات شـخصيتهم العربية الاسلامية حتى لايجرفهم تيار الفرنسة والتغريب (٤٥) ٠

وقد أدت جهـود الجمعية التعليمية من خلال مؤسساتها المذكورة الى تكوين أجيال جزائرية مسلحة بالعلم والايمان بعروبة بلادها « لأنها أثبتت للاستعمار ان الدماء البربرية التى مازجت الدم العربى أصبحت عربية بحكم الاسـلام ، وحكم العمومة والخئولة الممتدتين على حـد قـول الابراهيمى فى سلسلة من الزمن ذراعها ثلاثة عشر قرنا ، وضرورة تحريرها من نير الاستعمار ٠

ومن هنا فان فكرة لم الشمل مع بقية القوى الوطنية الأخرى (٤٦) كانت أملا يراود أذهان زعمـاء جمعيـة العلماء الذين تابعوا نشـاط الزعامات الوطنية الجزائرية الأخرى عن كثب ٠

الفصل السادس

علاقة العلماء ببقية القوى الوطنية والاسلامية وموقفهم من الاستعمار

اولا : علاقة العلماء بالقوى الوطنية :

ظهرت فى فترة الثلاثينيات على مسرح السياسة الجزائرية قوى واضحة الاتجاهات تنوعت بين أقصى اليمين ومثله الطرقية ، والمعتدل ومثله اتحاد المسلمين المنتخبين والوسط ومثله العلماء ، واليسار ومثله جمعية نجم شمال افريقيا ، وأقصى اليسار ومثله الحزب الشيوعى الجزائرى بفكرته العالمية (١) .

وفى البداية نجد ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد ارتدت الثوب الدينى اذ صدرت قانونها الأساسى بشرط انه لا يجوز لها الخوض فى المسائل السياسية (٢) ، وان هدفها الأساسى اصلاح الدين الاسلامى (٣) بهدف تخليصه من البدع والتأويلات كما صرفت الجمعية جهودها الاصلاحية عن طريق مدارسها ومساجدها ، ونواديها ، بغية توحيد القوى الاسلامية بين جماعات السنة والشيعة ، والبربر والعرب (٤) تاركة ميدان السياسة العلنى للقوى الأخرى تمارس فيه نشاطها فى حين انها تركت الحرية لاعضائها فى مناقشة السياسة العامة بصفتهم الشخصية ، لا بصفتهم أعضاء فيها ، وبهذا تمكنت الجمعية من توجيه الشعب الجزائرى توجيها عربيا اسلاميا (٥) غير ان السياسة الاستعمارية المتسلطة فى كل شيء قد أخرجت العلماء عن برنامجهم الدينى الثقافى العلنى الى الخوض فى المسائل السياسية مما أثار ذعر السلطات الفرنسية التى هالها تزايد نفوذ العلماء نتيجة

جهودهم التعليمية الضخمة فاصدروا منشور سنة ١٩٣٣ الذى يندد بالعلماء ويصفهم بانهم وهابيون خارجين عن الدين ، كما ينادى بعدم الاصغاء لهم ، والصلاة خلفهم ، الا أن هذه الاجراءات من قبل الاستعمار قد أتت بعكس المطلوب اذ تزايدت شعبية العلماء وأقبل الشعب على الانضمام الى صفوفهم .

وقد أدى خوض العلماء فى السياسة الى التفاهم أو الاصطدام بالقوى السياسية الأخرى ، ومن خلال سردنا ستتضح درجة العلاقة مع القوى السياسية الأخرى التى تتمثل فى الآتى :

١ ـ علاقة العلماء بالطرق الصوفية :

تعاونت الطرق الصوفية مع الاستعمار فى مقابل الاحتفاظ بامتيازاتهم المادية ونفوذهم على الأهالى ، وكان الأخيرون يثقون في الطرق الصوفية بينما انعدمت ثقة الأهالى فى الاستعمار مما حدا بالأخير الى دعم موقف الطرق الصوفية حتى يضمن لنفوذه أن يبقى مستشريا بين الأهالى (٦) عن طريقها ، مما حدا بالعلماء الى دعوة الأمة لنبذ أفكار وآراء المرابطية (٧) باعتبارهم السبب فى نشر الأمراض والفساد ، والمباعدة بين الجزائريين ودينهم وتعويدهم على الذل والمهانة والخضوع للاستعمار ، والتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة واستغلال أموالهم فى المجون والفجور (٨) ، ونشر الالحاد بين الشباب ، وقد شن العلماء هجومهم على المرابطية تحت عنوان « لا غموض فى الاسلام » ، وبالاضافة الى جملة الانتقادات السابقة التى وجهوها للمرابطية ، فانهم عارضوا الموسيقى الخرافية ، والرقص في الاحتفالات الدينية وزيارة القبور وهدايا النقود الى رؤساء جمعيات الطرق الصوفية (٩) .

٢ ـ علاقة العلماء باتحاد المسلمين المنتخبين :

تنوعت اتجاهات هذه الجماعة فمنهم من كان يحسن الفرنسية عن لغته العربية ومنهم الاشتراكيون ، ومنهم المسلمون الا أنهم يلتقون حول معارضة الاسلوب الاستعمارى لحكم بلادهم ، وقد الفوا اتحاد المسلمين المنتخبين بزعامة الدكتور بن جلول وكان الهدف من هذا الاتحاد التحول التدريجى للشعب الجزائرى تحت قيادتهم الى الحياة الفرنسية ، وتحسين أحوال مواطنيهم وقد عكست مقالات فرحات عباس أحد زعمائهم هذا الاتجاه الذى عبر عنه باسم الاتحاد سنة ١٩٣٥ ، وأثناء حضور وزير الداخلية الفرنسى رينييه الذى أعلن أمامه لم يبق شىء فى هذه

البلاد الا الاتفاق على سياسة الادماج وذوبان العنصر المحلى فى المجتمع الفرنسى (١٠) وقد أوضح رأيه فى العام التالى سنة ١٩٣٦ والذى نشرته مجلة L'Entente فى بيانه الذى سبق الاشارة اليه (١١) .

وقد رد عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس قائلا « ان الشعب الجزائرى ليس هو فرنسا ، ولا يرغب فى ان يكون فرنسا وحتى لو أراد لما استطاع لأنه شعب بعيد جدا عن فرنسا بلغته وعاداته ، واصله ودينه ، كما أكد بن باديس ان لبلاده حدودها وأراضيها المعروفة وان الجزائر فى امكانها الوصول الى مرتبة الدومنيون من فرنسا مثل كندا فى علاقاتها ببريطانيا ، وينجم عن ذلك علاقات ثنائية بين الدولتين على أن تتمتع كل منهما بالحرية .

٣ ــ علاقة العلماء بجمعية نجم شمال أفريقيا :

التقت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع جمعية نجم شمال أفريقيا فى ضرورة الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية فمن المعروف عن جمعية العلماء انها رائدة للاتجاه العربى والاسلامى فى الجزائر ، وانها فى هذه الزاوية تلتقى مع برنامج جمعية نجم شمال أفريقيا المعلن فى جلسة ٢٨ مايو ١٩٣٣ فى القسم الأول المادة الثامنة التى تنص على اجبارية التعليم وحق الجزائريين فيه على جميع مراحله وضرورة انشاء المدارس العربية كما التقى العلماء مع النجمة فى ضرورة توحيد جهود المسلمين فى شمال أفريقيا من أجل الحصول على الاستقلال .

الا أنهم لم يلتقوا فى المطالب الاقتصادية والاجتماعية التى باعدت بين العلماء والنجمة ، وقاربت بين الأخيرة والشيوعيين ، الا أنهم رغم الالتقاء فى الأهداف فان رجال النجمة قد تمسكوا بشخصيتهم وقوميتهم وجاهروا باسلامهم رغم صفتهم الاعتبارية كعمال (١٢) .

٤ ــ الجزائر ابان هذه الفترة :

تصارعت هذه الاتجاهات السياسية السالفة الذكر فى ظل حركة شعبية آخذة فى النمو وقد عانت الجزائر خلال هذه الفترة من آثار الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ــ ١٩٣٣) التى بلغت حدا من الخطورة والشمول والاتساع والعمق لم يعرف لها مثيل وقد شملت هذه الأزمة جميع البلاد الرأسمالية ، وانخفض من جرائها الانتاج بنسبة ٣٦٪ فى المتوسط ، كما انخفض حجم التجارة الدولية الى الثلث ، وقد اقترنت هذه الأزمة بشبح بطالة اجتاحت الجزائر وقد أثرت الأزمة الاقتصادية

فى الزراعة أكثر من الصـــناعة وأصابت المستعمرات بدرجـــة أكبر مما أصابت البلاد الاستعمارية ، ومرت الجزائر بالأزمة الاقتصـادية العالمية كما مرت غيرها من المستعمرات فانخفضت أسعار الحاصلات بها انخفاضا كبيرا وشحت النقود وانتشرت فيهـا البطـالة ونجم عن ذلك حـدوث تدهور اقتصـادى خطير مرده الأزمة الاقتصـادية العالميه التى اجتاحت العـالم (١٣) وبدت الجزائر كبرميـل ملء بالبارود ينتظر الشرارة ، وكانت هذه الشرارة حادثة اليهودى خليفة الياهو الذى عمد الى البول فى مرحاض أحد مساجد المسلمين بقسنطينه وســب المسلمين علنا مما أدى الى حدوث فتنـة طائفيـة أدت الى تساقط عشرات القتلى والجرحى من الفريقين (١٤) وكان هذا الحادث بداية لحركة وطنيـة واســعة النطاق اذ طالب الوطنيين بحقوقهم السليبه ، وبالحرية والمســاواة .

٥ ــ المؤتمر الاسلامى الأول سنة ١٩٣٦ :

ازاء سوء الأحوال التى عاشتها الجزائر خلال هذه الفترة لعبت جمعية العلماء دورا بارزا فى التقريب بين وجهـات النظر السياسية الجزائرية ، وذلك بأن دعا ان الشيخ بن باديس الذى كان يحظى باهتمام كافة الزعامات السـياسية الجزائرية الى عقـد مؤتمر اسـلامى لبحث جوانب القضية الجزائرية والوصـول بها الى حـل يخرج الأمـة من حالة اليأس والتذمر . ولما كان بن باديس يؤمن بمبـدأ « ان المرجع فى شئون الأمة هو الأمة نفسها والواسطة لذلك هى المؤتمرات » (١٥) فان دعوته صادفت قبولا من معظم التنظيمات السياسية التى اتفقت على ان يعقد المؤتمر يوم ٧ يوليو سنة ١٩٣٦ بنادى الترقى بالعاصمة وقد شارك فى المؤتمـر اتحـاد المسلمين المنتخبين ، والحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبعض المستقلين ولم يقاطعه سوى جمعية « نجم شـمال افريقيا » التى كانت تتبنى مبـدأ استقلال الجزائر وقد أسفر هذا المؤتمر عن جملة مطالب لم تخرج عن المساواة بين الجزائريين والفرنسيين مع المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية ، كما تقرر ان يسافر عن المؤتمر وفد بواقع ٥ أعضاء عن كل عمالة من عمالات الجزائر الثلاث لعرض مطالب المؤتمر على حكومة الجبهة الشعبية التى فاجأت المؤتمرين باشتراطها التنـازل التـام عن قانون الأحوال الشخصية الاسلامى للحصول على الجنسية الجزائرية مما أدى الى فشل المؤتمر وتفرق اعضائه .

وقد أثار اشتراك العلماء فى هذا المؤتمر موجـة انتقـاد عنيفة

فالجمعية تدعو الى المحافظة على الشخصية الجزائرية وتحارب سياسة الادماج في الوقت الذى تشارك فيه بالمطالبة بالمساواة مما حدا بزعمائها البشير والمدنى الى سوق التبريرات لمسلكها من أجل المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية الجزائرية ، وأيا كانت هذه المبررات والذرائع فان ذلك لا يعفى الجمعية من ترديها فى الخطأ (١٦) بالموافقة على مطلب المساواة الذى رفضته فى البداية جمعية نجم شمال أفريقيا ذات الاتجاه الثورى ٠

٦ ـ المؤتمر الاسلامى الثانى سنة ١٩٣٧ :

ورغم تفرق القوى الوطنية على أثر عدم استجابة حكومة الجبهة الشعبية لمطالبها الا أنها عادت للتجمع من جديد حين دعا الدكتور بن جلول الى المؤتمر الاسلامى الثانى فى الجزائر في يونيو ١٩٣٧ وقد شارك فى المؤتمر جميع التيارات السياسية الجزائرية عدا النجمة ، وقد طالب المؤتمر بالمساواة فى الحقوق مع الفرنسيين وكون من أعضائه وفدا ذهب للتفاوض مع حكومة بلوم ، فكان ان تقدمت الحكومة بمشروع عرف باسم بلوم وفيوليت ، وقد فرق هذا القانون بين الحقوق السياسية التابعة لصفة المواطن وبين الحقوق المتعلقة بالأحوال الشخصية وفتح الطريق للادماج التدريجى مع فرنسا (١٧) ٠

وبنشر المشروع انفرط عقد المؤتمر الاسلامى سنة ١٩٣٨ ولم يتحمس لهذا المشروع سوى اتحاد المسلمين المنتخبين بينما عارضه العلماء والمستوطنون وأنصارهم فى جهاز الادارة الفرنسى وأيضا رؤساء البلديات الذين هددوا بالاستقالة الجماعية اذا أقر البرلمان الفرنسى المشروع الذى يطالب بالمساواة بين الفرنسيين والجزائريين لأنه خطوة تحرزها الحركة الوطنية الجزائرية قد تتلوها خطوات أخرى وفى هذا تهديد لمصالح المستوطنين ٠

وقد أدى فشل المشروع الى انتقال الحركة الوطنية الجزائرية الى مرحلة اتفقت فيها جميع الآراء على الاستقلال ولكنها لم تتفق على وسيلة تحقيقه (١٨) ٠

٧ ـ علاقة العلماء بالقوى الوطنية المشاركة فى البيان :

دخلت الحركة الوطنية الجزائرية مرحلة جديدة أثناء الحرب العالمية الثانية وذلك بعد اجتياح القوات الألمانية فرنسا سنة ١٩٤٠ واقامة الألمان حكومة فيشى الموالية لهم ، وأدت الخلافات التى نشبت بين

القواد والزعامات السياسية الفرنسية الى تزعزع مكانة فرنســا بين الجزائريين الذين حلت منظماتهم السياسية وزجت بزعمائهم في السجون وقد أعطى نزول الحلفاء على شواطىء شمال افريقيا ، وحاجة فرنسا الى الرجال ، دفعـــة جديدة للزعامات الجزائرية الطليقة السراح فكان ان اجتمع زعماء من القوى الوطنية الجزائرية منهم العلماء والمستقلون والنواب وحزب الشعب فى ٣ فبراير سنة ١٩٤٣ وقرروا نشر بيان الى مواطنيهم، وفرنسا والحلفاء ضمنوه أهدافهم وأسلوبهم ٠

وقد شرح البيان افلاس النظام الاستعمارى الذى جلب على الأمة الجزائرية الفقر والجهل والتشرد ، وسبب لها القطيعة مع الدول الأخرى التى ترتبط معها بعلاقات تاريخية ، وقرر ان الحــل للخروج من هذه الحاله ــ السيئة ــ هو اعلان الجمهورية الجزائرية المستقلة التى تحفظ شخصية الجزائر ومصالح فرنسا في المساواة بين جميع سكان الجزائر فى المعاملة دون تفريق بين الأجناس (١٩) وقد أدى نشر البيان على هذه الصورة الى انضمام معظم رجال الحركة الوطنية الجزائرية اليه ، وكونوا هيئة أطلقت على نفسها اسم أنصار البيان والحرية ، كما وقفت موقفا عاما موحدا ازاء السياسة الفرنسية والمستوطنين الذين هالهم ما حدث فاضمروا الانتقام ٠

وبعد اســتيلاء ديجول Degaulle على السلطة فى الجزائر عين الجنرال كاترو Catraux حاكما عاما للجزائر وقد رفض هذا الحاكم العام المقترحات الوطنية وأكد عدم موافقة فرنسا على استقلال الجزائر مما أغضب الوطنيين الذين أيدوا البيان كما قام كاترو بحل الهيئــات التى يشــارك فيها جزائريون وتحديد اقامة فرحــات عباس وغيره من الزعماء كمصالى والشيخ البشير رئيس جمعية العلماء ، وقد رفض كاترو العدول عن قرار الحل الا بعد اعتذار وفد جزائرى اليه ، وأن يعلن الوفد عن رغبته فى تطور الجزائر داخل نطاق النظم الفرنسية وحاول ديجول ارضاء الجزائريين فاعلن فى قسنطينه في ديسمبر سنة ١٩٤٣ « ان باب المواطنه الفرنسية سيفتح لبعض الجزائريين تدريجيــا دون اشتراط التخلى عن قانون الأحوال الشخصية الاسلامى» (١٩) مما ادى الى رفض الادماجيين له ، وأيضا جماعة العلماء ومصالى ولم يحظ سوى بتاييد عدد قليل من أعضـــاء اللجــان المالية الذين أرغمهم الفرنســيون عن التخلى عن البيان ٠

٨ ـ مذبحة قسنطينة :

وأمام هذه الوحدة الوطنية الجزائرية استعد رجـــال الاستعمار والمستوطنون لاظهـــار قوتهم ، وانتهزوا فرصـــة قيـــام مظاهرات ٨ مايـــو سنة ١٩٤٥ التى أظهر فيها الجزائريون مشـــاعرهم الوطنية وأهدافهم وصبوا جام غضبهم على المتظاهرين فى سطيف وأماكن أخرى من الجزائر خاصة فى مقاطعة قسنطينة التى وصلت فيها خســـائر الأوربيين فى الأرواح حـــوالى المائة (٢٠) وقد واجهت السلطات الفرنســـية هذه الاضطرابات باجراءات قمعيـــة عنيفـــة اذ قذفت طائرات ســـلاح الجـــو الفرنسى بأمر من تيللون Tillon وزير الطيران القرى الجزائرية كما قنبلت الطرادات الفرنســـية الشاطىء الجزائرى وانتهت المذبحة بعدد من القتلى يتراوح بين ٠٠٠ر١٧ ، ٠٠٠ر٤٥ الف قتيـــل والرقم الأخير هو الذى يدعيه الجزائريون (٢١) ، كما أقدمت الحكومة على اعتقال الزعامات الجزائرية كفرحـــات عباس ، والشيخ البشـــير الابراهيمى ، ورجـــال حزب الشعب الجزائرى حتى بلغ جملة المعتقلين ما يربو على ٤٥٠٠ وطنى جزائرى

وقد تبين من مذبحة قسنطينة مشاركة السلطة الفرنسية المستوطنين فى تنفيذ المذبحة وانهم بسلوكهم الوحشى قد مهدوا الطريق لتوحيـــد الحركة الوطنية الجزائرية لصفوفها (٢٢) ٠

٩ ـ موقف الحكومة الفرنسية من الحركة الوطنية بما فيها العلماء :

عزت السلطات الفرنسية حوادث الشغب التى حدثت فى الجزائر الى سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وأنكرت حق الجزائريين فى الاستقلال وعلى هذا النهج صدر أول اجراء لحكومة ديجول المؤقتة فى ٧ مارس سنة ١٩٤٤ لذا أعلنت ان جميع الجزائريين مواطنين فرنسيين لهم حقوق ســـياسية ويتمتعون نظريا بالمســـاواة فى تولى الوظائف العامة الا أن الاعلان قد فرق بين طائفتين انتخابيتين :

١ ـ الطـــائفة الانتخابية الأولى : وتضـــم المستوطنين وعـــددا من الجزائريين تتوافر فيهم شروط اجتماعية وثقافية معينة مع الابقاء على قانون الأحوال الشخصية الاسلامى ٠

٢ ـ الطائفة الانتخابيـــه الثانية : وتتألف من مجموع الشـــعب الجزائرى وتنتخب كل طائفـــة على حـــده ممثليهـــا فى المجالس البلدية القروية ٠

وتصل نسـبة الوطنيين فى هذه المجالس الى الـ ٣/٥ كمـا كان للطـائفة الأولى حق الحصول على سبع مقاعد والثانية على ست مقاعد (٢٣) ولم يخض هذه الانتخابات سوى الادماجيين فى حين قاطعتهـا الحركـة الوطنيـة وفى هذه الاثناء صـدر عفو سـياسى عن الزعامات الجزائرية السجينة . وتمكن فرحات عباس من تكوين الاتحاد الديمقراطى لانصار البيان الجزائرى (٢٤) Amis du Manifeste et de la Liberte

كما أسس مصالى الحاج صاحب الاتجاه الثورى حزبه الجديد تحت اسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D.)
Mouvement pour le Triomphe des Libertes democratiques (٢٥)

١٠ ـ ائتلاف العلماء مع أصدقاء البيان والشيوعيين :

عندما بدأت انتخابات الجمعية التأسيسية فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ واجه الناخبون تيارين رئيسـيين يسعى كل منهما الى اجتذاب الرأى العام الجزائرى (٢٦) وتيار يسعى الى الثورة ويحبذ العمـل المباشر ويمثله مصالى ، وتيار يسعى الى الاستقلال دون الانفصال عن فرنسا ويتخذ من الكفاح السلمى وسيلة لتحقيق هدفه وكان يمثله : ائتـلاف من العلماء وأنصار البيان الجزائرى والشيوعيين . وقد دلت انتخابات نوفمبر سنة ١٩٤٦ على أن حزب البيان هو ممثل الأغلبية الجزائرية(٢٧) وقد بدا هذا الائتلاف يحسر النقاب عن وجهه حين عارض الادماج وأكد أصالة الشخصية الجزائرية وضرورة وحدة شـمال أفريقيا السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٢٨) وهذه المطالب فى جملتها مطالب العلماء الذين قادوا المعركة بذكاء تحت ستار الاستقلال دون الانفصال عن فرنسا حتى يقيض لهذا الائتلاف الوثوب الى مقاعد الجمعية التاسيسية الفرنسية ويسمع من هناك صوت الجزائر العربية .

١١ ـ العلماء داخل الحركة الوطنية الجزائرية فى الفترة من ١٩٤٧ ـ ١٩٥٤ :

عندما أدركت السلطات الفرنسية نشاط العلماء داخل الاحزاب الوطنية التى طالبت ككل بمطالب تمس أوضـاع الحكم الاستعمارى عمدت الى تزايد قبضتها الاستعمارية فاسندت منصب الحاكم العام الى مارسـيل ادمـوند ناجـلين Marcel Edmonl Naegelen. الذى منى فى عهده الحزبان الوطنيان الجزائريان حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D. والاتحـاد الديمقراطى للبيـان الجزائرى

(M.T.L.D.) بهزيمـــة ساحقة اذ حصــــل الأول على تسعة مقاعد من ٦٠ مقعدا ، والثـــانى على ٨ مقاعد وفقد الوطنيـــون جميع مقاعدهم فى الدورة التشريعية الثـــانية وحل محلهم مشايعو الادارة الفرنســية من الجزائريين وقد عانت الأحزاب الوطنية الجزائرية من تشـــدد الادارة الاستعمارية وعبثها بالانتخابات .

وبدا للمستوطنين ان كل شىء فى الجزائر يسير على هواهم فى حين نادى المتبصرون منهم وعلى رأسهم جاك شيفاليه رئيس بلدية الجزائر بسياسة التعـــاون بين الفرنسيين والجزائريين . وازاء الموقف الفرنسى المتشدد اتفقت الأحزاب الوطنية الجزائرية على نبـذ الكفاح السياسى عن طريق المؤسسات البرلمانية الفرنسية الا أن جهودها لم تتجاوز حد التلاقى فى مؤتمر ٥ أغسطس سنة ١٩٥١ وقد بدا خلال هذا المؤتمر الخلاف بين الأحزاب الرئيسية الأربعة وهى : جماعة العلماء ، الاتحاد الديمقراطى لأنصار البيان الجزائرى ، وحركة انتصـــار الحريات الديمقراطيـــة والشيوعيون بسبب معتقداتها وطريقة عملها من أجل استقلال الجزائر فالعلماء شاركوا فى المؤتمر لأنهم كانوا من أنصار وحدة صفوف الأمة من أجل الاستقلال الا أن الخلاف قد وقع بين أنصـــار البيان وأنصار الحريات فالأول رغم عدم اقتناعه بعدم جدوى النضال السياسى الا أنه كان يؤمن بالاستقلال المرحلى والثـــانى رغم ايمانه بالكفاح المسلح فانه لم يخط خطوات جادة فيه ، أما الفريق الرابع فقد اهتموا بمناقشـــة المشاكل الدولية كانتقاد حلف الأطلنطى ، والقواعد العسكرية الأمريكية ولم يناقشوا مشكلة الأرض الجزائرية التى يعيشون فوقها ، ورغم هذه الخلافات فانها لم تنعكس على قـــرارات المؤتمـــر التى طالبت بالغاء نتائج انتخابات سنة ١٩٥١ واحترام حرية الانتخابات ورفع جميع أشـــكال الظلم وحرية المعتقلين السياسيين وعدم تدخل الادارة فى شئون الدين .

١٢ ـــ علاقة العلماء بالقوى السياسية والدينية العربية والاسلامية :

نجحت جمعية العلماء ـــ عن طريق بعض دعاتها خارج الجزائر ـــ فى عمل تماس بينها وبين التنظيمات الدينية والســـياسية فى العالمين العربى والاسلامى وقد دعت جمعية العلماء من خلال هذه الاتصـــالات لقضية بلادها كما استجلبت لها العون الأدبى والمادى فيما بعـــد ومن ابرز شخصيات العلماء فى هذا المجال على الصعيدين العربى والاسلامى ، الشيخان : الفضيل الورتلانى ونعيم النعيمى على مستوى بعض شخصيات جماعة الأخوان المسلمين بمصر .

(أ) علاقة جمعية العلماء بحركة الاخوان المسلمين المصرية :

تلتقي جمعية العلماء وحركة الاخوان المسلمين في الكثير من المبادىء والأهداف والتي من أبرزها محاربة الاستعمار والعودة الى أحضان الكتاب والسنة ، ويعد الشيخ الفضيل الورتلاني عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حسب المعلومات المتوفرة لدينا همزة الوصل بين جمعية العلماء الجزائرية وحركة الاخوان المصرية بدليل تصريحات أحد أعضاء حزب الشعب الجزائري الذي قال « انني تعرفت على الشيخ الفضيل الورتلاني الذي كان يقيم معي بحارة اليهود المتفرعة من شارع جوهر القائد بالموسكي في السكن الخاص بالأزهر وقد اكتشف أبو زيد اسماتي وهذا اسمه ان الأستاذ الفضيل الورتلاني يعمل على الحاق عدد من زملائه بجمعية الاخوان وانه صحبه الى الشيخ حسن البنا في مقر الجمعية بالحلمية الجديدة ، وان أبوزيد قد شـاهد دماثة خلق المرحوم حسن البناء وحماسه واخلاصه للدعوة وان الذي لفت نظره القطبين الذي أوضح لي حينما سألته عنهما ؟ انهما سيد قطب ، ومحمد قطب ، وعثمان أمين (٢٩) وهذا نلمس منه ما يأتي :

١ ـ تلاقي مبادىء وأهداف التنظيمان في محاربة الاستعمار والعودة الى الكتاب والسنة ٠

٢ ـ بروز الفضيل عضو جمعية العلماء الجزائرية كهمزة وصل بينها وبين جمعية الاخوان المسلمين ، وصلاته بالشيخ حسن البنا الذي كان يتمتع بقدرات فائقة على الاقناع وجذب الشباب الى دعوته عن طريق معاونيه ولكن هذه الصلات حسب تحقيقي مع أبو زيد اسماتي لم تتجاوز حد التوجيه والارشاد دون الاطلاع على التعليمات الأخرى كتعليمات التنظيمات العسكرية مثلا ؟ ربما لصفته كعضو متعاون دون الانخراط كلية في تنظيم الاخوان المسلمين كما أن هناك دليلا على صلات الفضيل ممثل العلماء بحركة الاخوان المسلمين نشر على لسانه في جريدة الأهرام ينفي فيه مزاعم أحد المتهمين في قضية حسن البنا (٣٠) ٠

كما ان ثمة اتصـالات حدثت بين الشيخ نعيم النعيمي عضو جمعية العلماء وحركة الاخوان المسلمين في مصر بعد استقلال الجزائر (٣١) وفي ظروف تصفية التنظيمين من الوجهة الرسمية زار الشيخ النعيمي القاهرة ما بين عامي ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ واتصـل كباحث في علم القراءات ـ بالسيد قطب كما زار بعض الاخوان المسلمين كعثمان أمين عضو تنظيم الاخوان المسلمين دار الشيخ النعيمي في

قسنطينة وبقي هنـاك بصحبة زوجتـه قرابة (٣٢) شهر وأكد لي اولاد الشيخ النعيمي أن مراسـلات دارت بين والدهم وسـيد قطب ولكنني لم اعثر لها على أثر الا وجود بعض مؤلفات حسن البنا وسيد قطب في حوزة على شـقيق الشيخ نعيم النعيمي ويعمـل اماما لمسجد حي الوادي بمدينة بسكره (٣٣) .

وبهذه الامكانيات المتواضعة التي حصلت عليها أرجح بوجود صلات بين العلمـاء الجزائريين والاخوان المسـلمين المصريين نتيجـة الالتقاء كحركات سلفية تدعو الى الكتاب والسنة ، أما مدى التأثير والتأثر فلم أصل فيه الى نتيجة اللهم الا زعم أبو زيد سماتي بتاثره بدعوة الاخوان المسلمين ونشرها في دائرة أولاد جلال من ولاية بسكره (٣٤) .

ب ـ علاقة العلماء بالقوى السياسية العربية والاسلامية : ـ

تمكنت جمعية العلماء من الاتصال بالمنظمات السياسية العربية في شمال افريقيا امتثالا لمبدئها المنادي بضرورة وحدة الشمال الافريقي وقد تمكنت الجمعية عن طريق داعيتهـا الفضـيل الورتلاني من أجراء اتصـالات بالأحزاب المراكشية كحـزب الاسـتقلال ـ المراكشي ، وحـزب الوحدة المغربية ، وقد وصلت درجة العلاقة بين الداعية الفضيل وتلك الهيئـات السياسية المغربيـة الى حـد تكليف تلك الاحزاب للفضـيل باعتباره عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ بمهام سـياسية خارجية . اذ كلفه عـلال الفاسي زعيم حزب الاسـتقلال المراكشي بجلب التأييد والعون من قبل الحكومة الباكستانية كحكومة اسلامية ـ الى مراكش لدرء محاولات فرنسا خلع السلطان محمد الخامس والقضـاء على الحركة الاستقلالية المراكشية (٣٥) كما كلفه علال بنفس المهام الى رئيس وزراء أندونسيا وقتذاك محمد نصر (فبراير سنة ١٩٥١) (٣٦) وذلك على أثر مؤامرة المارشال جوان المقيم العـام الفرنسي في مراكش والتي حاكها لخلع السلطان محمد الخامس وسيرا على منوال استصراخ الدول الاسلامية لتأييد قضية تحرير المغرب العربي كلف محمد المكي الناصري رئيس حزب الوحدة المغربية الشيخ الفضيل ـ صاحب الصلات العديدة بأقطاب العالم الاسلامي ـ ببذل مساعيه لجلب التأييد الباكستاني كدولة اسـلامية وكللت مساعي الفضـيل بالنجاح بدليـل شكر المكي الناصري لياقت علي خان رئيس دولة باكستان على اهتمامات باكستان بقضية كفاح الشعب المغربي ومواصلته الكفـاح حتى النصر (٣٧) كما واصلت جمعية العلماء سياستها كحركة دينية في اجراء اتصالاتها

بالقوى الاسلامية وقد انتهز الفضيل فرصة وجوده في باكستان والتقى بزملائه رجال الدين الذين سمعوا منه عن جمعية العلماء الجزائرية بدليل انهم دعـوه لحضـور مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقـد فى باكسـتان يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٣ كمندوب عن الجزائر ، بل وصلت مكانتـه الى حد انتدابه مندوبا عن المؤتمر الى كافة الهيئات والجماعات الاسلامية في العالم (٣٨) ومن خلال هذا الترشيح الجديد تمكن الشيخ الفضيل من توثيق صلاته بالعديد من الزعامات الدينية الاسلامية الى حد التدخل في سياسة بعض الدول كايران ، والدليل على ذلك خطاب موجه اليه من شخص يسمى أبو القاسم الحسينى الكاشانى يبلغه فيه رفضه قبول منصب رئيس مجلس النواب فى ايران (٣٩) — رغم امتيازاته العديدة — فضلا عن اشارة الفضيل له بقبوله ، ويبـدو من الخطاب مدى حرص الرجل على وحدة صفوف الأمة الايرانية ، هذا فضلا عن علاقاته الوطيدة بالفضيل ، ومن المعروف ان ايـران كدولة اسـلامية تدين بالمذهب الشيعى ، واتصال الفضيل بايران يدل على تحقيقه أحد أهداف جمعية العلماء المسلمين التى ترمى الى توحيد القوى الاسـلامية فى العالم من سنة وشيعة لمواجهة الاستعمار ، الا أن ثمة نقطة تسـتدعى التساؤل أيصل مستوى العلماء الجزائريين فى هذا الوقت التى حاولت فيه فرنسا محو شخصية الجزائر الى هذا الحد ؟ .

الا أن الترجيح يدل على ان هناك قوة تدفع بالفضيل الى الصفوف الأولى فى العالم الاسلامى ، وهذه القوة تكمن فى اتصاله بحركة الاخوان المسلمين المصرية التى أطلع على تنظيماتها واتصالاتها وقد أهلته هذه الامكانيات للوثوب الى هذه المناصب — تحت ستار عضويته فى جمعية العلماء الجزائريين — ونتيجة لوزن الاخوان كقوة دينيـة لهـا ثقلها فى وطنها الأول مصر ، وثقلها على الصعيدين العربى والاسلامى وبالاضافة الى هذا الترشيح من قبل الاخوان ، فان الفضيل كان يجيـد الحديث بالفرنسية وهى لغة السياسة الدولية ، وقد أهلته هذه الامكانيـات لتوثيق صلاته بالهيئات الاسلامية فى العالم وكسبت جمعية العلمـاء بالفضيل شخصية أسمعت العالمين العربى والاسلامى اسـم العلماء ، وقضية الجزائر ، وجلبت التأييد المعنوى والمادى فيما بعـد لثورتهـا التى قامت فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

ثانيا : موقف العلماء من الاستعمار :

هادنت جمعية العلماء فى البداية الاستعمار ، حتى تضمن لمبادئها الاصلاحية الذيوع والانتشـار ، وزيادة فى التعمية على الاسـتعمار

أفصحت الجمعية عن هويتها فى الفصل الثالث من القسم الأول لقانونها الأساسى بانها جمعية اصلاحية لا يجوز لها ان تتدخل فى السياسة ، وقد نال العلماء بهذا التصرف مباركة الاستعمار لخطواتهم الاصلاحية المناهضة للآفات الاجتماعية كالميسر ، والبطالة ، والفجور ، والخمر طالما هى بعيدة عن التدخل فى الأمور السياسية (٤٠) وربما قصدت الجمعية بذلك تجنب نفس المصير التصفوى للحركات السياسية الجزائرية التى صفيت فى ظل قانون الأهالى الذى كان يقوم على الاعتقال الادارى ، والمصادرة ، والمسئولية المشتركة ، وقانون الغاب (٤١) .

١ ــ منشور دى ميشيل سنة ١٣٣٩ :

وازاء السياسة الاستعمارية التى تدخلت فى كل شئون الجزائر اضطرت الجمعية ان تخرج عن برنامجها الدينى ، وان تخوض فى المسائل السياسية مما أصاب السلطات الاستعمارية بالذعر خاصة حين انتشر نفوذها نتيجة نشاط دعاتها في المدارس والمساجد فكان ان أصدرت منشور ديميشيل سنة ١٩٣٣ الذى نعت العلماء بأنهم « الوهابيون الخارجون على الدين » كما طالب بعدم الصلاة خلفهم ، ولكن المنشور أتى بعكس المطلوب مما أدى الى ازدياد نفوذ العلماء .

٢ ــ موقف العلماء من سياسة الادماج :

هاجم عبد الحميد بن باديس التجنيس على انه اختيار جنسية غير اسلامية للمسلم ، وهذا ينطوى على التنكر للشرائع المقدسة التى تنظم له حياته ، وتضع له قوانين بشرية ودنيوية ثم أعلن عن عزمه على بث دعاية العلماء لانهاء سياسة الادماج ، كما انتقد الموظفين الجزائريين الذين يسيرون عليها لأنهم يضحون بعروبتهم واسلامهم لارضاء السلطة ، كما انتقد ابن باديس الادماج الروحى للفرنسيين الذين يحاكون الأوربيين ناسين عنصرهم الأصلى بنبله وأخلاقه (٤٢) .

وقد أحدثت دعاية العلماء التى بثوها فى أنحاء الجزائر ضد التجنيس الى نفور كثير من طبقات الأمة منه ، واعتبارهم المتجنس مارقا عن الاسلام كما وقعت ردود فعل بالنسبة لهذه القضية فى بعض أنحاء الجزائر ففى بلاد القبائل امتنع الطلبة عن تلاوة القرآن الكريم ، وصلاة الجنازة على المتجنسين (٤٣) كما واصل العلماء الحرب ضد التجنيس بوسائل أخرى فى نشر الثقافة العربية الاسلامية ، وترسيخ روح الاعتزاز بالتراث العربى الاسلامى عن طريق بناء المدارس العربية والمساجد

والنوادي ، وكانت صحف العلماء الوسيلة لبث اتجاههم العربي والاسلامي بين أفراد الأمة الجزائرية ·

وتحت ستار الاصلاح الديني والاجتماعي مارس العلماء السياسة وناوروا على القوى الاستعمارية في الجزائر معلنين انهم بعيدون عن السياسة ومخالفات النظام العام سواء بالاعلان الرسمي في صحفهم ، أو بطرح الثقة في مسلكهم بواسطة أوراق التبرئة والتأييد للعلماء من قبل أشخاص لهم وزنهم الاجتماعي كالنواب والأعيان وقد ذيلت هذه الأوراق ـ التي طبعت في مطبعتهم بقسنطينة ـ بتوقيعات هؤلاء الأفراد وصفتهم الاجتماعية وذلك لدرء الشبهات التي تحوم حول مسلك العلماء السياسي ، ولاظهار مدى التأييد الشعبي الذي تحظى به حركتهم الاصلاحية (٤٤) ·

٣ ـ مهاجمة العلماء للاستعمار :

وعندما طالب العلماء باصلاح العقيدة الاسلامية ، والتبصير بحقائقها واحياء أدب الاسلام وتاريخه ، وتسليم المساجد والأوقاف الاسلامية اعتبر النظام الاستعماري مطالب العلماء هذه سياسة ، مما دفع العلماء الى انتقاده ، واصرارهم على التمسك بدينهم الاسلامي ، كما طالبوا الاستعمار على لسان زعيمهم في هذا الوقت البشير الابراهيمي بعدم التدخل في أمور الدين لأنهم لو حاكموا الاستعمار الى الحق لغلبوه ولو حاكمهم الاستعمار الى القوة لغلبهم ، ولكنهم كقوم مسلمين يدينون لمبدأ العاقبة للحق لا للقوة (٤٥) وقد جاهر العلماء بهذه الآراء بشدة وتحدوا بها الاستعمار حتى لوعدها سياسة ·

وهكذا تمكن العلماء من كسر الجمود الذي خلفه الاستعمار في الجزائر (٤٦) وطهروا عقيدة الأمة من البدع والخرافات التي بشر بها أنصار الاستعمار من الطرقية ، ويرجع الفضل في ذلك الى قادة جمعية العلماء وعلى رأسهم في بداية نشأتها الشيخ عبد الحميد بن باديس ·

الباب الثالث

الشيخ عبد الحميد بن باديس

حينما احتلت فرنسا الجزائر ، بدأ الاحتـــلال في تصفية معظم مراكز الثقافة العربية نتيجة استيلائه على الأوقاف الاسلامية التى كانت تمول هذه المراكز فى مســيرتها التعليمية كما عمل على عرقلة تدريس الثقافة العربية الاســـلامية الا فى نطاق ضيق وذلك من خلال المدارس التى انشأها لتعليم الجزائريين ، حتى جـاء بن باديس قبـــل الحرب العالمية الأولى ، فعمل على نشر الثقافة العربية الاسلامية بواسطة حركته التعليمية التى انطلقت من الجامع الأخضر بقسنطينة ، ومدارس التربيـة والتعليم الاســلامية ومـدارس جمعيــة العلماء وقد دعـا بن باديس من خـلال هذه المؤسسات التعليمية الى : المحافظـة على الكيـــان القومى الجزائرى . وتوجيه الجزائر الوجهـــة العربية الاســـلامية التى تتفق وتاريخها وجنسها وحضارتها العربية الاسلامية . ويعود الفضـــل فى بعث النهضة الثقافية العربيــة فى الجزائر الى الشـــيخ عبد الحميـــد ابن باديس (١) .

الفصل السابع

شخصيته واتجاهاته

أولا : شخصيته :

١ ـ نشـــأته :

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس فى الخامس من ديسمبر سنة ١٨٨٩ بمدينة قسنطينة وانحدر الشيخ بن باديس من أسرة تنتهى الى المعز بن باديس الصـنهاجى مؤسس الأسرة الصنهاجيـــة التى خلفت الفاطميين على عرش القيروان ، وربما كان وصول بن باديس الى الزعامة الدينية للأمة الجزائرية امتدادا لأمجاد أسرته التاريخية سواء من ناحية والده أو من ناحية والدته التى انحدرت أيضا من عائلة بن جلول التى برزت فيهما بعض الزعامات السياسية ، وقد لعبت نشأته الأسرية دورا كبيرا فى تكوين شخصية عبد الحميد وبلوغها مرتبـة الزعامة فوالده محمد بن مصطفى بن الشيخ المكى كان عضوا فى مجلس ولاية قسنطينة ، وقد أهله هذا المنصب بالأضافة الى ثرائه الى توطيد صـــلاته بأصحاب النفوذ فى عمالة قسنطينة ، كما تحلى الوالد بحب الوطن ، والغيرة على الاســلام ، وحب العـلم (٢) وغرس الوالد هـــذه المبادىء فى ابنه عبـد الحميد ، الذى أرسله لتعـــلم القـرآن الكريم على يد الشــيخ محمد بن الماداسى ، كما تلقى الشيخ بن باديس مبادىء العلوم على يـد الشيخ حمدان الونيسى بجامع سيدى محمد بن النجار بقسنطينة ، وقد تعهد عبد الحميد لشيخه بألا يشغل منصبـــا حكوميـــا ، كما أخذ عبد الحميــد نفس العهد على تلاميذه فيما بعـــد حتى يقوموا بخدمة الصالح العام (٣) .

وقد اعترف الشيخ عبد الحميد بفضل والده له وبحمايته له من المكائد نتيجة نفوذه (٤) ، كما ظل عبد الحميد طوال حياته يذكر شيئين عن أمه أغنيتها التي تغني فيها آمالها في أن تراه عالما ، وزغرودتها لحظة أوبته من تونس سنة ١٩١٣ وقد فاز بشهادة التحصيل (٥) ، وما كاد عبد الحميد يستقر في قسنطينة حتى أقامت عائلته احتفالا كبيرا ابتهاجا بعودته من تونس وشرع عبد الحميد بن باديس خريج الزيتونة على الفور في القاء دروس وعظات على رواد المسجد الكبير عن كتاب الشفاء للقاضي العياشي ، الا أن دسائس خصوم الاصلاح والتجديد قد آتت أكلها فمنعه الاستعمار من متابعة القاء دروسه الدينية في المسجد بل في كافة مساجد قسنطينة وذلك حتى يمنع اتصاله بالجماهير ولما كان القانون الاستعماري يحرم عقد اجتماعات خارج المساجد فان والده وجد نفسه مضطرا الى بذل نفوذه ومساعيه من أجل السماح لنجله عبد الحميد بالتدريس فعاد عبد الحميد للتدريس بالجامع الأخضر الذي زاول محاضراته فيه الى أن قضى نحبه (٦) .

٢ ــ رحلته الى الحجاز وأقطار المشرق العربي :

ولما كان الحج فريضة على كل مسلم ان استطاع اليه سبيلا قام بن باديس برحلته الى الأقطار الحجازية ، وهناك التقى بالعلماء ومفكري العالم الاسلامي . وسعى الى شيخه حمدان الونيسي الذي كان قد هاجر الى الحجاز فرارا من اضطهاد السلطة له ، وعرض على تلميذه عبد الحميد ان يبقى الى هناك مقيما مثله ، كما التقى هناك بالشيخ البشير الابراهيمي وربطت بينهما صداقة قوية اذ لازم عبد الحميد البشير طيلة ثلاثة أشهر قضاها في دراسة أوضاع وطنهما الذي تردى أمام الوطأة الاستعمارية عليه ، كما أخذا في دراسة كيفية انتشال وطنهما من كبوته ، وقد اثرت صداقتهما القوية فيما بعد الجهود الاصلاحية لجمعية العلماء فقد خططا معا من أجل اخراجها الى حيز الوجود وفي الوقت الذي زادت فيه الوطأة الاستعمارية على بلادهما ، كما التقى في المدينة بالشيخ حسين أحمد الهندي الذي استشاره في أمر أستاذه الونيسي ، ولكن الشيخ الهندي أشار عليه بالرجوع الى بلاده حيث تستفيد من علمه وعمله الجزائر ، وقبل عودته الى الجزائر زار سوريا ولبنان ومصر واجتمع هناك برجال العلم والأدب والفكر كما زار الأزهر الشريف بمصر ووقف على أساليب الدراسة فيه ، كما زار الشيخ محمد بخيت المطيعي (٧) الذي حمل اليه كتاب توصية له من شيخه حمدان الونيسي (٨) ، الذي نعته الشيخ بخيت » بانه رجل عظيم (٩) .

٣ ـ مؤازرة زملائه فى جمعية العلماء له :

أما العامل فقد ظهر فيما بعد حينما اختمرت فكرته مع البشير وزملائه أثناء الالتقاء فى المدينة ـ اذ ساندوه وتحملوا معه المشاق ، واحتضنوا حركته الاصلاحية السلفية التى بدأها قبل الحرب العالميـة الأولى حتى ازدهرت فى فترة ما بين الحربين ، وفى الأربعينيات والخمسينيات (١٠)، وهذه الوحدة التى أوجدها العلماء كانت عاملا قويا فى تكوين شخصيه بن باديس التى برزت قوية فى الحق صلبه على المبدأ ، كمـا أصبح زملاؤه العلماء سندا قويا له فى جميع المواقف السياسية الحرجة التى وقفها دفاعا عن عروبة الجزائر واسلامها وقوميتها ، كما آزروه أيضا فى جهوده التعليمية والاجتماعية وقد خصهم بالذكر وهم : الشيخ البشير ، الشيخ الطيب العقبى ، الشيخ العربى التبسى ، الشيخ مبارك الميلى .

وهؤلاء الذين خصهم بن باديس كانـوا أصـحاب علم اجتمعت مقاصدهم وقلوبهم على دعم الاسلام والعربية الذى حاول الاستعمار النيل منها فى بلادهم (١١)

٤ ـ التجاوب الشعبى معه :

بذل بن باديس العديد من المحاولات لتغليب الصفات الايجابيـة فى الشعب الجزائرى كالكرم ، والشهامة ، والنجدة على الصفات السلبية كالأنانيـة والفـردية واللامبالاة حتى تستطيع الجزائر ان تتغلب على واقعها الفاسد الذى وصلت اليه بعد قرن من الاحتلال لها ، وكان هذا العامل ذا أثر كبير فى تكوين شخصية بن باديس ونفسيته (١٢) .

٥ ـ تأثره بالقرآن الكريم :

أمضى الشيخ بن باديس الجزء الأكبر من حيـاته يتعلم القرآن ثم يفسره للناس فى الجامع الأخضر بقسنطينة حتى أتم تفسيره ودراسته فى خمسة وعشرين عاما . ويعد بن باديس ثانى شخص يختم تفسير القرآن الكريم فى الجزائر ، بعد أبو عبد الله التلمسانى فى المائة الثامنة للهجرة رغم مشاغله التعليمية ، والصحفية والاجتماعية التى منعته من تسجيل كتابه ، كما لم تشأ ارادة المولى عز وجل أن يهتدى الناس الى من يسجل هذا التفسـير كتابة ـ نيـابة عنه أثنـاء الدرس وينشره على الناس .

ثانيا : اتجاهاته :

١ ـ الاتجاه التعليمي :

بدأ الشيخ عبد الحميد بن باديس هذا الاتجاه بتفسير القرآن الكريم لأنه كما يرى فيه نقطة البدء في النهوض بأحوال المسلمين (١٣)، في الجزائر لاسيما بعد محاولات الاستعمار القضاء على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية المتمثلة في اللغة والدين ، وقد ابتدأ الشيخ عبد الحميد عمله بالطواف بالبلاد ، وترغيب الناس في التعليم في هدوء وصمت ، ومواصلة الدروس بلا انقطاع اذ أخذ بن باديس في تعليم النشء بنفسه ، وكان يبدأ دروسه بعد صلاة الفجر ، ويقضي نهاره معلما الأطفال الدين وعلوم العربية حتى بعد صلاة العشاء ، ثم يستأنف دروسه في تفسير القرآن الكريم لكهول قسنطينة من التاسعة مساء حتى منتصف الليل (١٤) داعيا اياهم لعبادة الله وتغيير نفوسهم حتى يغير الله ما بهم ، ويبدو أن دعوته لهم كانت بمثابة دعوة للتدين الصحيح الذي افسدته الطرق الصوفية التي اتخذها الاستعمار وسيلة للسيطرة على عقول الشعب الجزائري (١٥) ، وقد امتد نشاطه الى العاصمة ووهران وتلمسان التي كان يفد اليها كل أسبوع مرة لالقاء دروسه في التفسير ٠

وقد ظل بن باديس يعمل في مجال التدريس ، وتكوين جيل جزائري يشبع بالاتجاه العربي الاسلامي حتى يطوق به الاستعمار وأعوانه الذين لم يفطنوا بعد الى خطورة العمل الذي انتواه بن باديس ٠ وكانت هذه الخطوة السديدة التي سار عليها بن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر ، لاسيما وان هذه المجموعة التي تناهز الألف كانت النواه الأولى للقوة التي أعدها عبد الحميد بن باديس لمواجهة الاستعمار ٠

وقد كشف عبد الحميد خطته عندما سأله سائل عن وسائله في محاربة الاستعمار ؟ فقال « أحارب الاستعمار بالعلم ومتى انتشر التعليم في أرض أجدبت على الاستعمار ، وشعر في النهاية بسوء المصير » وكان يردد دائما اللغة هي القوة (١٦) ، واذا ما تذكرنا تدابير الاستعمار التي كان يعدها للقضاء على التراث العربي بما حشده من قوى الصوفية الذين سيطروا على فكر الناس ، ومحاولة بث اللغات المحلية القبائلية من خلال الأغاني القبائلية ومطالب بعض النواب الذين طالبوا باحلال القبائلية بجانب اللغة العربية في ترجمة مايدور في جلسات

مجلس النواب الجزائرى لأدركنا ما ينتويه الاستعمار من محاولة طمس التراث تمهيدا لتذويب الشخصية العربية الاسلامية الجزائرية فى الوطن الأم فرنسا ، الا أن عبد الحميد بن باديس استطاع ان يهزم هذه المحاولات بحركته التعليمية التى انطلقت من قسنطينة الى مدن وجهات الجزائر ، وقد استطاع عبد الحميد من خلال حركته التعليمية أن يعد جيل الثورة الذى غرس فيه مبادىء اتجاهه العربى الاسلامى حتى أدرك الاستعمار مدى خطورته ، وكان الاستعمار يعتمد فى ذلك الوقت على طبقة كثيفة من رجال الطرق الصوفية الذى تمكن بواسطتهم من عزل الشعب الجزائرى عن الحركة الاسلامية فى المشرق والمغرب .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التقى عبد الحميد بالبشير فى تونس ، ثم زار البشير قسنطينة ورأى بعينه ثمرة جهود عبد الحميد التعليمية ، ذلك أن ما يناهز ألف طالب قد نالوا على يديه تعليمهم العربى ، واعتقد البشير منذ ذلك الوقت أن خطوة زميله عبد الحميد هى حجر الأساس فى نهضة عربية فى الجزائر (١٧) .

وابتداء من سنة ١٩٢٤ شرع عبد الحميد فى تحقيق الوسائل الآتية :

١ ــ تطوير دروسه فأخذ فى تطبيق تفسيرات القرآن على حالة المسلمين لايقاظهم ودفعهم الى مسايرة الأمم السائرة فى ركب الحياة .

٢ ــ اشتغاله بالصحافة فأسس جريدة المنتقد التى نشرت مقالات قوية أقضت مضاجع فرنسا مما دفع الفرنسيين الى تعطيلها ، ثم أسس جريدة الشهاب الاسبوعية ، وبقيت صريحة كسابقتها مهاجمة للبدع والضلالات ثم حولت الى مجلة ولكنها عطلت عند قيام الحرب .

٢ ــ الاتجاه الصحفى :

لما أحس الشيخ عبد الحميد بصلابة الأرض التى يقف عليها شرع فى مهاجمة رجال الطرق الصوفية الذين سيطروا على أفكار العامة ، ونشروا بينهم روح الانهزامية ، والولاء لفرنسا عن طريق حض الشعب الجزائرى على قبول السيطرة الاستعمارية والخضوع لها بدعوى طاعة ولى الأمر وكانوا يفسرون مدلول الآية القرآنية « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » على هذا الأساس ، وقد بدأ الشيخ عبد الحميد حملته على رجال الطرق الصوفية سنة ١٩٢٥ فى اطار محاربة الآفات الاجتماعية كالبطالة والجهل ، وكل ما يحرمه الشرع كبناء القبور ، وايقاد الشموع عليها ، والذبح عندها ، والاستعانة

بأهلها ، وقد بين الشيخ عبد الحميد أن الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف مبنية على استغلال الشيخ واذلال الناس ، وتجميد عقولهم ، وقتل شعورهم وهممهم (١٨) .

وقد اتخذ الشيخ عبد الحميد من جريدة المنتقد التي أصدرها سنة ١٩٢٦ وسيلة لمهاجمة الطرق الصوفية واظهار تصوفها الخادع لأمته الجزائرية من الوجهتين الدينية والاجتماعية وعندما تنبهت الادارة الاستعمارية الى خطورة الشيخ عبد الحميد أصدرت قرارها بتعطيل هذه الجريدة بعد صدور ثمانية عشر عددا منها ، الا أن عبد الحميد واصل الهجوم على الطرقية من خلال جريدة الشهاب التي أصدرها بعد اغلاق المنتقد ، الا أنه تمكن من خداع الادارة الاستعمارية بتخفيف لهجة كتابته . وقد بدأ عبد الحميد في نشر آرائه العلمية والدينية ، كما بادر أحمد توفيق المدني بالكتابة فيهما عن المجتمع الجزائري ، والشهر السياسي ، هذا فضلا عن عدد من أصدقاء وتلاميذ بن باديس شاركوا في الكتابة فيها . كما شارك في الكتابة بهذه الجريدة بعض علماء شمال أفريقيا اذ كتب فيها من تونس بعض الشخصيات التونسية المعروفة مثل الشيخ مصطفى بن شعبان الذي عمل على نشرها في بلاده ، وعلال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي الذي هاجم الطرق الصوفية أيضا على صعيد الشمال الافريقي حيث الخطر الواحد على مستقبل الحركة القومية (١٩) .

ولم يكتف عبد الحميد في جهوده الصحفية على الجرائد السابقة فحسب ، اذ أصدر صحفا أخرى كالشريعة ، والسنة المحمدية ، والصراط التي وقفت لها الادارة الاستعمارية بالمرصاد نظرا لعظم تأثيرها بين أفراد الأمة الجزائرية وكان نصيبها الاغلاق والمصادرة ، وربما أثرت أفكار عبد الحميد في الجمهور الجزائري مما دعا بعض مثقفيه الى هجر الطرق الصوفية ، وقد يكون اغلاق السلطات لهذه الجرائد نتيجة تدخل الطرق الصوفية لدى السلطة وان كنت لا أجد دليلا على ذلك .

٣ ــ طرقه في الاحتجاج على الحكومة :

كان لعبد الحميد في الاحتجاج طريقتان : طريقة رسمية بصفته رئيسا لجمعية العلماء المسلمين لاتتعدى حدود القانون حتى يضمن المحافظة على الجمعية ، وطريقة شخصية بصفته عبد الحميد بن باديس وهي الاحتجاجات اللاذعة التي ينعت فيها الاستعمار بكل النعوت ، واسلوب عبد الحميد في التعامل مع الاستعمار يجمع بين المناداة بوحدة

صفوف الأمة الجزائرية التي فرقتها السياسة ، والمحافظة على كرامتها ، وتكرار المناداة بالمساواة في المجالس النيابية رغم قرن السياسة الفرنسية هذا الشرط بالتخلي عن قانون الأحوال الشخصية الاسلامي ، ورغم رفض العلماء التنازل عن أحوالهم الشخصية فانهم طالبوا بالمساواة وعبد الحميد في الطريقة الشخصية لايهمه المحافظة على شخصه الذي نذره لخدمة قضية بلاده ، أما بصفته رئيسا لجمعية العلماء فان احتجاجاته لاتخرج عن الطور الرسمي محافظة منه على الجمعية كرمز لفكرة العروبة والاسلام (٢٠) ٠

٤ ــ مسلكه العمل في بناء الأمة الجزائرية :

كان من أسباب نجاح بن باديس ومن تبعه من العلماء ، أنه سلك بهم سلوكا عمليا بعيدا عن مهاترات السياسة الحزبية التي حاك المستعمر الفرنسي خيوطها ليجعل من هذه السياسة صمام أمن لحالة السخط التي عمت في الجزائر نتيجة تردي أوضاع الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية ٠ اذ بذل عبد الحميد بن باديس من ذاته ليعلم الجزائريين على اختلاف أعمارهم حتى يخلص العقيدة الاسلامية مما علق بها من شوائب ٠

وقد سارت جمعية العلماء المسلمين من بعده على نهجه في نشأة المدارس في جميع أنحاء الجزائر ، وسيرت عليها الوعاظ للقيام بتعبئة الشعب الجزائري دينيا وقوميا (٢١) ، ولكن هذه البعثات قد صادفت في طريقها العقبات والصعاب من الاستعمار وخصوم الحركة الاصلاحية ومع ذلك فقد خاض دعاة العلماء طريقهم الى الهدف برباطة جأش ، وصبر وايمان قوي (٢٢) ٠

وقد اعترف أحد الكتاب الفرنسيين وهو Jean Lacouture مؤلف كتاب 5 Hommes بأن العلماء هم الذين وضعوا فكرة الوطن الجزائري اذ قال ان مجددي فكرة الوطن الجزائري هم بالاحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء ، أي الشيخ عبد الحميد وأشد أتباعه حماسة كالشيخ الابراهيمي والعقبي ، فمنذ سنة ١٩٣٠ نرى في الواقع أن هؤلاء الرجال ذوي الثقافة الرفيعة والعلم الواسع ، وهم من أقوى الشخصيات الاسلامية في المغرب المعاصر ، قد ربطوا محاولتهم لتجديد الاسلام والقضاء على الطرق الصوفية بمحاولة تجديد الوطن الجزائري ٠

وذكر الدكتور محمود قاسم أن جريدة الكونكورد تساءلت هل يمكن لنا أن نقول عن جمعية العلماء أنها دينية ؟ نعم وعجيب ان يشك

أحد فى ذلك ولكن هذه الناحية الدينية لاتظهر لأنهـــم يحملونهـا فى صدورهم ، ولا يتحدثون بها • على أن نشاطهم لايبعدهم عنها فكل من أصفائهم لدمشق والرياض والأزهر وجامع الزيتونة والقرويين ، وكل من دعوتهم ضد متأخرى شيوخ الطرق ــ هو لفائدة القومية الجزائرية التى يخدمونها • وان سياستهم الحاضرة تنحصر فى المرابطـــة بحصن الثقافة والدين • وهكذا يتدخلون فى كل شيء ينتظرون ان يتقدم رجال آخرون لاستعمال السلاح الذى يصلونه بأيديهم ويعدونه (٢٣) •

ولم يكن الفرنسيون بغافلين عن مغزى هـــذه الحركة التى بدأوا فى مراقبتها وذلك حين أصـــدر السكرتير العـــام لحكومة الجزائر ، ميشيل ، خطابا دوريا فى ١٦ فبراير سنة ١٩٣٣ كلف فيه السلطات المحلية بوضع العناصر الشيوعية والعلماء (الوهابيين) المتهمين بمحاولة التهجم على فرنسا تحت المراقبـــة هادفا من وراء ذلك وقف نشـــاط العلماء (٢٤) • كما اعترف La Couture بقوميـــة حركة عبد الحميد بن باديس التى ردت على دعاة الادماج فى ســـنة ١٩٣٦ عنـدما كان الادماجيـــون يروجون لمبـــادئهم حـــدد عبد الحميد شخصـــية الشعب الجزائرى (٢٥) •

٥ ــ عبد الحميد بن باديس والسياسة :

لما أدركت الادارة الاستعمارية ارتفـــاع اسم عبد الحميد سـلكت طريقا آخر لفصم الوحدة الجزائرية التى حققها عبد الحميد بن باديس ، واستطاعت السياسة الفرنسية ان تغرر بالساسة الجزائريين ــ من أنصار الوسط ــ فلوحت لهم بمشروع بلوم فيوليت Bloume et Violette (٢٦) سنة ١٩٣٦ الذى وافق عليه جماعة بن جلول وأنصاره ، وفرحات عباس وأنصاره أيضا الذين كانوا يعتقدون ان المهادنة مع السياسة هى أفضل الحلول لاستخلاص حقوق المواطنين العرب عن طريق الادماج التدريجى فى فرنسا ، ولما رأى عبد الحميد سيطرة فكرة الاندماج على عقول الساسة الجزائريين ، واقتناع العامة بفكرة الاندماج وفى هذا تناقض مع دعـــوة العلماء التى تنادى بوجود خصائص مميزة للشعب الجزائرى كشعب عربى مسلم تميزه عن فرنسا ، لذا كانت فكرة المؤتمر الاسلامى التى راودت عبد الحميد هى الحل لاحباط الفكرة الادماجية ، ومن خلال المؤتمر يفرض عبد الحميد وجماعته آراءهم بصفتهم الشخصية لا بصفتهم الرسمية كعلماء

حتى يضمنوا لجمعيتهم حرية الحركة وقد حضر بن باديس المؤتمر بصحبة رفاقه العقبى،والابراهيمى ، وخير الدين وأفلحوا في توجيه قرارات المؤتمر للاعتراف بالشخصية الجزائرية العربية الاسلامية ، وتشكل وفد منهم سافر الى فرنسا ولعل نجاح بن باديس وجماعته فى ذلك ردا على دعاة الادماجية ولكن المستوطنين ساءهم نجاح بن باديس واتجاه جماعته العربى الاســـلامى فعمدوا الى احباط مشروع بلوم فيوليت مبرهنين لحـــكومة باريس ، وللمخدوعين من الجزائريين ان مركز الثقل السياسى للجزائر يدار من الجزائر وليس من باريس • ولعل هــذا ادراك لحقيقــة الحركة الباديسية ومحاولاتها ابراز اتجاههـــا العربى الاســـلامى • مما حدى بعبد الحميد بن باديس الى توجيه نداء الى رئيس المؤتمر الاسلامى الجزائرى واللجنة التنفيذية يحذره فيه من عدم استجابة الحكومة الفرنسية لأى مطلب من مطالب المؤتمر ذلك ان ثمة شواهد تدل على ذلك منهـــا : أن الحكومة الفرنسية قررت تكليف لجنة برلمانية برئاسة فرنيت Vernet ببحث (٢٧) القضية الجزائرية وأن هذا البحث لن ينتهى الا بعد ثمانية عشر شهرا ، ولعل هذا التسويف قد دفع ببن باديس الى الدعــوة لتضامن الأمة حتى تجاب مطالبها فى أجل محدود •

٦ ــ محاولة ضرب سياسة بن باديس :

عندما أدركت الادارة الاستعمارية فى الجزائر خطورة العلماء على سياستها فى الجزائر بعد فوات الأوان ، فانها سعت الى فرط عقد هذه الجماعة صاحبة التأثير على أفراد الأمة الجزائرية بتدبير حادث اغتيال الشيخ كحول مفتى الجزائر فى أغسطس سنة ١٩٣٦ ، ثم وجهت تهمة اغتياله للشيخ العقبى (٢٨) ــ من كبار معاونى بن باديس ــ الذى لاقى من عنت الادارة الفرنسية الشيء الكثير •

ولما لاحت بوادر الحرب العالمية الثانية سعت فرنسا لجلب تأييد كافة الجماعات السياسية الجزائرية لها ، فوفقت ، الا مع العلماء الذين رفضوا الخروج عن مبادئهم فكان ان أرسلت الادارة الفرنسية رسولا الى الشيخ الطيب العقبى ليعرض الأمر على عبد الحميد بن باديس الذى جمع العلماء فى مناقشة حول ارسال برقية تأييد لفرنسا ، وحدث اختلاف فى صفوف العلماء ، فرأى يميل مع العقبى صاحب فكرة مهادنة السلطة بعدما رأى قسوتها أيام اعتقاله ــ للابقــاء على مدارس ونوادى الجمعية وعدده أربعة أصوات ، ورأى آخر ضــد ارســـال برقية التأييد وعدده ١١ صوتا ، وعندئذ أوضح بن باديس رأيه : فى انه ضد ارسال البرقية التى يرفض التوقيع عليها حتى لو قطعوا رأسه ، فكان ان أعفى العقبى

من عضوية العلماء ، وأدى موقف عبد الحميد بن باديس المتشدد وجماعته الى تحرش الادارة بهم اذ حاولت الاستيلاء على مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ، وان تحل اللغة الفرنسية فيها محل العربية مما حدا بين باديس الى استنكار السلوك الفرنسي والاصرار على موقفه المتشدد ، وقامت الحرب العالمية الثانية وتوفى عبد الحميد بن باديس فى ١٦ ابريل سنة ١٩٤٠ .

الفصل الثامن

الفصـل الثامن

مجهودات بن باديس التعليمية

رغم تعدد جوانب شخصية بن باديس الا أن أبرز جوانبها هو الجانب التعليمى الذى ركز عليه بن باديس معظم نشـاطاته (١) اذ بدأ حيـاته العملية معلما فى تعليم النشء ، وكان يبدأ دروسه بعد صـلاة الفجر ، ويقضى طوال نهار اليوم فى تعليم الأطفال علوم الدين الصحيحة ، وعلوم اللغة العربية فى مسجد سيد قموش كما ذكرنا ، وكان لا يستريح سوى ساعة بعد صلاة الظهر ، يصيب خلالها قليلا من الطعام ، ثم يواصل عمله حتى صلاة العشاء ثم ينتقل الى التدريس بالجامع الاخضر حيث يواصل دروسه التفسيرية للقرآن الكريم على شيوخ وكهول مدينة قسنطينة من التاسعة مساء حتى منتصف الليل ، داعيا اياهم الى ان يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم (٢) استنادا الى الآية القرآنيـة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (٣) ، وكانت أقوال بن باديس دائمـا تدعو الى تشجيع العلم ومن ذلك قوله « اللغة هى القوة » (٤) ، ولعله يفصح هنا عن خطته الرامية الى اعداد أجيال من الشباب المثقف ثقـافة عربية حتى يواجه بهم سياسة فرنسا الرامية الى تذويب الشخصية العربية الاسلامية فى الجزائر الفرنسية ٠

١ ـ دعوته التعليمية :

قضى ابن باديس دراسته فى جامع الزيتونة بتونس (١٩٠٨ ـ ١٩١٢) ، ورجع الى الجزائر ، حيث بدأ ابن باديس جهوده التعليمية سنة ١٩١٣ (٥) وهو مدرك تماما ان السبيل الوحيد لمقاومة الاستعمار الفرنسى ليست المناورات السياسية ، وانما هو الجهد المنظم على امتداد الزمن فى سبيل تعليم اللغة العربية ، وتحرير الأمة الجزائرية من الجهل ، لذلك

شرع بن باديس يجوب قرى وبلاد الجزائر داعيا لأفكاره ومبادئه مخاطبا مواطنيه ، محاضرا فيهم معلمـا لهم فى المسـاجد والنوادى التى ساهم وجماعته فى انشائها ، معلنا ثورته التعليمية ضد الجهل (٦) ·

ولعل الشيخ ابن باديس يشير الى موطن الداء لدى مواطنيه الذين يرزحون تحت الاحتلال ، الذى يحاول تذويب شخصيتهم ، وتفريق كلمتهم ليجردهم من مصـــدر قوتهم وكان ابن باديس يدعو تلاميذه الى تجنيد مواطنيه (٧) ·

(أ) نشاط عبد الحميد بن باديس التعليمى من المسجد :

وقد اتخذ ابن باديس من الجامع الأخضر مقرا لدعوته التعليمية ، وتمكن بعد عدة سنوات من انشاء مكتب كان بمثابة نواة للتعليم العربى الابتدائى فوق مسجد سيدى (بو معزة) الى ان نقله بعد ذلك الى بناية الجمعية الخيرية الاسلامية التى تاسست سنة ١٩١٧ ، ثم انتقل هـذا المكتب الى مدرسة عصرية كبيرة تتسع لأكبر عدد ممكن من الأطفـال الراغبين فى دراسة العربية وعلومها ·

(ب) اعداده للشباب :

ولـما كان ابن باديس يعول على الشباب الجزائرى فى بعث الثقافة العربية وشخصية الجزائر العربية الاسلامية ، لذا دعا الشيخ ابن باديس سنة ١٩٣٣ جماعة من الشباب الأعضاء فى جمعية التربية والتعليم لتأسيس شعبة منهم ، باسم جمعية التربية الاسلامية كما خصص لهم يوم عطلاتهم عن العمل وهو الأحد لاعدادهم اعدادا ثقافيا باللغة العربية وقسمهم الى مجموعتين :

الأولى : تتلقى تعليمها فى الساعة العاشرة صباحا ·

الثانية : تتلقى تعليمها فى الساعة الثامنة مساء ·

وحتى يعمم ابن باديس اتجاهه العربى الاسلامى والاصلاحى ، فانه دعـا مواطنيه الى تأسيس جمعيـات اصلاحية – على غرار جمعية التربية والتعليم بقسنطينة – فى كل بلد مذكرا اياهم بارتباطهم المصيرى بدينهم الذى لن يبقى الا بانتشار التربية والتعليم حتى تستيقظ الهمم المخدرة من قبل الطرق الصوفية أعوان الاستعمار ، وكان ابن باديس قبل دعوته الاصلاحية للشباب الجزائرى قد ساءه المسلك الاستعمارى التعليمى الذى أنسى

شباب بلاده لغته ، ودينه ، وتاريخه ، وقبح دينه وقومه ، تاركا اياه للحانات والمقاهي والشوارع .

ومن ثم كانت الجهود الاصلاحية لابن باديس وجماعته ممثلة في المدارس والجمعيات والنوادي التي انبثقت عن جمعية العلماء الفرصة لتكوين جيل من الشباب يؤمن بوطنه الجزائر العربية المسلمة .

٢ ـ كيفية اعداد طلابه :

كان ابن باديس قبل اعداده الشباب الجزائري علميا يقسم طلابه الى مجموعات جغرافية بحسب البلاد الذين قدموا منها بهدف احداث التعارف بين المجموعات وسهولة الاجتماعات بينها ، كما كان يرأس كل مجموعة من هذه المجموعات عريف كان يخبر مجموعته بموعد الاجتماعات السياسية والاجتماعية ، وكان الطلبة القدماء الذين تدربوا على فن الخطابة وكيفية طرق الموضوعات يقومون بتدريب رفاقهم الجدد على نفس المهمة ، وكيفية مقاومة دعاية الطرق الصوفية وخرافاتها بالعودة الى الكتاب والسنة ، وكان ابن باديس يردد دائما عمائمنا تيجان العرب (٨) .

ولعله كان يريد من وراء هذا القول الى اظهار اقتداء جماعته بالحديث النبوي الشريف « تعمموا فان الشياطين لا تتعمم » وهذا يؤيد قولنا بانتماء العلماء الى المدرسة السلفية .

٣ ـ الشروط الواجب توفرها في تلاميذه :

اشترط بن باديس على من يرغب في الدراسة على يديه ان يكون حافظا لربع القرآن الكريم على الأقل ، والا تتجاوز سنة الخامسة والعشرين . وان يحمل خطاب تزكية من كبير بيته أو عشيرته ، وان يأتي بفراشه وغطائه (٩) .

٤ ـ نظام الاشراف على الطلبة :

لم يكتف ابن باديس بجهده التعليمي ، بل انه أنشأ لجنة من أعضاء جمعية التربية والتعليم الاسلامية مهمتها العناية بالطلبة ، ومساعدة المحتاجين منهم من الصندوق المالي الخاص بهذه المهمة والذي كان يموله تبرعات المحسنين الذين تبرعوا بسخاء بعدما شاهدوا جهود الشيخ ابن باديس من رعاية الطلاب من حيث : تعهده بتعليمهم وكفالته لاقامتهم وغذائهم ورعايته الصحية لهم والتي تمثلت في اتفاقية مع مجموعة من

الأطباء الجزائريين لرعايتهم الصحية بدون أجر ، وقد تمثلت هذه المجموعة في الأطباء بن جلول وابن الموفق ، وزرقين (١٠) ٠

٥ ـ تعليم المرأة عند عبد الحميد بن باديس :

تحمس بن باديس الى تعليم المرأة الجزائرية من وجهة نظر الشرع الاسلامى لها ، ولوظيفتها فى المجتمع ، ودورها فى الحياة ، لأن المرأة الجزائرية فى عصر بن باديس لا تخلو من أحد أمرين :

١ ـ أما محرومة نهائيا من التعليم بحيث لا تعرف قراءة أو كتابة ٠

٢ ـ وأما متعلمة تعليما أجنبيا سطحيا يعمل على استخفافها بعروبتها واسلامها وتقاليدها الاجتماعية فتصبح بالتالى متنكرة لأصلها وعروبتها واسلامها وهذا ما يرفضه الشيخ بن باديس فى المرأة الجزائرية خاصة ، والمرأة الاسلامية بصفة عامة ٠ لذا وجد بن باديس نفسه يحبذ الجاهلة التى تلد أبناء للأمة يعرفون وطنهم وقوميتهم عن المثقفة ثقافة أجنبية وتلد للأمة الجزائرية أطفـــالا يتنكرون لعروبتهم وقوميتهم (١١) لأن برامج المدارس الفرنسية تخطط لمسح المرأة العربيـــة الجزائرية مسحا يمتد الى الجيل الذى تربيه (١٢) ٠

والواقع ان بن باديس كان واعيا بأهمية تعليم المرأة الجزائرية وان كان قد قصر تعلمها على الزاوية الدينية ، والدليل على اهتمامه بقضية تعليم المرأة الجزائرية انه عندما أنشأت جمعية التربية والتعليم الاسلامية مكتبـــا لتعليم البنين والبنـــات فانه أجاز التعليم المجانى للبنـــات سواء القادرات أم العاجزات منهن عن دفع نفقـــات ، أما البنين فلا يعفى غـــير العاجزين عن دفع النفقات التعليمية (١٣) ٠

٦ ـ خصائص تعليم عبد الحميد بن باديس :

باشر عبد الحميد بن باديس نوعين من التعليم :

(أ) التعليم الدينى المسجدى :

ويتشابه مع نظام تعليم المعاهد الأزهرية بمصر ، والزيتونة بتونس ، والقرويين بالمغرب وقـــد استخدم هـــذا النمط التعليمى طريقه الالقـــاء والمحاضرة ، والحوار والسؤال أثناء دروسه فى الأدب العربى ، والحضارة الاسلامية ، والبلاغة ، وتفسير القرآن ، وشرح الحديث ، وقد درس هذا النمط التعليمى لمجموعة من التلاميذ صاروا فيما بعد من معاونى الشيخ بن باديس الذين اسند اليهم مساعدته فى التدريس ٠

(ب) التعليم المدرسي الأصلي :

وهو ذو صبغة دينية ولغوية ، وقد أقبل عليه نوعان من الأطفال :

١ ــ الأطفال الذين تابعوا دراساتهم بالفرنسية ، ويحضرون للاستزاده في تلقي مبادىء اللغة العربية ، والقرآن والدين .

٢ ــ الأطفال الذين لا مكان لهم في المدارس الفرنسية ويتابعون مناهج المدرسة العربية مع تركيز على الجانب الديني واللغوي ، ويلاحظ ان الكتب المدرسية كانت في معظمها من الكتب المقررة في المدارس المصرية في ذلك العهد .

٧ ــ انتقاد عبد الحميد بن باديس لمناهج المعاهد الاسلامية الأخرى :

انتقد بن باديس مناهج بعض المعاهد الاسلامية كجامع الزيتونة بتونس ، وجامع الازهر بالقاهرة . فقال انه حصل على شهادة العالمية من الزيتونة دون ان يدرس آية قرآنية واحدة ، ودون ان يكون لديه الرغبة في دراسته وذلك لعدم تشجيع أساتذته له (١٤) وعدم توجيههم اياه كما انتقد طريقة الدراسة بالأزهر حيث عاب على أساتذته الاتصال العابر بطلابه بحيث لا يتجاوز هذا الاتصال أوقات الدراسة (١٤) .

٨ ــ روح النضال العربي والاسلامي في منهج عبد الحميد بن باديس :

اشتمل منهج بن باديس التعليمي على المواد التالية : تفسير القرآن الكريم وتجويده ، الحديث النبوي الشريف ، الفقة ، العقائد الدينية ، الآداب ، والأخلاق الاسلامية ، فنون الأدب العربي ، المنطق والحساب وهذه المواد لا تخرج عن كونها تعليما دينيا ولغويا مع قليل من العلوم العقلية ولم يكن هذا المنهج ثابتا ، بل كان دائم التنقيح والتعديل في كل عام دراسي ففي سنة ١٩٣٣ نجد ان عدد الطلاب لا يتجاوز ١٠٠ طالب ، ونجد أن الادارة الفرنسية ــ بعد هجوم بن باديس على دعاة الاندماج والتجنيس (١٥) ــ عمدت الى اغلاق صحف السنة والصراط والشريعة ، وقد بلغ محاربة الاستعمار لجهودات عبد الحميد بن باديس ذروته حينما قرر عامل عماله الجزائر حرمان العلماء من القاء دروس الوعظ والارشاد في المساجد الخاضعة لسيطرة الادارة ــ الاستعمارية وذلك لحجب أفكارهم المنادية بعروبة واسلام الجزائر عن أذهان الناس ، ورغم ذلك فنلاحظ ان عدد الطلاب ارتفع في سنة ١٩٣٥ الى ٢٠٠ طالب ثم الى ٣٠٠ طالب سنة ١٩٣٦ ، هذا فضلا عن سفر ما يوازى الرقم الأخير الى تونس لتلقى التعليم في المرحلتين الثانوية والعالية . كما ان ثمة تعديلا قد جرى تمثل في اضافة مواد جديدة على المواد السابقة تمثلت

فى اضافة مواد جديدة على المواد السابقة تمثلت فى علوم الفرائض ، والجغرافيا ، التاريخ ، أصول الفقة ، المواعظ • وقد أدرك بن باديس قيمتها فكان يدرسها الى طلبته ، هذا بالاضافة الى كتاب الموطأ فى الحديث . وقد أفادت هذه الكتب أتباعه الذين ذكر الشيخ ابن باديس أسماءهم فى بيانه عن الحركة التعليمية مثل عبد الحميد بن الحيرش ، حمزه بوكوشة خريجى الزيتونة ، وبعض طلبته مثل : البشير أحمد وعمر دردور ، بلقاسم الزغدانى الذين كلفوا بالتدريس للطلبة المبتدئين اذ عمقت فى فكرهم السياسى ، وفتحت أبصارهم على أمراض أمتهم •

٩ – جهود عبد الحميد بن باديس على صعيد التعليم العربى :

بعد انتقاد عبد الحميد لأساليب التعليم العربى فى جامعات الأزهر ، الزيتونة والقرويين ، فانه عقد العزم على اصلاح التعليم الدينى على قدر اجتهاده ، ومن بين جهوده انه طلب من العلماء أثناء أحد مؤتمراتهم الذى كانت قد انعقدت بنادى الترقى بالعاصمة الجزائرية سنة ١٩٣٥ – دراسة قضية التعليم العربى ، والنهوض بها ، ووسائل نشره ، وتذليل العقبات التى تبرز فى طريقه •

وقد قدم العلماء تقارير حول محو الأمية للشيخ البشير الابراهيمى الذى دعا المؤتمرين ان يعتمدوا على الله وهمتهم . كما قدم الشيوخ : محمد بن العابد ، باعزيز عمر مصطفى بن حلوش تقارير عن التعليم المكتبى قدموا فيهم تصوراتهم للنهوض به ، فالأول : تصور ان يكون التعليم اتجاهه عربيا اسلاميا ، وقدم الثانى تصوراته فى شمول التعليم عمالات الجزائر الثلاث ، وأن يشتمل على التربية الدينية ، وتعليم القرآن الكريم ، والدعوة الى تعليم الفتاة ، وأن ترصد الحوافز المادية لتشجيع العلم ، أما الثالث فقد أبرز مسئولية العلماء فى تبنى قضية العلم (١٦) •

ورغم ذكر هذه التقارير الا ان بعض المؤرخين يذكر عدم وجود محاضر وقرارات ونتائج هذا المؤتمر فى صحف العلماء أو مجلة الشهاب ، ويعزو ذلك الى ظروف قاهرة (١٧) ومع ذلك انعكست هذه التقارير فى الآتى :

(أ)تكوين جمعية التربية والتعليم الاسلامية :

كان الغرض من انشائها : نشر الأخلاق الفاضلة ، والحرف اليدوية بين الصغار الجزائريين عن طريق : تاسيس مدرسة للتعليم ، وملجأ الأيتام ، ونادى للمحاضرات ومصنع لتعليم الحرف ، وارسال النابغين

من طلاب وطالبات هـذه الجمعية الذين واصلوا التعليم للدراســة فى الكليات • وقد ساهم فى ميزانية هذه الجمعية الأعضاء بواقع فرنكين فى الشهر ، وتبرعات المحسنين ، كما ساهمت الحكومة فى دعمها (١٨) ، وأيضا طلابها القادرون على الدفع •

وقد جمع الشيخ عبد الحميد فى هذه المدارس بين التربية الاسلامية لأبناء وبنات الجزائريين حتى يحافظوا على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ، وتثقيف أفكارهـم بالثقافتين العربيـة والفرنســية وتعليمهم الحرف ، والأساس المادى الذى شارك فيه الأعضاء والحكومة وأثرياء الطلاب ويلاحظ عنا أن الشيخ بن باديس — رغم وجهته العربية الاسلامية — الا أنه لم يمانع الثقافة الفرنسية ، والدعم المالى لمدارس العلماء وربما كان هدفه اظهار اتجاهه الاصلاحى فقط والذى لم تمانعه الحكومة الفرنسية ، بل على العكس أيدته بشرط عدم تداخله فى الأمور السياسية (١٩) •

(ب) المحاور العلمية والدينية والثقافية لبن باديس والعلماء :

سار بن باديس والعلماء على محاور ثلاثة تمثلت فى جهودهم العلمية والدينية والثقافية ، فعلى المحور العلمى كانت تدعو الى العلم ، ونشره عن طريق مدارسها ومساجدها ونواديها العديدة التى أسستها فى أنحاء الوطن الجزائرى •

أما على الصعيد الدينى : فقد بذلت جمعية العلماء كما رأينا من قبل جهودها فى تعليم الدين الاســلامى وتطهيره من البدع والخرافات ، والعودة به الى سيرة السلف الصــالح الذى تبشر به الجمعيــة كحركة سلفية ، أما العربية فهى لغة الدين ، وهى والدين متلازمان ومن ثم كانت الجمعية تركز فى دعوتهــا الى تعلم الدين والعربيــة ، وترغب فيهما الناس معا •

أما على المحور الثقافى فقد تمثل فى تعميق الأخلاق الحميدة — التى دعا اليها الاسلام — فى نفوس طلاب مدارسها ، والقاصدين لمساجدها ، ورواد نواديها ، ومحاربة الرذائل ، والأخلاق الفاسدة •

وكان بن باديس وجماعته يهدفون بجهودهم على هذه المحاور الى رفع مستوى مواطنيهم الجزائريين اجتماعيا ودينيا وعلميا ، وتوجيههم الوجهة الاسلامية (٢٠) ، الا ان هذه الجهود التى قام بها بن باديس وجماعته لم تكن تتفق مع وجهة النظر الاستعمارية التى كانت ترمى الى تذويب

شخصية الشعب الجزائرى بمقوماته الأساسية ، ومن ثم كانت جهود بن باديس أحد الأهداف الرئيسية التى يركز الاستعمار على ضربها والقضاء عليها ٠

١٠ ـ موقف الاستعمار الفرنسى من مجهودات عبد الحميد بن باديس :

لم تكتف الادارة الفرنسية بالجزائر باغلاق صحف العلماء ، وتحريم الوعظ عليهم فى المساجد التى تشرف عليها الادارة الفرنسية (٢١) ، بل انها شرعت فى اتخاذ القرارات التالية :

(أ) التقليل من منح الهيئات العلمية العربية المرخص لها ولمعلميها :

استنت فرنسا قانون ٨ مارس سنة ١٩٣٨ الذى اشترط : كفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية ، وصلاحية المكان للتعليم ، ورغم استيفاء المعلمين لكل هذه الشروط فان الادارة الاستعمارية كانت ترفض فى الغالب طلباتهم بدون ذكر أسباب الرفض فاذا باشروا التعليم ـ حتى لا يتعطل الأطفال عن التعليم ٠ فان الاحتلال كان يهم باغلاق المدارس ، كما حدث بالنسبة لمدرسة دار الحديث (٢٢) التى ما كادت تباشر أعمالها حتى أغلقتها سلطات الاحتلال فى يناير سنة ١٩٣٨ (٢٣) ، كما بادرت أيضا باغلاق المساجد والنوادى ، وكانت تقود المعلم الى المحاكمة بتهمة التعليم بدون رخصه وقد ترتب على اصدار هذا القانون اغلاق مدارس التعليم العربى الحر ، وتشريد تلاميذها وسجن المعلمين أو سحبهم وغرامتهم معا (٢٤) ٠

ثمة ملاحظة على قانون ٨ مارس سنة ١٩٠٨ أنه لم يشمل التعليم الفرنسى الحر الذى كانت تقوم به الهيئات التبشيرية ، ولا التعليم العبرى الذى كانت تباشره المعابد اليهودية ، الا ان هذا القانون كان ورقة مساومة تساوم بها الاحتلال ، فقد كان يطبقه حسب الظروف السياسية للشعب فمثلا كان يغض النظر عن تطبيقه حتى يمتص نقمة الشعب الجزائرى عليه ، أما اذا واتته الظروف السياسية كقيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، أو أحداث مايو سنة ١٩٤٥ فانه كان يعمد الى تطبيقه وتتمثل صور التطبيق فى : غلق مدارس التعليم العربى الحر العربية ، وسجن المعلمين الذين يعملون دون رخصة مما يؤدى الى تشريد التلاميذ وانتكاس الحركة العلمية للعلماء (٢٥) وقد أدت نتائج هذا القانون الى غلق كثير من المدارس نتيجة الصعوبات التى كان يصادفها المعلمون فى سبيل الحصول على رخصة العمل ٠

(ب) محاكمة المعلمين لعدم حملهم الرخصة :

اعتبر المعلمون الجزائريون أنفسهم مجندين للحصول على مقومات شخصيتهم العربية واخذوا فى مباشرة رسالتهم التعليمية سواء حصلوا على رخصة أم لا مما حدى بالاحتلال الى محاكمتهم بدعوى انتهاك القوانين لأنهم يعملون بدون رخصة كما حدث خلال العام الدراسى (١٩٤٨ – ١٩٤٩) عندما قامت سلطات الاحتلال القضائية بالنظر فى سبعة وعشرين قضية حكم فى جميعها بالتغريم ، وفى ثلاثة منها بالغرامة والحبس ، وفى واحدة منها بالسجن والغرامة مثل قضية محمد شرف الأكحل مدير مدرسة ايفيل بدعوى انه معلم بدون رخصة (٢٦) ، كما جرت محاكمات أخرى على غرار هذه المحكمات أمام محاكم ذراع الميزان ، وتيزى وزو .

(ج) اغلاق المدارس العربية الحرة :

كانت معظم المدارس العربيـة الحرة تغلق بعد زمن قصـير من افتتاحها ، وكان يسجن معلموها ، ويشرد تلاميذها ، وتحاكم الجمعية التى أنشأتها بهدف عرقلة التعليم العربى ، ووراء عملية الغلق نجاح هـذه المدارس فى انجاز مهمتها التعليمية كما حدث بالنسبة لمدرسة دار الحديث فى تلمسان التى سبق الاشارة اليها ، وجميع الكتاتيب القرآنية فى منطقة الأوراس بشرق الجزائر والتى يسكنهاأكثر من ستين ألف نسمة .

(د) تعطيل النوادى الوطنية :

لم تسلم هذه النوادى من محاربة الاحتلال ، بسبب دورهـا فى تهذيب الشباب وتوجيههم الوجهة العربية الاسلامية عن طريق نشاطاتها الدينية والثقافية والاجتماعية والرياضية ، وكانت هذه النوادى تعتمد فى بقائها واستمرار رسالتها الثقافية على اشتراكات الأعضاء من ناحية ، ومن ناحية أخرى على حصيلة بيع المشروبات لروادها ومن حصيلة هـذه الايرادات كانت تنفق على رسالتها الثقافية والاجتماعية ، كما أنها خصصت جزءا من ايراداتها لمساعدة مدارس العلماء للنهوض برسالتها العلمية .

وقد انزعج الاحتلال لدور هذه النوادى فبدأ فى محاربتها ، كمـا حارب المدارس من قبل ، وذلك بحظر بيع المشروبات داخلها الا بترخيص من ادارة الاحتلال ، وتصعيب الحصول على الرخصة ، كان الهدف من ذلك الاضعاف المادى لهذه النوادى حتى تعجز عن مواصلة رسالتها التوجيهية ، وقد ترتب على قرار وزير الداخلية الفرنسى عجز النوادى عن تدبير النفقات

اللازمة لأداء رسالتها الثقافية نتيجة حرمانها من جزء من مصادر تمويلها وهو بيع المشروبات . كما كان الاحتلال يرمى من وراء غلق هذه النوادى الى هـدف آخر بعيد هو منع التقـاء اكبر عدد من المسئولين عن الحركة الاصلاحية والتعليمية فى هذه النوادى .

ورغم كل هذه المضـايقات من قبل السلطة لمجهودات بن باديس التعليمية فان عبد الحميد واصل مهمته ليس على الصعيد العلمى فحسب بل على الصعيد السياسى أيضا .

الفصل التاسع

مجهودات ابن باديس
السياسية بالنسبة للرأى العام

١ ــ بدء المقاومة :

كان ابن باديس يرى مقاومة السياسة الفرنسية حسب ما تقتضي الظروف (١) مصرحا أن دعوته الاصلاحية لا يجوز لها الخوض فى السياسة ، ونال بذلك مباركة الاستعمار لجهوده التعليمية طالما لا يخوض فى الأمور السياسية (٢) ، الا ان عبد الحميد بدأ يحسر النقاب عن وجهه السياسي ــ الذى سبق ان كشفه من قبل حينما دعا مواطنيه الى مقاطعة احتفالات الفرنسيين بمرور مائة عام على احتلالهم لقسنطينة واستجاب له مواطنوه ــ حينما عارض سياسة التجنيس والادماج ·

٢ ــ مقاومته لسياسة الاندماج :

أدت سياسة الاندماج والتجنيس التى انتهجتها فرنسا فى الجزائر الى احتكاك ابن باديس وجماعته بالادارة الفرنسية ، مما حدا بالشيخ ابن باديس الى دعوة الشعب الجزائرى الى عدم مناصرتها ، ومقاومة أنصارها ·

وقد وجه ابن باديس وجماعته ضربة قوية للتجنيس حين أصدر العلماء فتوى توضح أن التخلي عن قانون الأحوال الشخصية يعتبر ارتدادا عن الدين الاسلامى ، وبالتالى يحرم المتجنس من الصلاة عليه عند وفاته ، ومن دفنه فى مقابر المسلمين ، وقد أثارت هذه الفتوى التى أذاعها العلماء بطرقهم الخاصة فزع المتجنسين والاستعمار ، كما حارب الشيخ ابن باديس

بوسيلة ثانية تمثلت فى نشر الثقافة العربية عن طريق بنـاء المدارس العربية والمساجد ، والنوادى ، والصحف التى روجت لهذه الفكرة بين الجزائريين (٣) ٠

وحينما أدركت السياسة الفرنسية محاولات ابن باديس وجماعتـه فى توحيـد صفوف القـوى القومية الجزائرية فانهـا لوحت للجزائريين بمشروع بلوم وفيوليت (٤) سنة ١٩٣٦ الذى ضلل الكثير من السياسيين الجزائريين فاقتنعوا بفكرة الادماج أملا فى استخلاص الحقوق السـياسية لمواطنيهم ٠

٣ ـ دعوة عبد الحميد بن باديس الى المؤتمر الاسلامى ١٩٣٦ :

هال ابن باديس سريان فكرة الادماج التى اقتنع بها بعض الزعامات السياسية الجزائرية مثل بن جلول وجماعته ، وفرحات عباس وجماعته ، وروجوا لها فى أوساط الشعب الجزائرى ، وقد وصـل التطرف ببعض النواب الى حد الادعاء بحقهم فى البت فى مصير الأمة الجزائرية ، والأمة غائبة فى سبات عميق عن الميدان ، وحتى يدرك ابن باديس هذه الأوضاع المتردية نشر آراء له فى السياسة فى ٢ يناير سنة ١٩٣٦ فى جريدة « لا د يفانس » La de Vance التى كان يصدرها الأمين العمودى باللغة الفرنسية ، ومن تلك الآراء ضرورة عقد مؤتمر اسلامى جزائرى يضم كافة الاتجاهات السياسية الجزائرية لتنظيم جهـودها فى مواجهة القـوى الاستعمارية لأن المرجع فى مسائل الأمة التى كانت غائبة عن ميـدان السياسة هو الأمة نفسها ، والواسطة لذلك هى المؤتمرات ٠

وترددت فكرة الشيخ ابن باديس فى النوادى ، فاجتمـع المؤتمـر الاسلامى الجزائرى يوم ٧ يونيو ١٩٣٦ (٥) بنادى الترقى بمدينة الجزائر ، وقد ضم المؤتمر الاسلامى تيارات : من مؤيدى الادماج ، ومؤيدى مشروع بلوم فيوليت (٦) ، ومن العلماء ، وكان ضمن قرارات المؤتمر ارسال وفد الى باريس كان من بين أعضائه الشيوخ : عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبى ، البشير وذلك لشرح وجهة نظر المؤتمر للحكومة الفرنسية التى لوحت للوفد بفكرة الادماجية التى راجت بين أوساط الشعب الجزائرى وعارضها بن باديس وجماعته من العلماء ، ورغم هذا فانه شارك فى صفوف المؤتمر أملا فى توحيد صفوف الحركة القومية الجزائرية ، ولم يشذ عن وحدة الصف سوى حزب نجم شمال افريقية (٧) ذات الاتجاه الثورى الذى قاطع المؤتمر لأنه يؤمن بالاستقلال ، والكفاح ويعارض الادماج وهو وان كان يلتقى مع العلماء حول مبدأ الاستقلال لكن لكل منهما زاويته الخاصة فأسلوب نجم شمال أفريقيا واضح صريح ، ولكن أسـلوب جماعة العلماء

يكتنفه الغموض — انطلاقا من مبدأ المقاومة حسب الظروف — فهم ان كانوا ينادون بوجود شخصية مستقلة للجزائر بمقوماتها فهذا يعني الجهر به كما جهر به حزب نجم شمال افريقيا ، ولكن نقطة الخلاف هنا المشاركة في المؤتمر الاسلامي بصفة العلماء الشخصية لا بصفتهم أعضاء رسميين في جمعية العلماء ، ولكن يؤخذ على أسلوب العلماء في هذا المؤتمر أنه لم يحو سوى لهجة الترغيب وانتظار الوعود الفرنسية وكيف يستطيع ابن باديس زعيم العلماء استخلاص حقوق مواطنيه ثم يحرضهم على التمرد كما فعل حين طلب من مواطنيه مقاطعة الاحتفال المئوى لاحتلال فرنسا للجزائر . كذلك لم يحقق اجتماعهم بأجنحة الجبهة الشعبية سوى تأييد الاشتراكيين والشيوعيين لمطالبتهم بينما عارضهم الراديكاليون — الذى يبدو أنهم قوة لها وزنها في الجبهة بدليل أخذ بلوم بآرائهم — الذين كانوا يرون ارسال لجنة للبحث ولم يحقق اتصالهم بالصحافة الفرنسية سوى لفت أنظار الرأى العام الفرنسي للمسألة الجزائرية الفرنسية (٨) وهكذا عاد وفد المؤتمر الاسلامي بالفشل ، وأدرك ابن باديس بحسه السياسى أن ثمة تفاهما قد تم بين حكومة باريس والمستوطنون مما أفشل مطالبهم التى حملوها الى حكومة الجبهة الشعبية ، ويقال ان بن باديس أنشأ قصيدته المشهورة :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب

كردا على فشل مهمته التفاوضية مع حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية ، واذا ما رجعنا الى القصيدة لمسنا أنها تحوى على معانى الأصالة ، ورفض الادماج ، والدعوة الى ارهاب الظالمين ، وتطهير الخونة ، واحياء أمجاد العروبة ، والاعتراف بالحق الجزائرى ، وفكرة العروبة وفيما بعد ، وبعد مرور ثمانية عشر عاما نجد أن هذه المعانى قد تصدرت البيان الأول لثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ (٩) مما أثار ثائرة الادارة الجزائرية التى أحسست بخطورة الوجه السياسى للحركة الباديسية ، ومدى تأثيرها في نفوس الناس فحاولت ضربها عن طريق تدبير اغتيال مفتى الجزائر سنة ١٩٣٦ .

٤ — ضرب سياسة العلماء :

في الثانى من أغسطس سنة ١٩٣٦ اغتيل المفتى محمود كحول المعروف بابن دالى بأحد شوارع مدينة الجزائر ، وقاد التحقيق الى اتهام الشيخ الطيب العقبى — من كبار أعوان الشيخ ابن باديس — باغتياله ، وقد ادعت الادارة الفرنسية في الجزائر ان العلماء هم الذين دبروا اغتياله لأنه عارض المؤتمر الاسلامي ١٩٣٦ ، كما عارض ارسال وفد منهم ضمن

وفد المؤتمر الى باريس ووصفهم بأنهم غوغائيون لا يمثلون الرأى العام الجزائرى ، ولعل اتهام العقبى يعنى ضرب سياسة ابن باديس التى تنبهت لها الادارة الفرنسية بالجزائر أخيرا ، فالعقبى - بنشاطه - حول مدينة الجزائر الى معقل للأفكار الاسلامية ، بعد ان سيطرت عليها أفكار المعمرين ، وأنصار الادارة الفرنسية ، كذلك لم تغفر له الادارة الفرنسية من قبل نشاطه المضاد - كمساعد لابن باديس فى مدينة الجزائر - ضد منشور دى ميشيل الذى ندد بالعلماء وشبههم بالوهابين سنة ١٩٣٣ . ومن ثم كان اتهام العقبى هو ضرب للسياسة الباديسية وللعلماء عامة . ومن ثم حشد العلماء جهودهم لمقاومة هذه الفكرة الماكرة التى كادت ان تطيح بالعلماء وسياستهم ورغم وقوف العلماء ، وصحافتهم بجانب العقبى ، وزميله عباس التركى ، ومطالبتهم بنقل المحاكمة الى فرنسا ، ثم براءتهم أخيرا فى ٢٨ يونيو سنة ١٩٣٩ ، الا ان الشيخ العقبى قد راوده احساس بأن زملاءه لم يقفوا بجانبه وقت الشدة ، هذا بالاضافة الى تأثير السجن ، والمحاكمات المتتالية على مسلكه الذى حدا به أخيرا الى الميل لمهادنة فرنسا التى استطاع أعوانها كسر درجة التشدد من سلوكه الذى كان يظهر به قبل حادث بن كحول (١٠) .

٥ - نذر الحرب العالمية الثانية وأثره فى مسلك عبد الحميد بن باديس :

تواكبت الأحداث على العلماء على أثر عودة ابن باديس من مفاوضات المؤتمر الاسلامى مع حكومة الجبهة الشعبية ، ثم جاءت قضية مصرع مفتى الجزائر ، وقد دافع ابن باديس عن العقبى ، وعند ذلك دفاعا عن سياسته التى بدأت تتيقظ لها الادارة الفرنسية والمستوطنون وبعد الافراج عن العقبى بدأت السحب تتلبد فى سماء السياسة العالمية واعتقد الجزائريون أن الحرب قاب قوسين أو أدنى . فبدأت المنظمات الجزائرية فى اظهار تأييدها للسياسة الفرنسية عن طريق البرقيات اذ بعثت جماعة الميعاد الخيرى « وهى هيئة مكونة من القياد والاغوات » ، وجماعة اتحاد الزوايا برقيات التأييد والولاء للحكومة الفرنسية فيما عدا العلماء مما حز فى نفس الفرنسيين ، فدفعوا بأحد أعوانهم الى الشيخ الطيب العقبى لعرض قضية التأييد على بن باديس وذلك حتى يبدو المسلمون الجزائريون صفا واحدا وراء فرنسا ، ودعا بن باديس جماعته الى اجتماع ، وطرح قضية تأييد السياسة الفرنسية طالبا من الأعضاء الادلاء بآرائهم ، فصوت غالبية أعضاء جماعة العلماء ضد ارسال برقية التأييد الى فرنسا ، بينما استحسن العقبى وثلاثة آخرون الابراق بالتأييد وبرروا ارسالها حتى تسلم مدارس ، ونوادى ومشاريع العلماء الخيرية من بطش فرنسا ، وحتى يبقوا متصلين بالأمة الجزائرية .

وهنا حسر بن باديس النقاب عن رأيه فى عدم ارسال البرقية ، وأن الغالبية لو أيدت ارسال البرقية لاستقال (١١) ، ثم أخذ فى اجراء تصفية جناح المتخاذلين من جماعته فكانت النتيجة خروج العقبى وثلاثة من العلماء ، وأصبح مجلس العلماء قاصرا على العلماء المتشددين المناصرين لفكر بن باديس السياسى الذى أخذ فى الجنوح والتشـــدد مع السياسة الفرنسية ٠

٦ - الفكر الثورى لعبد الحميد بن باديس :

لما كان بن باديس يدرك بثاقب فكره قوة الاحتلال الفرنسى وبطشه بالحركات الوطنية ، وانه لا يستطيع مواجهته وحيدا ، فانه كان ينتظر فى الأفق السياسى ثمة عوامل مساعدة تعينه على تصعيد الغليان الشعبى ضد فرنسا ، ومن ثم فانه كان ينتظر اعلان ايطاليا الحرب على فرنسا حتى يعلن هو الحرب على فرنســا الا أن هــذه الخطــة لم تكن ســوى أمنيــة شخصــية له بدليل سقوط باريس أمــام جحافل الغزو الألمانية ، وعدم تحرك أعوان بن باديس ، مما يدل على عدم وجود اعداد مادى لتنفيذ الخطة التى أفصح عنها لأحد أصدقائه - والتى لم تكن كما أسلفنا سوى مجرد أمنية شخصية بدليل أن أحد المراجع الجزائرية (١٢) قد ذكر أن : أحمد بوشمال وهو من أعوانه ، قد ذهب الى قبره وهنأه بسقوط باريس وبموت الشيخ عبد الحميد بن باديس فى العاشر من مارس ١٩٤٠ اختار العلمــاء الشيخ محمد البشير الابراهيمى لرئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٣) ٠

الباب الرابع

الشيخ البشير الابراهيمي

قرر المجلس الادارى لجمعية العلماء ، ورؤساء الشعب ـ بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ اختيار الشيخ محمد البشير الابراهيمى (١) رئيسا لجمعية العلماء ، وكان البشير وقتها منفيا فى معتقل آفلو بالصحراء الوهرانية بقرار عسكرى من دالادى Deladieu وزير الحربية الفرنسى (٢) لأن السياسة الفرنسية ـ وقت الحرب العالمية الثانية ـ اعتبرت وجوده طليق السراح خطرا يهددها (٣) وكان اختيار العلماء له ـ وهو فى المنفى كزعيم يقود الجماعة فى هذه الظروف ـ دليلا على تحدى العلماء للسلطة الفرنسية وقد عمل الابراهيمى على تطوير الجماعة ، ونرى خلال بحثنا سنتين أى مجهودات بذلها الابراهيمى من أجل الجزائر ٠

الفصل العاشر

مجهودات الابراهيمي داخل الجزائر

١ ـ نشأته وأثرها في تكوين شخصيته :

نشأ الشيخ البشير الابراهيمي في بيت علم عريق ، وهاجر بعض أفراده من أجل طلب العلم الى القاهرة ، ونتج عن وصولهم بالقاهرة ، انتشار أسماء مشايخ الأزهر في عائلتهم : كالأمير ، والصاوى ، والحرشى والسنهورى ، وكان قد تتلمذ على يد مشايخ القرية ، ولما بلغ عامه السابع حفظ القرآن الكريم على يد عمه ، كما قرأ لابن مالك ، وبعض العلوم الدينية حتى بلغ سن الرابعة عشر من عمره ، ولما توفى عمه ، قام الابراهيمي بتدريس العلوم التى أجاز عمه له أن يدرسها ، الى الطلاب الذين تقاطروا عليه من القرى المجاورة ، ليقيموا في ضيافة والده كما كان يجرى أيام عمه ، وقد لحق البشير بوالده الذى سبقه من قبل الى السفر الى المدينة المنورة ، ومر في طريقه بالقاهرة ، ومكث فيها ثلاثة شهور ، اتصل خلالها بعلماء الأزهر كالشيوخ : سليم البشرى ، ومحمد بخيت ويوسف الدجوى ، عبد الغنى محمود ، والسمالوطى . كما حضر عدة دروس للشيخ رشيد رضا في دار الدعوة والارشاد ، والتقى بالشاعرين أحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم (١) ، كما قرأ فيما بعد للكواكبى ، والأفغانى ، ومحمد عبده واتخذ من مبادئهم مبدأ له في الاصلاح الاجتماعى والدينى ، كما اتخذ من مدرسة عرابى ، ومصطفى كامل مبدأ له في الوطنية (٢) .

وقد واصل الابراهيمي رحلته الى المدينة المنورة ، وهناك أتم دراسته العالية على شيوخ كثيرين منهم عبد العزيز الوزير التونسى ، وحسين أحمد الفيضى أبادى ، وابراهيم الشنقيطى ، ثم رحل الى دمشق مع سكان

المدينة المنورة الذين أمرتهم السلطات العثمانية بالرحيل آنذاك الى دمشق على أثر استفحال ثورة شريف مكة حسين ، وهناك باشر مهمة التدريس بالجامع الأموى فى دمشق ، وقد اتصل به الأمير فيصـــل بن الشريف حسين وأسند اليه ادارة التعليم هناك ولكنه اعتذر ، وفى المدينة التقى برفيق جهاده الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى ذهب لتأدية فريضة الحج ، وتلازما لمدة ثلاثة شهور متواصلة وقد توطدت خلال هذه الفترة بينهما أواصر صداقة قوية قال عنها الابراهيمى انه وضع فى خلالها اللبنات الأولى لتأسيس جمعية العلماء المسلمين التى كانت على حد قول الابراهيمى مجرد فكرة فى سنة ١٩١٣ ، ويبدو أن تشـــابه الظروف بين الشيخ ابن باديس ، والابراهيمى هـــو الذى أدى بعودتهما الى بلادهـــا لمواجهـــة الاستعمار ، فالأول وهـــو الشـــيخ ابن باديس كان متأرجحا : بين رأى أستاذه حمدان الونيسى الذى حبذ بقاءه بالحجاز ، وبين رأى الشيخ الهندى الذى أشار بعودته الى الجزائر لتسخير علمه لخدمة مواطنيه فكان التمشى مع رأيه ، وربما أقنع الابراهيمى بالعودة حتى يضعا علمهما معا لخدمة وطنهما ، ومن ثم كان قرار الابراهيمى بالعودة الى الجزائر فيما بعد مقنعا والده الذى هاجر من قبل الى المدينة فرارا من ظلم فرنسا (٣) — بالعودة الى الجزائر ، مبررا عودته بأسباب : احياء الدين ، واللغة العربية ، وقمع الظلم ، ومقاومة الاستعمار (٤)

٢ — جهوده التعليمية قبل تأسيس العلماء :

عاد الابراهيمى الى الجزائر ، والتقى بصديقه الشـــيخ بن باديس فرأى جهوده العلمية فى قسنطينة قد أثمرت عن : شبان تخرجوا على يديه ، ونبغ منهم الشعراء الذى أصبح فى وسعهم : نظم الشعر العربى ، وطرق موضوعات تمس صميم حياة الأمة . كما برز آخرون فى مجال الصحافة عندئذ أدرك الابراهيمى أن خطوة زميله هى حجر الأساس فى ارساء نهضة عربية فى الجزائر (٥) ، وما كاد يحل فى مدينة سطيف حتى بدأ فى عقد الندوات العلمية للطلبة ، والقاء الدروس الدينية للجماعات القليلة ، ثم تدرج الابراهيمى بعد ذلك من مخاطبة مواطنيه فى القرى والنوادى — من خلال محاضراته التاريخية والعلمية — الى التجول فى بلاد الجزائر لالقاء دروس الوعظ والارشاد الدينى ولما أدرك الشيخ الابراهيمى مدى استعداد مواطنيه للنهضة العلمية التى كان يبشر بها فى خطبه أخذ فى اعداد نواة من تلاميذه لبث أفكاره العربية الاسلامية ، وذلك بانشاء مدرسة صغيرة لتدريب فئة خاصة من الشبان على الخطابة ، والكتابة فى الصحف وقيادة الجماهير فى الوقت الذى كان يتظاهر فيه بالتجارة ،

هربا من ملاحقة الشرطة له ولزواره الذين كانوا يفدون عليه من تونس والحجاز .

وفي الفترة من ١٩٢٠ - ١٩٣٠ تبادل الشيخان بن باديس والابراهيمي الزيارات سواء في قسنطينة أو سطيف ، وتناقشا خلالها في جهدهما المشترك ، كما خططا معا للمستقبل بتكوين جيش عقائدي يعتنق مبادىء : العروبة ، والايمان ، والتحمس لمناهضة الاستعمار وذلك عن طريق تربيته تربية اسلامية صحيحة مع قليل من العلم ، وقد استطاعا بهذا الجيش من الدعاة افساد برنامج الاحتفال المئوي لاحتلال فرنسا لمدينة قسنطينة (٦) وذلك حين أوصل زملاء دعوة الشيخ بن باديس للأهالي بمقاطعة هذا الاحتفال فكان ان الدس انتشار وسط الشعب الجزائري الذي استجاب لهم ونجحت مقاطعة الاحتفال من قبل الشعب الذى أهان هذا الاحتفال المئوى مشاعره ، وذكره بشهدائه ، ومس كرامة الأحياء من مواطنيه (٧) ، وكانت استجابة الشعب للمقاطعة معناها الالتفاف حول أفكار العلماء الذين كانوا يعدون للخطوة التالية وهى تأسيس جمعية العلماء .

٣ - جهود الابراهيمي داخل جمعية العلماء :

قامت هذه الجمعية ردا على الاحتفال المئوي لاحتلال فرنسا للجزائر ، الا أن الروايات تضاربت حول تأسيسها بين الابراهيمي ، والمدني (٨) . الا ان كليهما يتفقان على ان المجلس الاداري للجمعية قد ضم كافة الاتجاهات اذ ضم العلماء ، وأصحاب الطرق الصوفية بدليل قول الابراهيمي :

« كان مجلس الادارة الذى تألف في السنة الأولى غير منقح ، ولا منسجم نتيجة العجلة والتسامح فكان من بين أعضائه ولو بقية يخضعون للزوايا وأصحابها رغبا ورهبا وكان وجودهم فى مجلس الادارة مسليا لشيوخ الطرق ومحفظا من تشاؤمهم للجمعية لسهولة استخدامهم لهم عند الحاجة ، فاما ان يتخذوهم أدوات لافساد الجمعية واسقاطها واما يتذرعون بها لتصريف مصالحهم وأهوائهم » .

ويقول المدني : « ان المجلس الادارى قد ضم كافة المصلحين كبن باديس ، والعقبي ، والبشير الابراهيمي ، وسعيد الزاهرى ، وأصحاب الطرق من أمثال بن عليوه » .

ولما تكون المجلس الاداى للعلماء فى بداية نشأتها في الخامس من

مايو سنة ١٩٣١ أسند الى الابراهيمى منصب نائب الرئيس ، وعندما وزعت المسئوليات فيما بعد تولى الشيخ الابراهيمى القطاع الغربى فانتقل اليه متخذا من مدينة تلمســان العاصمة العلمية القديمة مقرا لنشــاطه التعليمى الذى استهله بدروس منظمة للتلاميذ الوافدين حسب درجاتهم .

وفى الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الذى كان ينعقد فى فصل الشتاء كان الابراهيمى يثير المشاكل التى اعترضت الخطة التعليمية العلنى والسرى منها ، وقد تمثل العلنى فى موقف الجمعية من الحكومة فيما يتعلق بتعطيل الصحف ، ومضايقة المعلمين . أما المشاكل السرية فقد تمثلت فى كيفية مخادعة الحكومة ، ومداراتها — فى الوقت نفسه — وعدم التهاون فى حقوق الشعب (٩) حتى يتفهم الشعب الجزائرى دعوة العلماء الاصلاحية ، ويستجيب معها ، ويصبح سيد مستقبله ، بدلا من أن يرضى — بتبعيته لفرنسا .

وقد أقلق نشــاط الابراهيمى — المبنى على الاستخفاف بفرنســا وقوانينها (١٠) — فرنسا التى أدركت عاقبة نشاط الابراهيمى لو سكتت عليه فكان أن زجت به فى معتقل آفلو وبعد أســبوع من اعتقاله توفى الشيخ بن باديس واختاره العلماء لرئاسة جمعيتهم ، ولما أفرج عنه بعــد ثلاث سنوات ، استهل رئاسته بتنشيط حركة انشاء المدارس ، وعودة نشاط جمعية العلماء ، وصحيفتها البصائر التى أوقفها العلماء عن الصدور لسبب أنهم تحت ظروف الأحكام العرفية لن يستطيعوا التعبير بأقلامهم عما يريدون ، كما عادت أيضا مجلة الشهاب ، وقد تولى الابراهيمى الى جانب رئاسته للعلماء رئاسة تحرير البصائر ورغم هذا فقد باشر الاشراف على النشــاط التعليمى ، والعمل على توحيــد صفوف الأمة التى حاول الاستعمار تفرقتها (١١) .

٤ — جهود الابراهيمى فى انشاء التعليم الثانوى :

لما تزايد عدد خريجى المدارس الابتدائية للعلماء ، رأى الابراهيمى ضرورة الانتقــال الى المرحلة الثــانوية فى مدارس العلماء فكان أن دعا الابراهيمى وزملائه العلماء الأمــة الجزائرية للاكتتاب فى انشــــاء هــذا المعهد ، واشـــتروا قطعة من الأرض الفضــــاء فى بطحة قسنطينة لتكون مقرا لهذا المعهد ، كما أقرض حموش كرمانى أحد أثرياء قسنطينة ثلاثة ملايين فرنك للمشروع (١٢) سدد له الابراهيمى مليونا على ثلاثة مرات وسدد ٨٠٠ ألف فرنك على مراحل (١٣) كما أخذ الابراهيمى وزملاؤه فى الاعداد لمعهد التعليم الثانوى الذى أطلقوا عليه اسم معهد عبد الحميــد

ابن باديس تخليدا لذكراه فأعد الأساتذة والمال ، ثم التلاميذ والكتب ، واكتملت فيه المرحلة التعليمية ، وأصبح المعهد يتميز بالنشاط العلمي ، والنظام ، وأقبلت عليه الأمة الجزائرية ، وقد بلغ عدد طلبات الالتحاق بالدراسة بالمعهد سنة ١٩٤٨ ثمانمائة طلب ، كما امتازت السنة الثانية للعام الدراسى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ : بزيادة عدد المقبولين عن العام الماضى ، وبانشاء السنة الرابعة وهى التى يحصل فيها الطلبة على الشهادة الأهلية، وزيادة عدد المدرسين ورفع المستوى العلمي لمادة الرياضيات ، وعلوم الحياة ، والتشديد على الناحية الخلقية وشراء ثلاثة منازل خصص منزلان منها لاقامة الأساتذة ، وواحد لاقامة الطلبة .

وهذه المميزات التى أضفاها الابراهيمي وزملاؤه العلماء تدل على وعى الأمة الجزائرية التى أرسلت أبناءها للتعلم به عندما تأكدت من ارتفاع المستوى العلمي للمدرسين ، واكتمال مراحله ، واستقرار مدرسيه بجوار طلبتهم حتى يباشروا الاشراف العلمي والخلقي عليهم ، وقد اعترفت بشهادة هذا المعهد جامعات الشرق العربى وأصبح فى وسع خريجيه الالتحاق بكلية دار العلوم والجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامعة بغداد ودمشق ومعهد الكويت (١٤) .

٥ ـ النشاط الاجتماعى عند الابراهيمي :

عالج الابراهيمي بقلمه على صفحات البصائر مشاكل الأمة الجزائرية كالتعليم العربى ، والصحافة العربية ، والنوادى ، والمساجد ، والأوقاف الاسلامية ، والمشاكل الاجتماعية الأخرى : كالزواج والطلاق ، والفرقة التى قسمت الجزائريين الى أفكار متباينة من خلال الأحزاب السياسية الجزائرية .

(أ) فبالنسبة لقضية التعليم العربى :

طالب الابراهيمي بحرية التعليم العربى الذى هو أساس التعليم الدينى ، كما أنه عارض القوانين الموضوعة لتصفية اللغة العربية ، وقد طالب الابراهيمي بتيسير اعطاء الرخص للمعلمين لمزاولة مهنة التدريس التى تخدم قضية التعليم العربى الذى يعد احدى ضرورات الأمة الجزائرية .

(ب) استنكار قرار شوطان Chautan (١٥)

استنكر الابراهيمي قرار شوطان الذى يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية ، وطالب بالغائه ، وبحرية الصحافة العربية ، والنوادى الاسلامية

التى تجمع بين المدرسة والمسجد ، وتعتمد فى دخلها على المشروبات التى يتكون منها ميزانية هذه النوادى والتى تخصص جزءا منها للانفاق على مدارس العلماء .

(ج) **كما طالب الابراهيمى باسم العلماء ، وباسم الأمة الجزائرية** بفصل الدين الاسلامى عن الحكومة ، والمساواة بين الأديان الثلاثة فى الجزائر ، وتسوية الأوقاف ، والمساجد وحرية اختيار الأئمة مع م ملين تختارهم الأمة الجزائرية وليست الحكومة .

والى جانب تلك القضايا السالفة تعرض الابراهيمى بقلمه — كمصلح اجتماعى — الى القضايا الاجتماعية الأخرى كالزواج ، والطلاق ، ومشكلة الفرقة بين أبناء الأمة الجزائرية التى تباينت أفكارها من خلال الأحزاب السياسية .

(د) **فبالنسبة لقضية الزواج** : دعا الابراهيمى الشباب الجزائرى الى الزواج لأن الشباب سيحقق عدة أهداف من وراء زواجه (١٦) منها : المسئولية القـومية ، والارتبـاط بالوطن والاعراض عن الزواج فرارا من المسئولية .

(هـ) **وبالنسبة للطلاق** : انتقد الابراهيمى الطلاق ، مبينا النتائج التى يترتب عليها الطلاق كتعاسة الأطفال ، واهتزازهم النفسى من بذور الكراهية التى غرستهـا أمهاتهم فى نفوسهم منذ الصغر نحو أبيهم . والابراهيمى هنا كمصلح اجتماعى — يدعو الأزواج الى التآلف والمحبة بين الأزواج حتى تنعم الأسرة الجزائرية بجو من الاستقرار النفسى الذى يخرج منه أطفال يشقون طريق الحيـاة بصورة طبيعية من غير مؤثرات تعوق نموهم .

٦ — الخط السياسى عند البشير :

(أ) الدعوة الى وحدة الصف :

كان الابراهيمى يرى أن أمانة القلم تتطلب من الكاتب ذكاء وقادا واطلاعا واسعا على مشاكل عصره ومجتمعه حتى يعالجها عن علم وبصيرة ومنطق صحيح (١٧) .

وقد دعا الابراهيمى من خلال مقالاته بالبصائر الأحزاب السياسية الجزائرية الى وحدة الصف ، كما انتقد مبادئها التى دخلتها بعض الأفكار المستوردة التى أدت الى تطاحن الأمة الجزائرية من خلال أحزابها (١٨)

وقد حمل الابراهيمي السياسة الجزائرية مسئولية مستقبل الأمة التى تستمد منها هذه الأحزاب القوة ، مخاطبا الأمة باجبار هذه الأحزاب على التحدث باسمها ، والا خسرت الأمة الجزائرية قضيتها القومية ، لان بعض هذه الأحزاب يفهم الاتحاد من زاويته الخاصة . وبعضها يفسره على انه أفكار الادماج مع فرنسا ، والآخر يفسره على أنه انضمام العلماء الى هذا الكيان • والابراهيمي هنا يعلن حياد العلماء كهيئة رسمية (١٩) مصرحا بأنها فوق مستوى الصراع فهي داعية لوحدة صفوف الأمة الجزائرية أمام التكتل الاستعماري وأعوانه ، أما كأفراد فقد انضموا بصفتهم الشخصية كما سبق الايضاح •

(ب) مهاجمة فكرة الادماج :

هاجم الابراهيمي فكرة الادماج مع فرنسا مؤكدا استقلال الشخصية الجزائرية عن الشخصية الفرنسية ، ضاربا الأمثلة بصفحات التاريخ ، فقد ذكر أن الرومان سبق أن احتلوا الجزائر فى تاريخها المبكر عدة قرون ، وذهبوا وبقيت الأمة الجزائرية ، وعندما أتت العروبة والاسلام الى الجزائر لم يتردد الشعب الجزائرى فى اعتناقها كثوب ملائم لشخصيته ، ثم جاء الأتراك وهم مسلمون ورحلوا أيضا ، وحينما يسوق الابراهيمي هذه الأمثلة فهي بمثابة انذار للاستعمار الفرنسي بالرحيل ان عاجلا أم آجلا ، كما أنه يدحض آراء الاستعمار التى تنادي بالجزائر فرنسية ، ويؤكد اصرار العلماء على تأكيد شخصية الجزائر العربية الاسلامية ، وليست الجزائر فرنسية ، ضاربا المثل بالاحتلال البريطانى للهند ، ورغم الاحتلال لها ، فان الانجليز لم يقولوا ان الهند انجليزية(٢٠) •

وقد استمر الابراهيمي فى تصعيد خطه السياسى ضد الاستعمار الذى فسر مطالب العلماء باصلاح العقيدة الاسلامية ، وحرية التعليم العربى ، وتسليم الأوقاف الاسلامية ، ودعوتها الى وحدة الصف على أنها سياسة مما حدا بالعلماء الى الجهر بأنهم سياسيون اذا فسرت مطالبهم بأنها سياسة (٢١) ، لقد سار الابراهيمي أيضا على خطه السياسى الى حد المشاركة فى المؤتمرات التى تهم قضية بلاده ، ومنها مشاركته فى المؤتمر الاسلامى فى سنة ١٩٣٦ •

ورغم سوق العلماء تبريرات اشتراكهم فى المؤتمر كقول الابراهيمي ان جمعية العلماء لم تشترك فى المؤتمر المذكور ، ولم توافق على مطالبه الا من أجل المحافظة على الوحدة الاسلامية للشعب الجزائرى ، وان تدمج مطالبها فى حرية الدين الاسلامى ، والتعليم العربى ، ونشر اللغة العربية فى مراحل التعليم المختلفة ، وتنظيم القضاء الاسلامى ، واستقلاله عن

القضاء الفرنسي » (٢٢) . الا ان تبرير الابراهيمي لا يعفي العلماء من النقد فقد سبق الاعلان عن مطالبهم على صفحات جرائد العلماء ، ثم دعوا اليها فيما بعد ، وكان من الممكن ان يجاهروا بآرائهم مستقلين باعتبارهم المنادين بالاتجاه العربي والاسلامي للشعب الجزائري دون الدخول في ائتلاف مع الأحزاب الجزائرية الأخرى التي انتقدوا مبادئها ومع ذلك فقد انضموا اليها تحت ستار وحدة صفوف الأمة في المؤتمر الاسلامي الأول ١٩٣٦ . ومن ثم فان التناقض الذي وقع فيه العلماء رغم سوق الابراهيمي التبريرات لا يعفيهم من الانتقاد ، والتردي في الخطأ حينما انتهجوا الخط السياسي لا سيما وأن الابراهيمي سبق له معرفة مسـالك الأحزاب ، وأفصح أن الجمعية فوق الأحزاب ، أي أنها تنصب نفسـها كحكم ، بعيدا عن مهاترات السياسة وها هو الابراهيمي وزملاؤه يتورطون في حبائلها .

٧ ـ أثر أعمال الابراهيمي وزملائه في الشعب الجزائري :

أثارت أعمال الابراهيمي وزملائه الأمة الجزائرية ، ونبهتها الى ما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومن ذلك : احياء التراث العربي الذي حاول الاستعمار هدمه كما أفادت جهود الابراهيمي وزملائه في تطهير العقيدة الاسلامية من البدع ، وأبرزت فضائلها التي منها : الاعتماد على النفس ، والكرامة ، وعدم التذلل ، والاستسلام ، وأخذ الأمور بالقوة من الاستعمار وأعوانه الذين يحيلون بين الأمة والحصول على حقوقها . كما بذل الابراهيمي وزملاؤه العلماء الجهود في سبيل تعويد مواطنيهم على : البذل بالمال والنفس في سبيل الدين والوطن ، والتآخي بين أفراد الأمة ، والتمسك بالحقائق . ونتيجة لجهود الابراهيمي وزملائه تدعمت الفكرة العربية الاسلامية لدى الأمة الجزائرية وقد رسخها العلمـاء في نفوس مواطنيهم عن طريق معاهدهم التعليمية ونواديهم الثقافية ولو سلك العلماء سبيلا غير هذه الفكرة التي بثوها في نفوس مواطنيهم لما قامت فيما بعد ثورة الفاتح من نوفمبر سـنة ١٩٥٤ والتي كانت ترجمة عملية لفكرة العلماء العربية الاسلامية (٢٣) .

الفصل الحادى عشر

علاقات الابراهيمى ببقية القوى الاسلامية خارج الجزائر

١ ــ جهوده من أجل القضية الفلسطينية .

اهتم الإبراهيمى بالقضية الفلسطينية ، فاستعرض على صفحات البصائر تطور القضية . فأوضح ان فلسطين أرض عربية استقر فيها العرب ، واليهود كما استقرت فيها الديانات السماوية الأخرى ، الا أن الاسلام غلب سائر الديانات الأخرى ، كما أوضح الابراهيمى وضعية الانتداب البريطانى بأنه ليس لمصلحة العرب ، ولا مصلحة اليهود وقد شبه الابراهيمى قضية فلسطين بأنها محنة امتحن فيها الله ضمائر العرب ، وهمتهم وأموالهم ، وأن حقوق العرب تنال فيها بالتصميم والحزم ، والاتحاد ، والقوة وأن على العرب ان يقابلوا ارادة اليهود واتحادهم ، بارادة واتحاد أقوى منهم (١) .

وقد اعتبر الابراهيمى فلسطين تحديا للعرب ، وللمسلمين ، ولدينهم فقد فاز اليهود بأخصب الأراضى ، بينما لم يفز العرب الا بالجهات الرملية والقاحلة والجبلية ، كما عقد الابراهيمى مقارنة بين مسلك اليهود ، ومسلك العرب تجاه التقسيم فاظهر استعداد اليهود لقرار التقسيم بالمال ، والرجال ، والأعمال ، وسرعة الوقت وقد قابل هذه الاستعدادات اليهودية من الجانب العربى بالضعف والتخاذل والأقوال الجوفاء ، وقد أبرز الابراهيمى وجوب ان يحارب اليهود بنفس سلاحهم . وكان الابراهيمى سباقا لزمنه حينما تحققت فكرته هذه ، فيما بعد فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ حاربنا اليهود بنفس أساليبهم ، وأحرزنا قصب السبق فى بدء الحرب ، وقد فسر الابراهيمى تقسيم فلسطين على انه تاديب

اليهى (٢) للعرب ، حتى ينهضوا من تخلفهم ، وتخاذلهم ، كما أنه حبذ الموت فى سبيل عودة فلسطين عربية . وقد دعا الابراهيمى الأمة الجزائرية لصوم أسبوع فى الشهر والتبرع بنفقاته لصالح فلسطين ، ونتيجة هذه الدعوة للتضامن ، اجتمع فى نادى الترقى بمدينة الجزائر سنة ١٩٤٨ جمعية سميت باسم (جمعية اعانة فلسطين تحت اشراف رجالات الجزائر البارزين مثل : البشير الابراهيمى ، مصالى الحاج) الطيب العقبى ، فرحات عباس ، ابراهيم بيوض ، مصطفى القاسمى هدفهما تكاتف الأحزاب الجزائرية لدعم القضية الفلسطينية ، الا ان ثمة خلافا وقع بين أعضاء هذه اللجنة ، اذ رفض رجال حزب الشعب ، وأيضا رجال الزوايا التعاون مع هذه الجمعية التى مضت فى طريقها ، وقد شكلت جمعية اعانة فلسطين لجانا لجمع التبرعات فى مقابل ايصالات مهرت بتوقيع الشيخ الطيب العقبى أمين صندوق اللجنة ، وقد وجهت هذه اللجان لجمع التبرعات من كافة أنحاء الجزائر (٣) وقد بلغ ما جمعته هذه اللجان تسعة ملايين فرنك سلمت الى سفير مصر فى باريس أحمد عبد الخالق ثروت كما تبرع الابراهيمى بمكتبته لهذه اللجان المالية (٤)

وقد حمل الابراهيمى فى مقالاته فرنسا جزءا من مسئولية الموافقة على قرار تقسيم فلسطين كأحد أعضاء هيئة الأمم المتحدة (٥) ، وبين أنه كان يجب عليها ان تحترم مشاعر المسلمين دون تحدى هذه المشاعر ، كما أظهر الابراهيمى فى كتاباته (٦) مدى تغلغل الصهيونية فى فرنسا . وتحكمها فى مواقفها ، وأجهزتها ، وقد وصل حد القاء الاتهامات على فرنسا الى وصفها بأنها مستعمرة يهودية تركت لليهود حرية السيطرة على أمورها الاقتصادية ، والتسلط على سياستها ، وقد فعلت فرنسا ذلك خوفا من اليهود وتأثرا بنفوذهم .

كما عقد الابراهيمى مقارنة بين صلات فرنسا بالعرب واليهود فرغم استئثار فرنسا بخيرات خمسة وعشرين مليونا من عرب شمال افريقيا ، فانها لم تعطهم شيئا (٧) وألقى الابراهيمى بالتبعة على السياسة الفرنسية التى لم تقدر عواطف عرب الشمال الافريقى الذين يرتبطون مع عرب فلسطين بصلات القربى .

٢ – عروبة الشمال الافريقى :

أوضح الابراهيمى بقلمه عوامل عروبة الشمال الافريقى وبين كيف انها أقوى فى جميع أجزائه ، وأنها أقدم عهدا ، كما عقد مقارنة بينها وبين القومية الانجليزية والألمانية ، وكيف ان القومية العربية بالنسبة للشمال

الافريقي أقوى . وأقدم عهدا وأثبت أساسا . وبين الابراهيمي كيف ان روحانيات الاسلام قضت على بزبرية الشمال الافريقي ووحدت الأصول العرقية هناك ، وثبتت العربية : أصول الدين ، واللغة لأنها كتبت بها الشرائع والتاريخ والآداب ، وفتحت باب الاجتهاد في العلم وكانت السبيل الى الحضارة ، وهذه الخصائص الدينية واللغوية والحضارية هي أساس وحدة الشمال الأفريقي الذى فرقته السياسة : سياسة الاختلاف فى عصوره الوسطى ، وسياسة الاستعمار فى العصر الحديث الذى حارب عروبة الشمال الافريقي بالقول والفعل حين سعى الى محاربة اللغة العربية (٨) . وكما ظهر فى محنة المغرب الأخيرة التى فسرها على أنها التعصب الدينى حين تضامنت شعوب الشرق العربى مع اخوانهم فى المغرب الأقصى أثناء أحداث عام ١٩٥٠ (٩) ، وقد أظهر لنا الابراهيمي كيف ان الاستعمار وقع بين تناقض الاعتراف بالعروبة والتنكر لها رغم ان تصرفاته فيها اعتراف بعروبة الشمال الأفريقي ، ويسوق لنا الابراهيمي الدليل الذى يتمثل فى اطلاق الاستعمار كلمة Arabes على أهل الشمال الافريقي تمييزا لهم عن الأوربيين فهو هنا فريسة التناقض بين الاعتراف والانكار .

٣ ـ التضامن مع مصر :

أظهر الابراهيمي تضامنه مع كفاح الشعب المصرى سنة ١٩٥١ ، وأعلن باسم العلماء المعبرين عن احساس الشعب الجزائرى عن تأييدهم للشعب المصرى فى كفاحه ضد الاستعمار الانجليزى (١٠) ، كما دعا العرب والمسلمين الى تأييد كفاح مصر . كما قام مكتب العلماء فى مصر نيابة عن الابراهيمي والعلماء ، بابلاغ هذه المعانى الى رئيس وزراء مصر الذى شكرهم على مشاعر التأييد لمصر لقد تكلم الابراهيمي بكافة مشاعره عن مصر التى ذكرها الله باسمها فى كتابه الكريم (١١) وتأسى لها لأن منزلتها وجمالها ، وموقعها الجغرافى جر عليها الاطماع ولكن رغم أزمات مصر وهى عديدة فقد تمنى لهسا الابراهيمي الانفراج ، ففى ذمة كل عربى دين الوفاء لحامية الاسلام ، وقبلة المسلمين التى يهرع الى معاهدها وكتبها طلاب العلم من كافة العالم الاسلامى .

وقد واصل الابراهيمي حملة التأييد لمصر فطالبها على صفحات البصائر (١٢) باستمرار الكفاح ، وعدم اضاعة الوقت دون طائل فى المفاوضات ، وقد دلل الابراهيمي على تشبعه بروح الثورية حين هنأ مصر ببداية الكفاح ، لأن فى الكفاح عدم اطالة لذل مصر كما بينت لها تجاربها السابقة مع الانجليز ، فى حين أنه أظهر بلاده فى صورة المنتظر لفجر الحرية القريب ، واذا ما طبقنا زمن المقال على الواقع العملى للمساحة

السياسية الجزائرية ، وجدنا ان هذه الساحة تصاعدت منها الأحداث ، فقد أدى فشل قانون سنة ١٩٤٧ الى تحول كثير من المعتدلين السياسيين الى جبهة المناضلين ، بينما تحول بعض أنصار حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية الى الكفاح المسلح ، وشكلوا قوة عسكرية أطلقت على نفسها المنظمة السرية الخاصة Organisation Spéciale Secrete (١٣) .

٤ ــ دفاعه عن استقلال ليبيا :

عبر الابراهيمى عن ايمانه بالعروبة حينما ذكر حق الليبيين على الجزائريين فى الدين ، والجنس ، وحق الجوار ، وحق الاشتراك فى الآلام والمحن ، والآمال ونعت هذه الصفات بالأرحام (١٤) ، وقد عبر الابراهيمى عن حسه السياسى حينما طالب الليبيين باتفاق الكلمة ، وتوحيد الرأى ، وقوة الايمان بالحق ، وحذرهم من مكائد الاستعمار ، وقد أشاد الابراهيمى بالكفاح الليبى ضد الاستعمار الايطالى ليذكر الليبيين باصرار على طلب الاستقلال حتى يمنحوا استقلالهم الذى أوصت به الأمم المتحدة فى أول سنة ١٩٥٢ .

وقد عبر الابراهيمى عن ألمه من تجرع اخوانه المجاهدين الليبيين فى جيل واحد : مرارة الاهمال فى العهد التركى ، ومرارة الاستعباد فى العهد الايطالى ومرارة تنكر الحلفاء لوعودهم ، لذا طالب الابراهيمى اخوانه بالعمل لطلب الاستقلال الذى هو ثمرة جهاد الشعب الليبى الذى وان استطاع الاستعمار أن ينقص من عدده وأمواله ، فانه لم ينقص من ايمانه بحقه فى طلب الاستقلال ، ولكن الابراهيمى بحسه السياسى يدرك ان الاســـــتقلال الليبى منقوص لأن وراءه صراع الدول الكبرى (١٥) ولكن تصميم الليبيين على طلب الاستقلال هو الذى سيأتى بالاستقلال ، وقد أشــار الابراهيمى الى موطن الضــعف الذى يكمن فى الفرقة والخلاف ، وأشار الى تضامن الجزائريين جيران الليبيين معهم فى محنتهم ، وتضامن الابراهيمى هنا تضامن عاطفى كأشقاء عرب مسلمين ، لكن التضامن العملى ليس واردا لسبب أن الجزائريين فى الدرجة الأولى يعيشون تحت رقابة الاستعمار الفرنسى ، الذى أمن حدوده الجنوبية من الجزائر وتونس من جديد وذلك باحتلاله غات وغدامس التى كانت مراكز للطرق الصحراوية والقوافل ، ولكن الابراهيمى رغم ســطوة الاستعمار يعبر عن تضــامن الجزائريين كعرب مع نضال ليبيا من أجل الاستقلال (١٦) .

٥ ــ أهداف رحلة البشير الى الشرق سنة ١٩٥٢ :

غادر الشيخ الابراهيمى الجزائر فى أوائـل عام ١٩٥٢ قاصـــدا المشرق (١٧) وكانت جمعية العلماء قد كلفته بالذهاب اليه لتحقيق ثلاث مهام هى : ــ

١ ـ بذل المساعي لدى الحكومات العربية لقبول عدد من الطلاب الجزائريين ـ الذين تخرجوا من معاهد العلماء ـ للدراسة ٠

٢ ـ طلب معونة مادية من الحكومات العربية لجمعية العلماء حتى تنهض بعبء رسالتها التعليمية ٠

٣ ـ الدعاية لقضية الجزائر التي نجحت الدعاية الفرنســية في تضليل الرأي العام في المشرق بأوضاع المغرب عامة ، والجزائر بصفة خاصة (*) ٠

وقد وصل الابراهيمي الى القاهرة في شهر مارس سنة ١٩٥٢ ، وشرع في الاتصــال بمختلف الهيئات والمنظمات ، والشخصيات العربية الاسلامية في القاهرة ، بغداد ، دمشق ، والكويت والحجاز ، كما نشط في التعريف بالجزائر من خلال المؤتمرات الصحفية ، والمحاضرات العامة ، والمقالات التي كان يدمجها في المجلات الثقافية كمجلة : الرسالة ، ومجلة الاخوان المسلمون ٠ ولم تمض سنوات قليلة حتى أصبح اسم الجزائر محل الأوســاط الفكرية والاعلامية ، ولم يلبث المثقفون في الشرق أن صاروا ينعتونه تارة بإمام المغرب ، وبعلامة المغرب تارة أخرى (**) ٠

٦ ـ تاسيس ندوة الأصفياء في القاهرة :

أسس البشير بعد وصوله الى القاهرة بقليل ـ مع جماعة من الأدباء والمفكرين العرب أمثــال : أحمد حسن الزيات ، وكامل كيلاني ، وعلي الحوماني ، ومفيد الشوباشي ، وأمين الحسيني مفتي فلسطين ، عبد اللطيف دراز وكيل الجامع الأزهر ، وعبد الله التل أحد القواد العسكريين لجيش الأردن وعلي عبد الواحد أستاذ علم الاجتماع ندوة الأصفياء على غرار جمعية اخوان الصفا ، وكان اجتماعهم مرة كل أسبوع في منزل أحدهم ، وفي هذا

(*) سبق الابراهيمي في الدعوة للقضية الجزائرية جهود حزب الشعب الجزائري الذي أوفد بعض ممثليه للاتصال بجميع الهيئات المصرية للتعريف بقضية الجزائر ، كما تشكلت في القاهرة جبهة الدفاع عن أفريقية الشمالية ويبدو أن مهمتها كانت استصراخ البلاد العربية بما فيها مصر كي تدافع عن مشاكل شعوب شمال أفريقيا ، واستصراخ الجامعة العربية حتى تعنى بقضاياهم ، ويبدو أن الجامعة لم تتدخل لصالحهم مما حدا بالمغاربة عامة الى اليأس من الجامعة ، والتلويح بفكرة الانضمام الى فرنسا ، وتنكران عروبتهم ، وقد ظهر هذا التلويح بالانفصال من خلال خطاب سكرتير جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية ـ الفيصل الورتلاني للأمين العام لجامعة الدول العربية والمؤرخ في ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٥ ٠

انظر ملحق رقم ٣٢ ، وملحق رقم ٣

(**) تركي رابح (دكتور) : البشير الابراهيمي في المشرق العربي ٠ مقال بمجلة الأصالة ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، ١٩٧٢ ص ٢٥٧ ٠

الاجتماع تثار قضية من قضايا الفكر الاسلامى ، أو مشكلة من مشاكل الوطن العربى ، فيلقى أحد أعضاء الندوة بحثا وافيا ، وبعد الانتهاء من قرائته تبدأ مناقشات الأعضاء وتعقيباتهم على البحث • وقد طرق هذا الملتقى الفكرى سائر الموضوعات الثقافية والعلمية والأدبية والفنية ، وقد تمكن أحد أعضاء ندوة الأصفياء ، وهو الشاعر على الحميانى من نشر عدد من موضوعات الندوة من بينها موضوع للشيخ الابراهيمى عن مشكلة العروبة فى الجزائر (١٩) •

٧ ـ إشرافه على البعثات العلمية الجزائرية فى الشرق :

سبق وصول البشير الى القاهرة وصول بعثة جمعية العلماء التى ضمت ٢٥ طالبا وطالبة ، وكانت بعثات جمعية العلماء تقتصر على مصر وحدها ، وذلك للدراسة فى الأزهر ، والمدارس المصرية ، الا أن الابراهيمى تمكن بجهوده من الحصـول على عـدد آخر من المنح التعليمية للطـلاب الجزائريين فى البلاد العربية الاخرى ، فقد تمكن من الحصول على سبع منح من العراق ، وثمان من سـوريا ، وتسعة من الكويت • وقد إتخذ الابراهيمى من مصر مقرا يشرف منه على تصريف شئون هذه البعثات التعليمية ، كما عين نوابا عنه فى العراق وسوريا والكويت للاشراف على شئون هذه البعثات من النواحي الأخلاقية والاجتماعية (٢٠) ، وكان يقوم بين الحين والآخر بزيارات لهذه البلاد لتفقد أحوال الطلاب الجزائريين والسعى لدى حكومات هذه البلدان من أجل الحصول على منح دراسية جديدة للطلبة الجزائريين الذين توفدهم الجمعية الى الشرق العربى وكانت معظم أحاديث الابراهيمى تدور حول نصائحه للشباب ، وتذكيرهم بالوطن المستعمر وبواجبهم نحو احياء ثقافتهم العربية الاسـلامية التى حاربتها فرنسا ، التى حاولت النيل من لغتهم ودينهم وسيادتهم الوطنية ، والابراهيمى هنا يأتى الى ذكر أسباب ضعف الوطن حتى ينتهى الى تذكير الشباب بالواجبات التى تنتظرهم عند العودة الى الوطن ، وكان ينصح الشباب دائما بضرورة التحلى بالأخلاق القوية ، والعلم المتين ، وكان يردد دائما هذه المعانى •

وقد أثمرت جهوده التى بذلها فى تكوين البعثات العلمية لجمعية العلماء التى درست فى المعاهد العلمية للبلاد العربية عن نجاح ما يقرب من ٩٠٪ من أفرادها فى دراستهم الثانوية والجامعية ، وقد ساهم هؤلاء المثقفون فى تحقيق الفكرة العربية الاسلامية التى كان يؤمن بها العلماء ذلك انه عندما نشبت ثورة أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ انخرط هؤلاء فى صفوفها مساهمين فى معركة الاستقلال بفكرهم وثقافتهم فى مختلف أجهزة الثورة (٢١) •

٨ ـ جهوده من أجل الافراج عن المودودى (٢١) :

تحرك الابراهيمى من أجل الافراج عن المودودى الزعيم الدينى الباكستانى . وكان المودودى قد تعرف على جمعية العلماء الجزائريين عن طريق صحيفتها البصائر وكان مهتما بأحوال العالم الاسلامى ، وكان يرى فى الديانة والشريعة الاسلامية نظاما انسانيا عادلا ، ومن هنا نشأت فكرته عن الحكومة الاسلامية ، وكان يرى اقامتها فى باكستان بالمعنى الصحيح الكامل الذى لا هوادة فيه ولا تساهل منتقدا حكومة بلاده التى ما زالت تسير على نفس النظم التى وضعها الانجليز للهند رغم مظهرها الاسلامى .

وقد ذاعت آراء المودودى ، وفتاويه ، ومنها فتوى فى قضية كشمير استغلتها الدعاية الهندوسية ضد الباكستان خلال الصدام المسلح فيها . وقد انبرى الابراهيمى مدافعا عن المودودى ، واصفا اياه بالقدرة على وضع الدستور الاسلامى للباكستان ، كما أشار الابراهيمى الى المصاعب التى تواجه المودودى وتتمثل فى جمود فقهاء المذاهب الكثيرة فى الباكستان . وأيضا فى الحكومة الباكستانية التى ضاقت ذرعا بتشدد المودودى وصلابته مما دفعها الى محاكمته والحكم باعدامه ، ولكن خفف هذا الحكم الى سجنه أربعة عشر عاما ، وقد طالبت الهيئات الدينية فى مصر والعراق وسوريا والكويت بالافراج عنه ، كما طالب الابراهيمى ـ باسم العلماء ، وباسم شعوب المغرب العربى المسلمين ـ باطلاق سراحه ، ويبدو أن وراء اهتمام الابراهيمى بقضية المودودى الفضيل الورتلانى صاحب الصلات العديدة بالزعامات الاسلامية فى العالم ، ودليلنا على ذلك البرقية التى مهرها الابراهيمى بتوقيعه بصفته : رئيسا للعلماء الجزائريين ، ورئيسا لتحرير جريدة البصائر الجزائرية التى كان يقرأها المودودى كزعيم اسلامى يتابع أخبار مسلمى العالم ، ثم توقيع الفضيل على البرقية باعتباره عضو جمعية العلماء الجزائريين ، وأحد الدعاة المسلمين (٢٢) .

٩ ـ دعوته للقضية الجزائرية فى الرياض :

سافر الشيخ الابراهيمى الى المملكة العربية السعودية فى أواخر سنة ١٩٥٤ ، والتقى بالملك سعود بن عبد العزيز ، وحدثه عن بلاده ، وتاريخها ، وعروبتها ، ودورها فى التاريخ الاسلامى . وقضيتها مع فرنسا ، وثورة أول نوفمبر وأسبابها ، ومعناها بالنسبة للمسلمين والعرب . وكيف انها قامت ردا على المسلك الفرنسى الذى يعيد المنطقة الى عهد الحروب الصليبية ، وقد دلل الابراهيمى على حجته بتصريح وزير الخارجية الفرنسى لأحد الصحفيين حينما سأله عن فكرة التفاوض مع ثوار

الجزائر بقوله « لن تدع الهلال ينتصر على الصليب » (٢٣) ، كما ذكر الابراهيمى أثناء لقائه بالملك سعود تنظيم الثورة وجهود الثوار سواء فى الداخل أم فى الخارج . والملك يصغى اليه حتى علق على قول الابراهيمى بقوله « ان كل ما أصاب الجزائريين سببه انهم مسلمون » (٢٤) .

وقد أثمرت مقابلة الابراهيمى للملك سعود : عن وصف الحكومة السعودية للحالة فى الجزائر بأنها تهدد الأمن والسلم الدوليين ، كما عبرت السعودية على لسان سفيرها فى القاهرة عن جزعها العميق لمحاولة فرنسا محوالمميزات الثقافية والدينية والوطنية للجزائر (٢٥) ، وكانت هذه التصريحات مجرد تمهيد لجهود السعودية التى وجهت نداء الى مجلس الأمن طالبت فيه مناقشة الموقف فى الجزائر فى الوقت الذى كان يجرى فيه تنسيق بين الممثلين العرب والآسيويين فى الأمم المتحدة للاعداد لعرض القضية الجزائرية فى جدول أعمال الجمعية وذلك بعد دراستهم لوسائل عرضها (٢٦) وقد تكشفت شخصية الابراهيمى من وراء هذه الجهود عن أديب التقى بأدباء ومفكرى الشرق المسلمين ، وعن داعية سياسى لقضية بلاده وعن مدافع ينبرى للدفاع عن قضايا الوطنية فى العالمين العربى والاسلامى الذى جاس فيه بعض دعاة الجمعية — كالفضيل — المشبعين بالفكرة العربية الاسلامية التى بشر بها العلماء ، ثم تبنتها جبهة التحرير فيما بعد الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ .

الباب الخامس

الاتجاه العربى الاسلامي داخل جبهة التحرير الوطنية الجزائرية

لم تتخـل الجزائر عن عروبتها واسلامها ، رغم مزاعم الاستعمار الفرنسي بأن الجزائر مقاطعة فرنسية ، وعمله لتأكيد هذا بالقول والفعل ، وقد رد العـلماء على مزاعم الاستعمار بنشر التعليم العربي وبث الثقـافة الاسلامية وجعل ذلك جهادا ، وفي خلال ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ اهتم قادتها بتعليم الشعب والجنود ، والدليل على ذلك اهتمام العقيد عميروش ـ بصفته قائدا للولاية الثالثة (القبائل الكبرى) (١) بالجانب التعليمي للجنود اذ طلب من أحمد حماني ـ بصفته الأمين العام للعلماء في شرق الجزائر معاونته في ارســـال المعلمين ، لبث الوعي الديني ، والسياسي بين الجنود المجاهدين ، وقد وصل حد التفاني بهؤلاء المعلمين الى نشر رسالتهم الدينية والثقافية بين المسجونين داخل السجون والمعتقلات التي يعتقلون فيها (٢) ، ولما كانت جبهة التحرير قد اتسعت لتشمل كافة الميول للأمة الجزائرية (٣) فان القادة الذين اهتموا بالجانب الديني والسياسي ركزوا على نشر وتعميق الفكرة العربية الاسلامية داخل جبهة التحرير .

الفصل الثاني عشر

نشأة جبهة التحرير الوطنية الجزائرية

١ ـ الأحداث التي مهدت لظهور الجبهة :

قبل الحديث عن نشأة جبهة التحرير لابد من ذكر أحداث مهدت لنشأتها تتلخص في مناقشات دارت بين مجموعات من أعضاء حزب الشعب الجزائري عن ظروف الكفاح المسلح التونسي ، ومدى تأثيرها على تطور الكفاح المسلح في المغرب العربي وكان الحبيب بورقيبة قد جهز في سنة ١٩٥٢ بعض القوات المسلحة لتنفيذ عدة عمليات من التخريب والمقاومة المسلحة ، قبل اشتداد أزمة تونس مع السلطات الفرنسية ، وكان قد وضع مسافة زمنية لهذه العمليات المسلحة لا تتجاوز ثلاثة شهور ، وذلك لاخراج قضية استقلال بلاده من النطاق الفرنسي ، الى حيث تتداخل فيها عوامل خارجية ترجح الكفة لصالح التونسيين ، والى جانب هذه التشكيلات التي أعدها بورقيبة برزت تشكيلات أخرى من الشباب التونسي جهزت للعمل على نطاق المغرب العربي ككل الا انها لم تلبث ان التقت مع التشكيلات الرسمية لحزب الدستور على صعيد واحد (١) .

وكان من ضمن الاستفهامات التي آثارتها هذه المناقشات توقيت المعركة الحاسمة مع الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي رغم وجود ميثاق سبتمبر سنة ١٩٤٥ الموقع بين حزب الاستقلال المراكشي ، وحزب الدستور التونسي ، وحزب الشعب الجزائري وقد أظهر تسلسل الأحداث مدى الخلاف بين هذه الأحزاب حول ظروف الكفاح المسلح ذلك التكتيك الذي كان يفضله حزب الشعب الجزائري ، بينما حبذ حزبا الدستور التونسي والاستقلال المراكشي العمل السياسي داخليا وخارجيا لنيل

الاستقلال ، وقد أدى فشل حزب الشعب في اقنــاع الأحزاب المغربية الأخرى بتكتيكه الى تحرج موقفه ، والحكم عليه بالجمود الذى انقلب الى عجز عن استغلال الفرص المتاحة من خلال تطور الكفاح التونسي والمغربي لتطبيق المبادىء التى يدعو اليها • كذلك عجز الحزب عن مواجهة الحالة التى تعرض لهـا بعد حركة التمشيط التى كالتها له الادارة الاستعمارية نتيجة اكتشاف منظمته الخاصة سنة ١٩٥٠ ، مما أدى الى توتر العلاقة بين القاعدة والقيادة فيه ، كما عجز الحزب عن اقامة قاعدة جماهيرية لتوحيد جميع القوى الوطنية لخوض معركة التحرير ورغم هذا العوامل التى تبعث على الضجر ، الا أن ثمة نقاطا مشرقة بدأت تطفو وتبعث على الأمل تتلخص في : —

١ — ظهور اتجاه يدعو الى خوض المعركة ، وتردد أصداءه في جميـع أنحاء الجزائر •

٢ — مناسبة الظروف لبعث حركة جماهيرية واسعة لا سيما بعد فشل سياسة الحلول الاصلاحية أمام التعنت الاستعمارى (٢) •

٣ — امكان قيام جبهة على مستوى المغرب العربى كله في الكفاح نظرا للظروف الدولية التى كان يمر بها الاستعمار الفرنسي المنهك في حرب الهند الصينية وتشتت جزء كبير من قواه العسكرية

وقد استمرت المناقشات حول هذه الظروف عدة أسابيع بين عدد محدود من أعضاء حزب الشعب تلخصت في الآتي :

١ — اعادة تشكيل المنظمة الخاصة في تكتم كامل منفرد عن تشكيلات الحزب والقاعدة الشعبية لكسب الوقت •

٢ — التخطيط لتحمل المنظمة مسئولية الشروع في الكفاح المسلح في حالة تطور الأحداث في الجزائر وأقطار المغرب العربى ، وعجز الحزب عن مواجهة مسئوليته التاريخية •

٣ — القيام بحملة لاقناع المناضلين في المنظمة الخاصة بضرورة التخلي عن المواقف الفردية السلبية ، والعمل على تقوية الحزب ، والنضال داخل المنظمات الرسمية لتحقيق الأهداف التالية : —

(أ) اتخاذ قرار رسمى من طرف القيــادة العليا باعادة تشكيل المنظمة الخاصة •

(ب) عدم المشاركة في الانتخابات •

(جـ) السعي لتوحيد صفوف الأحزاب الجزائرية لتجنيد الجماهير لمواجهة الأحداث

٤ ــ تأكيد هذه العناصر من جديد على وحدة الصف على مستوى المغرب العربي رغم الاختلاف من قبل حول هذه النقطة بينها وبين حزب الاستقلال ، وحزب الدستور الا أنه رغم ذلك فان المنظمة الخاصة ما فتئت تسعى لربط الاتصال بالمقاومة المسلحة في تونس ومع العناصر التي يمكن ان تتجاوب مع المقاومة المسلحة في المغرب العربي ٠

٥ ــ الاتصال بالأعضاء السابقين في المنظمة الخاصة على مراحل حسب تطور العمل والأحداث (٣) ٠

وقد بدأ الاعداد والتجهيز لذلك ، اذ : تولى مصطفى بلعيد تنشيط المنظمة العسكرية في الأوراس وعماله قسنطينة ، كما تولى ديدوش مراد نفس المهمة في عمالة الجزائر ، أما عن عمالة وهران فقد قام بهذه المهمة عبد الملك رمضان ، بينما تولى محمد بوضياف (٤) التنسيق بين مختلف هذه الجهات في غفلة من مسئولي حزب الشعب ، وقد حالفه التوفيق في ذلك خاصة بعد الانقسام الذي حدث في صفوف حزب الشعب ، والذي سنتعرض له بعد ذلك ، كما كلف مصطفى بلعيد بعدة مهام أخرى منها : تشكيل وحدة لصنع القنابل المحلية ، وتوزيع الأسلحة والمتفجرات على مختلف جهات الجزائر في وقت لاحق ، التنسيق مع المقاومة التونسية ، القيام برحلات استطلاعية الى ليبيا لدراسة امكان شراء أسلحة من مخازن الجيش الثامن البريطاني الموجودة في ليبيا منذ أيام الحرب العالمية الثانية ٠

وعلى صعيد المجال السياسي تركز اهتمام المناضلين في الأشهر الأولى من عام ١٩٥٣ حول حدثين :

اولهما : الاستفتاء الذي نظمته جريدة « المنار » حول قضية الاتحاد الذي دعت اليه بصورة غير مباشرة ٠

ثانيهما : مؤتمر الحزب الذي انعقد في ابريل سنة ١٩٥٣ ، وانتخب فيه الحزب مجلسا اداريا جديدا انتهج مبدأ الغالبية ، وقد دعى أعضاء الحزب ، وركزوا مطالبهم حول النقاط الآتية :

١ ــ اتخاذ قرار باعادة تشكيل المنظمة الخاصة
Organisation Spéciale Secrete

٢ ــ مقاطعة الانتخابات

٣ ــ اتخاذ مبادرات جدية لتدويل القضية الجزائرية

وقبل انعقاد مؤتمر ابريل ١٩٥٣ مهد بوضياف لاجتماع بين مهرى ومصطفى بلعيد وعبد الملك رمضـــان لتنسيق مطالب أعضـــاء المنظمة الخاصة داخل المؤتمر السالف الذكر الذى انتهى الى عدة قرارات أهمها القرار الخاص بالبركة وهو الاسم الحركى للمنظمة الخاصة وخارج المؤتمر كان العمل يتركز بين أعضاء المنظمة الخاصة على تخزين القنابل فى منطقة الأوراس ، وجمع المواد الأولية لصـــناعة القنابل من جهات مختلفة ومع دوران عجلة الاعداد لمعركة التحرير بـــرزت الحاجة الى المال مع أوجــه الانفاق المتعددة للاعداد للمعركة ، مما حدا بوضياف ، وديدوش مراد (٦) الى السفر الى فرنسا لجمع المال من الجالية الجزائرية هناك ولذا طلبا من المسئولين في الحزب نقلهما الى فرنسا للعمل هناك ، الا انهما قبل السفر الى فرنسا طلبا من مهــرى التنسيق بينهما ، وبين قادة المنظمــة الخاصة ، فقدم بوضياف ، لمهرى ، الزبير بوعجاج مسئول قطاع الجزائر ، أما مصطفى بلعيد مسئول الأوراس وقسنطينة فقد كان مهرى على معرفة سابقة به ، كما حدث قبل هذه الفترة أن اتصل بمهرى شابان قدما من تونس ، وقدما نفسهما له على انهما : الهاشمى الطود ، وحمادى الريفى وطلبا منه تمكينهما من مقابلة أحمد مزغنه ، وبعد اكتشـــاف حقيقتهما اتضح لمهرى : إنهما على اتصال وثيق بالأمير عبد الكريم الخطابى من جهة والمخابرات المصرية من جهة ثانية • وبعض ممثلى حزب الشعب فى مكتب المغرب العربى فى القاهرة ، وقد صرحا بأنهما اتصلا بعدد من المسئولين فى الديوان السياسى بتونس ، وانهما سيقومان بنفس الاتصالات فى المغرب ، وبينما كان بوضياف وديدوش مراد فى فرنسا ، كان العمل يجرى فى توزيع القنابل استعدادا لجميع الحالات ، وحدث فى احدى المرات ان انفجرت عدة قنابل فى أحد حوانيت مدينة باتنه ، وهرع البوليس الى مكان الانفجارات ، واعتقل بعض الأشخاص الا أن مصطفى بلعيد تمكن من طى التحقيق — عن طريق تقديم بعض الهدايا للمسئولين الفرنسيين — الذى لو استمر فى سيره الطبيعى لكان تمشيطا آخر للمنظمة (٧) الخاصــــة قد يؤدى الى اجهاضها مرة أخرى كما حدث لها سنة ١٩٥٠ •

واذا كنت قد مهدت لموضـــوعى الأساسى من خـــلال الأحـــداث التى واكبت نشاط التنظيم السرى لحزب الشعب ، فاننى أحبذ العودة الى نقطة البداية لبيان تطورات الأحداث التى أدت فى النهاية الى نشأة جبهة التحرير ، وتبدأ تلك الأحداث بظهــور حزب الشعب الجزائرى ســـنة ١٩٣٧(٨) ، وكان لهذا الحزب برنامجين : برنامج علنى وكان أكثر تقدما ووضوحا ، وبرنامج سرى يهدف الى تحقيق الاستقلال التام (٩) ، وقد

انتشر التنظيم السرى لحزب الشعب فى جميع جهات الجزائر ، بين خيرة الشباب الجزائريين أخلاقا وأدبا وصحة وتمسكا بأهداب الدين بعد التأكد من ماضيهم وسلوكهم فاذا وقع الاختيار على الشباب ضم للخلية فى صمت تام ، وكان يلقب بالمناضل وتتكون الخلية من أحد عشر عضوا ، ويراعى فى اختيارهم أن يكونوا فى الغالب من حى واحدحتى يبعدوا الشكوك عنهم عن اجتماعاتهم ويقوم رئيس الخلية بتنسيق نشاط الخلية مع القيادة المركزية للمنطقة بواسطة مفتش ، ويراعى فى اختياره أن يكون فى أغلب الأحيان من خارج المنطقة لأنه يكون همزة الوصل بين القيادة المركزية للمنطقة وبقيةدوائرها • وتصدر القيادة العامة للمنطقة تعليماتها بواسطة مفتش الذى يكون همزة الوصل بين القيادة المركزية للمنطقة وبقية دوائرها وتتلقى قيادة المنطقة المركزية تعليماتها من القيادة العامة بواسطة ضباط اتصال سريين حيث تدرس هذه التعليمات وتنفذ بقدر الامكان • ويستخدم ضابط الاتصال أسماء حركية ، كما يشمل التنظيم على أكبر عدد ممكن من الشبان الذين يستخدمون فى الدعاية السرية للتنظيم كتوزيع المنشورات السرية ، والدعاية الخاطفة فى الأحياء السكانية ، وتنظيم المظاهرات والاضرابات الجماعية •

وبعد مذبحة سطيف فى ٨ مايو سنة ١٩٤٥ (١٠) قررت القيادة العليا للنظام السياسى السرى انشاء جهاز عسكرى سمى بالشرف العسكرى يعمل لانتزاع الاستقلال بالقوة (١١) ، وكان مقدرا لهذا الجهاز ان يقوم بالثورة فى أواخر سنة ١٩٥٠ لولا انكشاف أمره ، مما أدى الى انفراط عقد التنظيم ولكن القادة ــ رغم ذلك ــ تمكنوا من القرار الى الجبال بأسلحتهم وأخذوا فى سرية تامة فى تنظيم صفوفهم من جديد ، وفى الاعداد لمعركة تحرير الجزائر تاركين الحزب السياسى فى جدل بين الجيل القديم ممثلا فى مصالى وجماعته ، والجيل الحديث الذى ضم عددا من المثقفين الذين كانوا يدينون للمبادىء والنظم العصرية أكثر منهما للزعامة •

وأدى تقاذف المصاليين والمركزيين للاتهامات ، وتشدد كل من الفريقين فى موقفه الى حد عقد المصاليين مؤتمرا فى هورنو Hornu

ببلجيكا في أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ يوليو ١٩٥٤ ولم يحضر المركزيون هذا المؤتمر ، فقرر مصالى وجماعته فصل جماعة المركزيين عن الحزب ، وتفويض نفسه بادارة سياسة الحزب ومسئولية توجيهها (١٢) ، ورد المركزيون على الموقف المصالى بمؤتمر انعقد في الجزائر العاصمة في أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٤ أعلنوا فيه فصل المصاليين عن الحزب ، وانهم ممثلو الحزب ومسيروا سياسته وأدت هذه الأزمة التى تعرض لها حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية الى ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل •

(١٣) Comite Revolution nnaire pour L'unite et L'action
التى لم تعترف بالجدل ، والمصادمات التى حدثت بين المصاليين والمركزيين وترسخ لدى هذه اللجنة الثورية • اعتقاد بأن استئناف محاربة الاستعمار قد يكون أفضل الحلول لاحتواء الصراع الداخلى بين المصاليين والمركزيين ، وقد أسس هذه اللجنة تسعة من الشبان في شهر مارس ١٩٥٤ وهم : حسين آيت أحمد ، أحمد بن بله ، محمد العربى بن مهيدى ، محمد بوضياف ، مصطفى بلعيد ، رابح بيطاط ، مراد ديدوش ، محمد خيضر ، كريم بلقاسم ، وقد اكتسب هؤلاء الشبان تجاربهم من عملهم فى الجيش الفرنسى ، أو من اشتراكهم في التنظيم السرى لحزب الشعب الجزائرى (المنظمة الخاصة) (١٤) وقد نادى هذا الجناح الثالث من حزب الشعب الجزائرى بوحدة قاعدة الحزب ، وليس الكادر القيادى للحزب (١٥) وكان هؤلاء الشبان يرمون الى الاعداد لثورة مسلحة فى المستقبل القريب ، فقابل بوضياف بن بله فى مارس سنة ١٩٥٤ فى سويسرا ، وأمر أفراد المنظمة الخاصة بالعودة الى الجزائر فعاد الرجال •

وفى منتصف شهر يونيو سنة ١٩٥٤ ، اجتمع ستة جزائريين (١٦) فى منزل أحد العمال بسوق باب عزون القديم ، وتعددت اجتماعاتهم ، لتنفيذ قرار اتخذته الثورة ، بانشاء نظام يهدف الى : تحطيم النظام الاستعمارى بالسلاح ، وتحرير الجزائر ، بعد ان أيقنت منظمتهم ان الثورة الوطنية هى الحل الوحيد لتحطيم النظام الاستعمارى، ولم تكن لديهم سوى بعض الأسلحة الاتوماتيكية ، وبنادق الصيد ، وبضع آلاف من الفرنكات ، كما تعددت اللقاءات فى سويسرا فى يوليو ، وذللت مشكلات الامدادات والتسليح بالنسبة لهذه القوى الثورية ، وتمضى الشهور ، والمنظمة الثورية فى الجزائر تشكل فروعها فى فرنسا - كما داوم بوضياف على الاتصال بالقادة خارج الجزائر ، والعمل فى الخفاء مع اللجنة الثورية داخل الجزائر ، وفى

شهر سبتمبر ١٩٥٤ استخدم القادة نفس التنظيمات التي استخدمها حزب الشعب في بداية كفاحه السياسي فقسمت الجزائر الى ست مناطق : المنطقة الأولى (الأوراس) : وتولى قيادتها مصطفى بلعيد ، والنائب الأول شيهاني نواره .

المنطقة الثانية : وتولى قيادتها ديدوش مراد النائب الأول لها زيغود يوسف .

المنطقة الثالثة : بلاد القبائل وتولاها كريم بلقاسم ، النائب الأول عمران

المنطقة الرابعة : الجزائر وتولاها رابح بيطاط ، النائب الأول بوجمعه سويداني .

المنطقة الخامسة : وهران وتولاها العربي بن مهيدى من بسكره ، والنائب الأول عبد الملك بن رمضان من قسنطينة .

المنطقة السادسة : لم يكن فيها مسئول ، ولكنها كانت تتبع لقيادة مصطفى بلعيد وبعد مؤتمر وادى الصمام ١٩٥٦ ، ولى عليها ملاح من ذراع ــ الميزان والذى اتخذ اسما حركيا له هو : سى شريف وكان مطاردا من قبل السلطة الفرنسية منذ ١٩٤٧ (١٧) .

كما أقيمت خمس ولايات في فرنسا (١٨) ، وكان على اللجنة الثورية للوحدة والعمل (C.R.U.A.) أن تؤمن تزويد التنظيم بالأسلحة ، واتجهت الى الحكومة المصرية التي تعهدت بتزويد التنظيم بالأسلحة (١٩) بصرف النظر عن احتمالات النجاح ، وتمشيا مع السياسة المصرية في ذلك الوقت ، والتي كانت ترمى الى تأييد الحركات التحررية في الوطن العربى ، كما بذلت اللجنة الثورية للوحدة والعمل جهودها من أجل جمع بعض الأسلحة من أوربا .

وفى الجزائر طرح قادة اللجنة الثورية للوحدة والعمل على المركزيين والمصاليين الأسئلة الثلاثة الآتية : هل أنتم متفقون معنا في الكفاح المسلح ؟ ان كنتم متفقين ماذا تجعلون رهن اشارته ؟ ان شن هذا الكفاح دون مساهمتكم ، ماذا سيكون موقفكم ؟ (٢٠) وكان الجواب عدم اعتراف المصاليين بهم . كما تأخر رد المركزيين ولكنهم لم يناصبوا اللجنة الثورية العداء ، كما قبلت الكوادر المحلية للاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى المشاركة في الحركة ، كما شارك العلماء وقد تركت اللجنة الثورية لقادة المناطق العسكريين تحديد الموعد الذى تنطلق فيه الثورة ، وعقد هؤلاء العسكريون ، مؤتمرا عسكريا في أول اكتوبر

سنة ١٩٥٤ ، وفيه تحدد يوم الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ كموعد لبدء العمليات العسكرية ويقال ان السياسيين من جمـــاعة المركزيين الذين استجابوا لدعوة اللجنة الثورية للاتحـــاد والعمـل كانوا قد اتخذوا قراراهم • ونسج الكثير من التحليلات حول انتفاضة أول نوفمبر ١٩٥٤ ، غير أن أغربها : رواية وردت على لسان أحد الشيوعيين الفرنسيين والذى يدعى فيها بأن ثمة اتصالا قد تم فى القاهرة بين ممثلى اللجنة الثـورية والولايات المتحدة للتعجيل ببدء الثورة ، وذلك كنـــوع من الضغط على السياسة الفرنسية المشاكسة التى طالبت بتعديل مشروع منظمة الدفاع الأوربى الذى رأت فيه فرنسا بعض انتقاص لسياستها القومية لصالح سلطة عليـا تمثل فيهـا ألمانيا على قدم المساواة كما يعتقد الفرنسيون فى تأييد السياسة الأمريكية للحركات القومية فى شمال أفريقيا بغية استبدال النفوذ الاقتصادى الأمريكى المتوقف محل النفوذ الفرنسى حينما تستقل أقطار شمال افريقيا وتفتح أبوابها للتنافس الدولى دون تمييز فى استغلال مشروعاتها الاقتصـــادية ، وعلى رأســها بترول الصحراء الكبرى ولكن اذا كان لابد من البحث عن اطار دولى فيمكن التوقف عند عاملين آخرين يستندان الى أداة قوية •

العامل الأول : التغييرات التى شهدها المشرق العربى بعد الحرب العالمية الثانية سواء على الصعيد الفكرى أم السياسى ، ورغم محاولات الاستعمار الفرنسى أبعاد هذه التيارات عن الشـــمال الافريقى الا أنه لم يفلح هذا فضلا عن اندلاع الثورة فى تونس ومراكش •

العامل الثانى : حرب الهند الصينية التى أثرت على الجزائر من زاويتين هامتين :

الزاوية الأولى : وهى معنـــوية وتتمثل فى الأثـر الذى احدثتـه الانتصارات العسكرية الفيتنامية على الفرنسيين التى حسـمها اجتياح الفيتناميين لقلعة ديان بيان فو سنة ١٩٥٤ (٢١) ، وقد أعطى اســتقلال الهند الصينية لثوار الجزائر بارقة أمل فى حصولهم على الاســـتقلال بالكفاح المسلح •

الزاوية الثانية : جلاء القوات الفرنسية :

فعلى أثر تسوية جنيف جلت القوات الفرنسية عن الهند الصينية وكانت تضم عددا كبيرا من الجزائريين قدر بحوالى ١٦٠ ألف جنـدى وقد أتاح اشتراكهم فى حرب فيتنام فرصة اكتساب خبرة كبيرة بفنون

حرب العصابات ، ويقال ان فيتنام الشمالية تعمدت تدريب هؤلاء الأسرى على فنون حرب العصابات وعاد هؤلاء الجزائريون الى بلادهم ليقدموا خبراتهم العسكرية المكتسبة من حرب فيتنام الى الثورة (٢٢) .

ورغم هذه الاستعدادات للثورة ، فان المسئولين الفرنسيين لم يحسوا بها ، اذ كان فرنسوا ميتران François Mitterand وزير الداخلية وقتها يزور الجزائر لتفقد آثار زلزال مدينة أورليانزفيل Orleansville بشمال غرب الجزائر (الأصنام) والذى حدث فى صيف عام ١٩٥٤ (٢٣) وقد تودد ميتران وقتها للمستوطنين بقدر المستطاع خشية ان يتعرض لثورتهم ، لأنه كان يعد لجمع القوى السياسية الجزائرية بالقوى الفرنسية مما كان يعرضه لثورة المستوطنين ، وفي ١٧ أكتوبر سنة ١٩٥٤ خطب ميتران في وهران مؤكدا استقرار الأمور فى الجزائر وجاء فى خطابه : ان الحكومة الفرنسية لا يخامرها الشك فى أية أفكار ثورية ، كما أنه ليس لديها أدنى شك للوثوب نحو المجهول (٢٤) وتمضى الأيام حتى كانت الساعة الأولى من صباح أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ (٢٥) ، والذى يوافق ذكرى عيد القديسين (٢٦) ، شنت اللجنة الثورية للوحدة والعمل ثلاثين هجوما فى جميع أنحاء الجزائر على أهداف عسكرية ، وشرطية ، وطرق المواصلات فى آن واحد (٢٧) قام به عدد يتراوح بين ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠ محارب من محاربيها ، كانوا مسلحين ببنادق الصيد ، والأسلحة المحلية ، وانسحبت هذه الجماعات بعد اتمام مهامها وكان الغرض من هذه الهجمات الاعلان عن بدء الثورة للأمة الجزائرية ولفرنسا ، وللعالم أجمع ، انتهاز فرصة عيد القديسين وحالة الاسترخاء العسكرى التى يغط فيها جنود الجيش الفرنسى لمهاجمة معسكراتهم والاستيلاء على سلاحها ، بعثرة القوات الفرنسية والتمويه عليها وذلك بالهجمات المتفرقة عليها من قبل الجزائريين وقد أعلنت اللجنة الثورية للوحدة والعمل ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ للشعب الجزائرى من خلال المنشورات التى ذيلت بتوقيعها والتى دعت فيها الشعب الجزائرى للتخلص من الحكم الاستعمارى (٢٨) .

وفى بداية الثورة لم يكن الوعى الشعبى قد نضج بعد ، واضطرت الجبهة فى البداية ان تستأجر بعض المحترفين لتنفيذ بعض العمليات ، والدليل على ذلك حديث أحد المناضلين الى (٢٩) : « على أنه كلف بتنفيذ العملية الأولى فى عنابه وتتلخص فى قتل عمدة بلدية عنابه الفرنسى ، واضطراره الى استئجار بعض القتلة الذى دفع اليهم على حد قوله

ثلاثة آلاف فرنك » ، وقد مارست الجبهة العنف ، والارهاب والتوعية السياسية حتى يتعود الشعب الجزائرى على السير وراء الثورة ، ولما ظهر التجاوب الفعال مع الثورة من كافة طبقات الشعب ، استبدلت اللجنة الثورية للوحدة والعمل أسمها بجبهة التحرير الوطنى الجزائرى (٣٠) Front de Liberation Nationale وجبهة التحرير منظمة حربية متعددة الواجبات ، أسس نظامها على أسس من الدقة ويتصف المسئولون المهيمنون عليها باليقظة التامة ، كما يحرصون على تنفيذ الأوامر الصادرة اليهم ، ولا يتهورون فى أعمالهم (٣١) ، وقد عوقب عدد من المجاهدين ، وحكم عليهم بالسجن لعدة سنوات لمخالفتهم الأوامر والتعليمات أو لأنهم لم يعبأوا بأبسط قواعد النشاط السرى • ومن أجل المحافظة على سلامة جيش التحرير الوطنى Armée de Liberation national دعامة الثورة الجزائرية الأساسية استخدم مجاهدو الجبهة كل الوسائل لتضليل الشرطة السرية الاستعمارية عن تتبع الجبهة حتى يتسنى للأخيرة السهر على سلامة جيش التحرير الذى كان يزود الجبهة بالمعلومات الضرورية عن العدو ، وحشوده ، وتحركات قواته لما لها من أهمية كبرى للمحاربين ، والقيادة العليا •

٢ ــ برنامج الجبهة :

لما وجدت اللجنة الثورية للوحدة والعمل الحماس الشعبى المتدفق من الجماهير الجزائرية لأعمالها ، وجهت لهذه الجماهير بيانها الأول : وفيه بينت ان هدفها هو الاستقلال الوطنى فى اطار الشمال الافريقى ، وتوضيح الأسباب العميقة التى دفعت جبهة التحرير الى العمل الثورى حتى لا يشوه هذا العمل الثورى النظام الاستعمارى ، وعملائه الاداريين ، وبعض محترفى السياسة من الانتهازيين وقد اعتبرت اللجنة الثورية ان الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق ، واعتبرت شعبها الجزائرى متحدا حول قضية الوطنية الجزائرية وذلك للحصول على التأييد من قبل العرب والمسلمين ، بعد فشل النضال السياسى الذى قادته الأحزاب الجزائرية والذى كان كل حزب فيها يرى قضية الاستقلال من زاوية معينة هذا علاوة على ان الحزب الثورى ممثلا فى حركة انتصار الحريات الديمقراطية كان يعانى من التفكك والانقسام نتيجة الجدل الحزبى الذى احتدم بين الجيل القديم وجماعة المركزيين •

وقد رأت اللجنة الثورية ان الوقت مناسب لبدء النضال المسلح الى جانب ثورات المغرب العربى (تونس ومراكش) اللتين سبقتا

الجزائر الى ميدان الكفاح وكان الحزب الثورى أول من نادى بوحده العمل التى لم يتح لها التحقيق لأن الجبهة منذ الوهلة الأولى كانت ترمى الى جلب التأييد ليس للاستقلال فحسب بل لايجاد وحدة شمال افريقيا .

كما وضعت اللجنــة الثـورية للوحدة والعمــل قضية الوطنية الجزائرية فوق كافة الاعتبارات وأعلنت ان حركتها موجهة ضد الاستعمار الذى فشلت معه كل أساليب النضال السياسى وان هذه الأسباب التى جعلت حركتها التجديدية تظهر تحت اسم جبهـــة التحرير الوطـــنى الجزائرى حتى تتيح بذلك الفرصـــة للجزائريين من كافة الطبقات .. والأحزاب ، والحركات الخاصة للاندماج فى حركة التحرير الذى تلعب فيه جبهة التحرير دور المرشد للشعب والمحرك للثورة (٣٢) وقد بينت للشعب الجزائرى فى هذا النداء الخطوط العريضة لبرنامجها السياسى الذى يدعو الشعب الجزائرى الى الكفاح المســـلح لانتزاع الاستقلال الوطنى ، وذلك باجتماع الشعب الجزائرى خلف منظمته الحزبية (٣٣) التى تسعى من خلال الاستقلال الى ايجاد الدولة الجزائرية الديمقراطية ذات السيادة ضمن اطار المبادىء الاســلامية (٣٤) والتى ستحترم فيها جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقى أو دينى ، ولعل الجبهة كانت ترمى من وراء ذلك الى : طمأنة الجالية اليهودية التى وجهت نداء خاصا طلبت منها فيــه : التعاون مع الثــورة الجزائرية كمواطنين جزائريين يحاربون النظام الاستعمارى فقط ، واستطاعت الجبهة بهذا النداء ان تحوز ثقة الجالية اليهودية ، وتظهر مدى تسامحها أمام المجتمع الدولى وجلبت من وراء ذلك التأييد لقضية استقلال الجزائر ، ولكن يبدو ان هذا النداء كان مجرد (تكتيك) اتخذته الجبهة للتمويه بدليل رحيــل الجالية اليهودية عشية استقلال الجزائر ، كما كانت الجبهة ترمى أيضا الى طمأنة الأقلية الأوروبية المهيمنة على مقاليد الأمور فى الجزائر والتى ستهب بلا شك للدفاع عن امتيازاتها التى حصلت عليها منذ أجيــال ، أمام هذا الوضع الجديد المطالب بالاســـتقلال ، والمدافع عن عقيدته بالسلاح الى امكان العيش فى الجزائر الوطنية المستقلة ، لأن الجبهة كانت تدرك جيدا ان أية حكومة فرنســية ســتفكر فى منح الجزائر استقلالها لا تستطيع ان تترك مليون فرنسى يشكلون الأقلية الأوروبيــة وشأنهم دون ضمانات كافية لهم ، لذا كان عرض الجبهة هذا من قبيل توضيح الأمور بالنسبة لأية مفاوضات مقبلة مع الجبهة .

كما أوضحت الجبهة جهودها فى الميدان الداخلى بقولهـــا انهـا ستعمل على تعبئة طاقات الشعب الجزائرى من أجـــل العمل الثورى ،

وذلك بعد تطهير صفوف الشعب من الفساد السياسى الذى هو سبب تأخر الحركة الوطنية الجزائرية كما أعلنت الجبهة عن رغبتها فى ايجاد سند دبلوماسى لقضية استقلال الجزائر من الدول العربية والدول الاسلامية ، والدول المؤيدة لقضية استقلال الجزائر (تدويل القضية الجزائرية) ، والمعروف ان فرنسا كانت تعتبر الجزائر طبقا للمادة ٦٠ من الدستور الفرنسى مقاطعة فرنسية فيما وراء البحار تدخل فى نطاق الأمور الداخلية للدولة الفرنسية ، ولما كانت الجبهة تقدر قوة خصمها الفرنسى ، ووزنه على الصعيد الدولى فانها كانت تسعى لتدويل القضية الجزائرية ، وعقد صداقات فعالة مع الدول المؤيدة لحركة الكفاح الجزائرى بغية إيجاد كيان دولى للمشكلة الجزائرية هذا بالاضافة الى جهود الجبهة فى ميدان العمل المحض أو فى الميدان الخارجى وكلها عوامل مساعدة لهدف الجبهة الأساسى وهو الاستقلال بايجاد الدولة الجزائرية الديمقراطية وأن هذا العمل الشاق يستلزم من الجبهة تعبئة الطاقات والموارد الوطنية وقد عبرت الجبهة عن نزعتها السلمية بايضاحها أساس السلام مع فرنسا ، ومهدت لعرض السلام بقولها لكى نبرهن على رغبتنا الحقيقية فى السلم وفى التقليل من الخسائر البشرية ، واهدار الدماء فاننا نقدم أساسا مشرفا للمحادثات مع السلطات الفرنسية (٣٥) اذا اعترفت فرنسا بالقومية الجزائرية فى اعلان رسمى يلغى كل القوانين والقرارات التى تعتبر الجزائر أرضا فرنسية ، وأن تتفاوض فرنسا مع ممثلى الشعب الجزائرى على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية (٣٦) وأعلنت الجبهة ان فرنسا اذا رغبت فى قبول عرض السلام الذى تقدمت به الجبهة فان عليها أن تخلق جوا من الثقة مع الجبهة وذلك : بأن تطلق سراح جميع المسجونين السياسيين ، وان توقف التدابير الاستثنائية وجميع المطاردات للثوار ، ولما كانت الجبهة تدرك ان فرنسا ستعارض الاستقلال حفاظا على مصالحها الثقافية والاقتصادية وكذلك مصالح المستوطنين أصحاب الحظوة الأثيرة فى الجزائر الذين سيعارضون بلا شك استقلال الجزائر حفاظا على مصالحهم ، فان الجبهة تعهدت فى هذا الاعلان الرسمى الموجه للجميع بطمأنة فرنسا على مصالحها الاقتصادية والثقافية ، وأيضا المستوطنين على مصالحهم التى اكتسبت بشرف ونزاهة .

كما عرضت الجبهة عليهم الخيار : بين الاقامة فى الجزائر ، والتجنس بالجنسية الجزائرية ، وعندئذ سيكون لهم نفس حقوق الجزائريين ، وعليهم نفس واجبات الجزائريين اما اذا بقوا على جنسيتهم الأصلية فانهم سيعاملون فى الجزائر المستقلة كأجانب أمام القانون

الجزائرى ، أما الروابط التى تربط فرنسا بالجزائر فانهـا ستجدد ، وستكون موضع اتفاق بين الجبهة وفرنسا على اساس المساواة والاحترام المتبادل بين الطرفين ·

وقد دعت الجبهة فى ختــام ندائهـــا الشعب الجزائرى للانضمام الى صفوفها من أجل محاربة الاستعمار الفرنسى لأن انتصارها هو انتصار للشعب الجزائرى عليه ، وبهذا تحدد جبهة التحرير معالم الطريق الذى يوصلها فى نهاية المطاف الى الظفر باستقلال الجزائر (٣٧) ·

٣ ـ تشكيلات جبهة التحرير الوطنى الجزائرى :

لما لمست اللجنة الثورية للوحدة والعمـل مدى اقبـال الجماهير الجزائرية عليها ومباركتها لأعمالها استبدلت اســمها بجبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، وقد طلبت الجبهة من الأحزاب الجزائرية أن تتخلى عن صفتها الحزبية ، وان تنضـم الى ركب الثـورة الجزائرية بصفتهم الفردية لأنها التنظيم القومى الذى يضم مجموع الشعب الجزائرى فى كل مكان وفى استطاعتها اثارة الحماس الوطنى للشعب ، وهى رائدة الوطن ، ومحرك الثورة وانها بعد أن شملت الجزائر تقريبا لها حق فى أن توضح فى نظامها الأساسى ان كل جزائرى سواء يلباس القتـال ، أو بدونه له نصيب فى معركة التحرير على مختلف الميادين (٣٨) ، وان الجبهة هى منظمة الشعب الجزائرى الذى يكافح من أجـــل قيام دولة مستقلة ، تسير على النظام الديمقراطى الذى لا يتناقض مع المبـادىء الاسلامية وانها فى سبيل تحقيق الاستقلال تستعمل كافة الوسائل وعلى وجه الخصـوص الكفاح المسلح ، وانها بعد الاستقلال ستواصل مهمتها فى البنــاء الاجتماعى لتحقيق الرخـــاء الاقتصــــادى ، والعـــدالة الاجتماعية (٣٩) ·

(أ) حقوق المناضل وواجباته :

وقد أوضحت الجبهة لأعضائها الواجبات الملقاة على عاتقهم والتى تتمثل : فى الصفة النضالية للأعضــــاء حالة التزامهم بالكفاح لتحقيق أهداف وواجبات الجبهة ، وان عضـــوية الجبهة تكون فعلية فى حالة موافقة الهيئة التى تستبق درجة المناضــــل الذى يتعين عليه الانتماء للجبهة فقط ، ويجب على كل مناضل الالمام بالخط السياسى للجبهة ، ونشر قراراتها بين الناس ، وان يكون مثالا يحتذى فى الوطنية والأمانة ، وان يكون يقظا حازما محاربا للفرقة ، وطبقا للنظام الديمقراطى الذى

تسير عليه الجبهة فان من حق المناضل عرض آرائه ووجهة نظره ، والدفاع عنها ، وتصعيدها الى الهيئات العليا حتى المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، وان يكون له حق الدفاع عن نفسه بنفسه ، أو بواسطة مستشار أمام المحاكم التى تحاكمه على نشاطه وسلوكه ، كما ساوت المادة العاشرة من قوانين الجبهة بين القاعدة والقمة من المناضلين فى الحقوق والواجبات (٤٠) .

(ب) مبادىء الادارة والتنظيم :

وقد أوضحها الفصل الثالث من القوانين الأساسية لجبهة التحرير فاظهر كيف ان الجبهة تعمل حسب القواعد المركزية الديمقراطية فى :

ـ الدوائر الترابية التى تتمثل فى : الولاية والمنطقة والناحية والقسمة

٢ ـ ميادين نشاط المواطنين .

كما حددت الجبهة مبدأ القيادة الجماعية للعمل داخل صفوفها ، ولعلها بذلك تشير الى الماضى القريب : حيث انتخب المصاليون مصالى زعيما مدى الحياة بل تمادوا أكثر فاقدموا على فصل الجماعة المركزية التى اعترضت على اسلوب الفردية ونادت بجماعية القيادة التى كان من مظاهرها ترديد الجماهير مثلا : قال النظام ، أمر النظام ، جئت من عند النظام ، ذاهب الى النظام ، وهم يعنون بذلك مستويات القيادة المتدرجة من القاعدة الى القمة ، وفى هذا اشارة لجماعية القيادة ، وردا على أى زعامة فردية قد تبرز أثناء الثورة كما تهدف الى المحافظة على سرية الثورة والقيادة ، وتضمن الاشراف على العمل الثورى المتواصل (٤١) .

كما حملت الجبهة المسئولية لكل مسئول ، وطبقا لنظام العمل الجماعى فان المسئولية تكون مسئولية جماعية ، كما نادت المادة ١٥ بضرورة التنسيق بين الأعمال كعنصر أساسى فى سير العمل الجماعى وبرز عنصر مراقبة لهذه الأعمال كضرورة فأوضح فى وسع كل منظمة مراقبة العمل داخل فروعها ، واذا كانت المسئولية جماعية فان النظام أصبح يطبق بالتساوى ، ويزداد شدة كلما عظمت المسئولية ، كما احترم السلم التصاعدى ، والنقد الذاتى وتودى بتسجيل اجتماعات جبهة التحرير فى محاضر جلسات (٤٢) .

لذلك يجب أن تستهدف هذه التربية شرح مدى أهداف الثورة الجزائرية لأنه لايمكن استنفار الجماهير ان لم تفهم بوضوح ان مصلحتها

مرتبطة بتحقيق أهداف الثورة وحتى تؤدى الجبهة مهمتها : يجب ان تستند على المنظمات الجماهيرية التى تضم الشباب ، والطلبة ، والنساء ، والنقابات للدفاع عن مصالحهم ، ومشاركتهم المنظمة فى أعمال الثورة الجزائرية (٤٣) .

وقد انضم الى الأعضاء التسعة « مؤسسى اللجنة الثورية للوحدة والعمل نواة الجبهة أعضاء آخرين مثل : عمران ، عبانه ، ناصر (من القبائل) ، شيهانى ونواره (الاوراس) سعد دحلب ، يوسف بن خده (الجزائر العاصمة) ، وتشكلت قيادة الثورة من محاربين لهم سلطات واسعة فى اتخاذ القرارات المحلية ، كما أوفدت القيادة الثورية الجزائرية مندوبين عنها لجلب الأسلحة والامدادات من خارج الجزائر .

والمجلس الوطنى للثورة الجزائرية (C.N.R.A.) هو الهيئة التشريعية العليا للثورة ، وهو الذى يخطط سياسة جبهة التحرير ، وهو وحده له حق وقف القتال (٤٤) وقد ضم المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ٣٤ عضوا : سبعة عشر عضوا أساسيا ، وسبعة عشر عضوا منضما وكان من ضمن الأعضاء الباقين على قيد الحياة من الرعيل الأول للجنة الثورية للوحدة والعمل ، وقادة عسكريون جدد ، وزعامات سياسية سابقة : كفرحات والمدنى ودباغين ، ويزيد ، كما كان من ضمن الأعضاء المنضمين بن يحيى زعيم الطلبة من الجبهة عبد الحميد مهرى(مركزى)، بالاضافة الى قادة عسكريين ، وللمجلس مكتب يسمى مكتب المجلس الوطنى يبدى رأيه فى كل قضية تعرض عليه ولكن رأيه لا يلتزم به المجلس الوطنى للثورة ، ويستطيع المجلس أشعار الحكومة بسائر الاقتراحات المفيدة اذا رأى ان ذلك مجديا هذا عن السلطة التشريعية الممثلة فى المجلس الوطنى للثورةالجزائرية ، أما عن السلطة التنفيذية فانها تمثلت فى لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) التى تشكلت فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ من خمسة أعضاء هم : رمضان عبانه ، بن يوسف بن خده ، محمد العربى بن مهيدى ، سعد دحلب ، كريم بلقاسم . وهذه اللجنة مجلس حرب حقيقى فهى تقود وتوجه جميع فروع الثورة العسكرية والسياسية والدبلوماسية ، والادارية (٤٥) ، كما يخضع لهذه اللجنة القادة العسكريون والسياسيون والمسؤولون عن جميع فروع الثورة فى الولايات الست : الجنوب ، السمندو ، القبائل ، الجزائر ، الاوراس ، وهران .

وفى الشهور التى تلت أغسطس ١٩٥٧ بذلت لجنة التنسيق والتنفيذ جهدا كبيرا لتنسيق سياستها مع جارتيها تونس ومراكش ،

وأسفر اجتماع طنجة الذى عقد فى شهر ابريل سنة ١٩٥٨ بين : حزب الاستقلال المراكشى ، وحزب الدستور التونسى ، وجبهة التحرير الوطنى الجزائرى عن اقامة حكومة جزائرية فى النهاية • وكانت لجنة التنسيق والتنفيذ قد أسندت قبل هذه الخطوة بعض وظائف حكومية لاعضائها حددت كما يلى :

شئون الاعلام : فرحات عباس (٤٦) •

الشئون العسكرية : كريم بلقاسم ، عمر عمران ، عبد الحفيظ بوصوف (٤٧) •

الشئون الدبلوماسية : محمد الأمين دباغين •

الشئون الداخلية : الأخضر بن طوبال •

الشئون المالية : محمود شريف •

الشئون الاجتماعية : عبد الحميد مهرى •

وقد انشأت لجنة التنسيق والتنفيذ الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية Gouvernement Provisoire de la république Algerienne (٤٨) فى شهر سبتمبر ١٩٥٨ وكان المجلس الوطنى للثورة الجزائرية قد أعلن فى تونس ، الرباط ، القاهرة نبأ تكوين هذه الحكومة فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ ودخلها الكثير من الزعماء السياسيين والعسكريين المشهورين ، وغير المعروفين الذين لم يلمعوا بعد على مسرح السياسة الخارجية الجزائرية (٤٩) ودخول هؤلاء الى الحكم يعنى ايجاد كيان داخل بلادهم التى احتلها الفرنسيون الذين حاولوا القضاء على شخصية بلادهم العربية الاسلامية •

الفصل الثالث عشر

الأساس العربي والاسلامي داخل الجبهة

١ ـ مظاهر الأساس العربي الاسلامي :

(أ) تأييد العلماء لثورة الفاتح من نوفمبر :

لما كان العلماء هم رواد الفكرة العربية الاسلامية فى الجزائر فى العصر الحديث ، ولما كانت الجبهة قد اعتنقت هذه الفكرة ـ بدليل مخاطبة الجبهة للدول العربية والاسلامية ـ للحصول على تأييدهم لقضية استقلال الجزائر (١) فانهم قبلوا العلماء كأعضاء فى الجبهة وقد وضع العلماء أنفسهم تحت تصرف الجبهة لحظة اندلاع الثورة وذلك فى اجتماعهم الذى دعا اليه المدنى فى قسنطينه لتأييد الثورة ، ولأنه على حد قوله « كنت من القلائل الذين يعرفون هذا اليوم » (٢) وقد أخبرهم المدنى ان دورهم القديم كدعاة ينشرون الفكرة العربية الاسلامية قد انقضى ، وان واجبهم وضع أنفسهم تحت تصرف الجبهة ، وقد حظت فكرة المدنى بتأييد الأصوات ، عدا صوت واحد رفض المدنى الافصاح عنه ، الا أن هذا الصوت المعارض ما لبث ان عاد الى حظيرة الجماعة لما رأى اجماع العلماء على الانخراط فى الثورة وقد لعب أحد العلماء وهو الشيخ ابراهيم مزهودى (٣) دورا هاما فى اتصال العلماء بجيش التحرير الوطنى الجزائرى وقد وصل فى مشاركة الثورة الى حد توليه منصب القائد المساعد للولاية الثانية (٤) .

(ب) صلابة العلماء :

طالب المقيم العام الفرنسى روبرت لاكوست Robert La Coste من الشيخ العربى التبسى ـ صاحب التأثير على الشعب الجزائرى ـ

ان يهدأ الشعب فما كان من التبسي الا أن رفض طلب لاكوست قائلا « انني صادق منذ نعومة أظفاري وأنا الآن شيخ كاهن وتريدون مني أن أكذب على الشعب ، كلا لن أتحدث ، وبعد اعتقال الزعماء الخمس طالبه لاكوست ــ كمفوض من قبل حكومة جي موليه Guy Moller ــ بالتفاوض معه لايجاد حل للقضية الجزائرية فقال له التبسي مفتاح الحل بأيديكم أنتم ، مما أدى الى وضعه تحت الاقامة الجبرية بين منزله في حي بلكور بالجزائر . وعمله في جمعية العلماء بقضية الجزائر ، ولما كان الشيخ التبسى باعتباره رئيسا لجمعية العلماء ــ بعد رحيل البشير الى الشرق ــ قد ألف السجن لأنه كان من أنصار الكفاح المسلح مع فرنسا لاستخلاص الاستقلال ، فان الخطر أصبح يحدق به لدرجة رفضه الخروج من الجزائر ، واعتباره مغادرة البلاد نكوص من المعركة مع فرنسا الذى قال عنها « من عاش فليعش بعداوة فرنسا ومن مات فليحمل معه هذه العداوة الى القبر » (٥) . وقد رفض التبسى عرض الأزهر شريط أحد العسكريين الجزائريين لانقاذه من المصير السيء الذى يزحف اليه حتى اختطافه على يد المظليين الفرنسيين فى الليلة الفاصلة بين ٤ ، ٥ أبريل سنة ١٩٥٧ ، وصلابة التبسى فى مواقفه الوطنية منطلقة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » .

(جـ) المهام التى قام بها العلماء داخل الجبهة :

لما كان العلماء رواد الفكرة العربية الاسلامية فى الجزائر التى اعتنقتها الجبهة لذا كلفتهم الجبهة بالعديد من المهام فقد أرسلت المدنى الى الشرق العربى مع اتخاذه مصر قاعدة للعمل ، كما كلفت الشيخ محمد الفسيرى بالتعاون مع عبد الحميد مهرى فى دمشق ، كما كلفت الجبهة بعض العلماء الآخرين بأعمال أخرى فى القاهرة ومن القاهرة أيضا انطلق صوت الابراهيمى رئيس العلماء مؤيدا الثورة الجزائرية ومساندا لها وكانت مهام مكتب القاهرة الذى عهد برئاسته الى المدنى تتلخص فيما يلى :

١ ــ الاتصال ببقية البلاد العربية من أجل الدعوة للقضية الجزائرية وجمع التبرعات وطلب السلاح (٦) .

٢ ــ التعريف بالقضية الجزائرية من خلال الصحف والاذاعة المصرية والندوات التى كان يعقدها المدنى فى جمعية الشبان المسلمين ، والأزهر .

٣ ــ تمثيل الجزائر رسميا كمندوب دائم لها لدى جامعة الدول العربية .

(د) الجانب التعليمى للعلماء أثناء الثورة :

اهتم قادة جيش التحرير الوطني الجزائري بتعليم الشعب والجنود ، فقد كانت مراكز الولايات الست داخل الجبهة تضم لجانا فرعية عامة في كل قسم من أقسام الوطن تشتغل برعاية النواحي التعليمية ، والتوعية الدينية ، والحياة الصحية (٧) كما حدث ان اتصل القائد عميروش بصفته قائدا للولاية الثالثة (القبائل الكبرى) (٨) بأحمد حماني — نائب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين ، وطلب منه ارسال الجنود من المعلمين لبث الوعي الديني والاتجاه العربي بين صفوف الجنود ، وقد بعث اليه حماني بالدعاة السياسيين الذين لعبوا دورا فعالا في تعميق الوعي السياسي لدى جنود جبهة التحرير ، كما استغل بعض العلماء فترة اعتقالهم في السجون ، وأفلحوا في بث أفكارهم العربية والاسلامية بين السجناء ، ودليلنا على ذلك قول حماني « ولما دخلت السجن نظمت التعليم العربي والاسلامي في السجون التي مررت بها مثل سجون : قسنطينة ، تازولت قرب باتنه وهو من أعظم سجون الجزائر وأفظعها ، وتسرب هذه النظم التعليمية الى بقية السجون من خلال تنقل المسجونين والأوامر بتنظيم التعليم كانت تاتينا من جيش التحرير وكان منظما في المعتقلات والسجون حيث كان رجال جمعية العلماء في كثير منها » (٩) ٠

وبذلك باشر العلماء نفس مهامهم التعليمية وسط معركة التحرير ولكن بصورة أخرى أكثر اثارة تمثلت في الدعوة الى الجهاد والحث على الكفاح حتى الحصول على الاستقلال ٠

(هـ) المسامرات (الندوات) :

والى جانب هذا النشاط التعليمي للعلماء داخل السجون ، انتشر جنود الجبهة من العلماء لبث ارشاداتهم الدينية للجنود المقاتلين ، ولمواطنيهم الذين هجروا ديارهم فرارا من عمليات القمع الفرنسية الى تونس — لمناقشة كافة الجوانب التي تتصل بقضية التحرير — فيما عرف باسم المسامرات التي قسم فيها دعاة العلماء أرض المعركة ، والمناطق القريبة منها — كالحدود الشرقية (تونس) حيث يوجد عدة آلاف من المهاجرين الجزائريين (١٠) الى عدة مناطق أعطيت لها أرقام عددية مثل المنطقة رقم ١ ، والمنطقة رقم ٢ الخ ونضرب مثلا على مسامرات المنطقة الرابعة التي تمكنا من الحصول على مذكرات الشيخ نعيم النعيمي أحد دعاة العلماء الذين أوكل اليهم جيش التحرير الوطني الجزائري المسامرات في هذه المنطقة والتي طرقت النقاط الآتية :

١ ـ أعمال الثورة وتاريخ الجزائر •

٢ ـ واجبات المناضل نحو الثورة •

٣ ـ الخلافات العنصرية وغيرها فى أوساط اللاجئين

٤ ـ التعاون بين الجزائر وتونس •

وقد كانت هذه المسامرات تحدث فى أماكن متعددة من تونس حيث يوجد عدد من اللاجئين الجزائريين ، وتحمل المذكرة اسم المكان الذى انعقدت فيه ، وتاريخ انعقادها وفترة الانعقاد ، وموضوعها ، وعدد الحاضرين سواء أكانوا من التونسيين ، والجزائريين ، وكانت هذه المسامرات تحدث فى نواحى متعددة من تونس وتمت فى : مجاز الباب باجه ، تبرسق ، منزل بورقيبه ، بنزرت ، الكريب ، طبريه ؛ الفحص ، سمنجه ، سيدى عامر وسنعطى بعض الأمثلة لهذه المسامرات•

فمثلا مسامرة مجاز الباب : تمت فى يوم الاثنين الموافق ١٩٥٩/٧/٢٠ فى بداية الساعة الحادية عشرة ، وانتهت الساعة الثانية عشرة والنصف ، وقد تمت هذه المسامرة على مسرح سينما معاوية فى تونس ، وقد طرق فيها موضوع : معركة الجزائر هى معركة المغرب العربى الكبير (١١) وقد بلغ عدد الحاضرين فيها ٤٥٠ تونسيا هذا فضلا عن خمسين جزائريا وحضرها رئيس شرطة الناحية ورئيس فرع حزب الدستور التونسى ورئيس الحرس الوطنى التونسى وبعض أعضائه ، وكذلك شيخ البلدة ، وامام المسجد ، وكان داعية جبهة التحرير الشيخ النعيمى مؤثرا فيها للغاية اذ وصف تأثير هذه المسامرة بانه قوى جدا ، بينما ذكر لنا فى مسامرات أخرى بأن تأثيرها كان قويا فقط مثل : مسامرة باجه التى عقدت بسينما ايديال يوم الثلاثاء ١٩٥٩/٧/٢١ وذلك بحضور ١٢٠ تونسيا ، ٣٥٥ جزائريا منهم ٣٣ امرأة وكان الحديث فيها نفس موضوع معركة الجزائر هى معركة المغرب الكبير كما القيت مسامرات فى أماكن أخرى ولم يتضح لنا مدى تأثيرها مثل مسامرة منزل بورقيبة التى حدثت يوم ١٩٥٩/١٢/٢٠ ابتداء من الساعة ١٥ر١٠ وانتهت الساعة الحادية عشر صباحا وطرق فيها موضوع : القضية الجزائرية وواجبنا نحوها • ولم تذكر المذكرات فيها عدد الحاضرين ولا مدى تأثيرها •

ومن خلال هذه المسامرات امتزج الدعاة العلماء بالجماهير ، وأقاموا معهم روابط قوامها البذل والتضحية ، والفداء والايمان بحتمية ضربة

الدم ، وكلها معانى دينية مستوحاة من الشريعة الاسلامية (١٢) وهذا يؤيد قولنا عن فكرة الأساس العربى والاسلامى داخل الجبهة ٠

٢ ـ الحرب النفسية الفرنسية والرد الجزائرى عليها :

واذا ما رجعنا لادوار الفرنسيين فى الدعاية المضادة التى صاحبت عمليات الحرب ضد الجزائريين ، نجد ان الدعاية الفرنســـيه بنيت تطبيقا للسياسة التى دعا اليها المؤرخ الاستعمارى ستيفان قزيل عندما طالب المستوطنين بقوله : « يجب أن يرافق كل غزو مادى غزو للنفوس » وتنفيذا لها سارع الجنرال بارلانج قائد منطقة الاوراس عام ١٩٥٥ الى تكوين جيوش من خبراء الغزو النفسيين الذين قدموا من المغرب الأقصى والهند الصينية وغيرها من المستعمرات الفرنسية ٠

وقد استخدم القسم النفسى ما يزيد عن ٢٠٠٠ ضابط « صاص » فى الأرياف وعدد آخر من الضباط المختصين فى نفس العمـــل ضـــد المدن (١٣) ، وكان من جملة الوسائل التى استخدمتها مصـــالح الحرب النفسية ملايين النشرات التى كانت توزع يوميا فيما يلى :

(أ) نشرة خاصة موجهة للطبقات الشعبية تصور فرنسا بطريقة سطحية على انها أعظم دولة فى العالم ، وتصور الجيش الفرنسى على انه أقوى جيش فى العالم والحديث عن حياة البذخ التى يعيشـــها زعماء الجبهة السياسيين فى الخارج وذلك من خلال نشرة خاصة ٠

(ب) نشرة خاصة موجهة الى المسئولين فى جيش التحرير وهى على نوعين :

١ ـ بالنسبة للمستويات العليا : تخبرها بأن الجيش الفرنسى قضى على الفرقة الفلانية فى مكان ما ، وحجز باخرة تحمل السلاح فى مكان آخر الخ ٠

٢ ـ صور النســـاء العاريات تقـــدم لجنـــود جيش التحرير والمجاهدين ، ولما كان الدعاة العلماء يصورون للجنود الجزائريين الحرب على انها جهاد ضد الكفار وعلى تحبيب الاستشهاد فى سبيل الله فان هذه الدعاية كانت لافساد المعنى الروحى فى عقيدة الجندى المقاتل ٠

٣ ـ تجنيـــد الخونه بالقوة المسلحة كذلك كانت من عمليـــات الفرنسيين محاولة ضرب القبائـــل الجزائرية بعضـــها ببعض فكانت المصلحة النفسية تعمد الى توزيع منشورات تصور رجلين أحدهما من

قبيلة (أ) والآخر من قبيلة (ب) لابســـا لباس جنود جيش التحرير مدججا بالسلاح والرجل الذى من قبيلة (أ) يصور بلباس مدنى ولكن تظهر بعناية الجراب الذى يحمله وبرميـــل الماء وكان جهـاز الحرب النفسية يرمى الى الايحاء بأن الأول جندى بطـل ، والثانى مجرد تابع ومعاون له ، والمنشورات التى توزع فى قبيلة (ب) تظهر الرجل (أ) بانه الجندى والبطل ، أما الرجل (ب) مجرد تابع له ٠

كذلك عمدت المصالح الفرنســـية الى اجبار الأسرى الجزائريين ذوى السمعة الطيبة على ركوب سيارات الجيب مع الضباط الفرنسيين والتجول بها فى شوارع المدن والقرى وذلك لتشكيك الشعب الجزائرى فى قادته وبالتالى ينفض عن تأييد الثورة (١٤) ٠

ولهذا كانت مهمـــة اللجان الســـياسية ــ التى شارك فيهـــا العلماء ــ كبيرة اذ كان عليها اعداد المجاهدين نفسيا وأخلاقيا وتوعيتهم الى حيل الجهاز النفسى الفرنسى ودسائسة وتضليله التى وصلت فى بداية الثورة الى خيانة البعض للثورة ، لذا كان لزاما على الجبهـة ان تجمع صفوف الشعب الجزائرى الى خطها الرئيسى فاطلقت صيحة الجهاد الاسلامى لتوحيد صفوف الجزائريين وتطهيرها من الخيانة بكل الوسائل كالتوعية واستغلال العامل الدينى لاثارة الحماس وتأييد مسلك الجبهـــة المطالب بقضية الاستقلال وعروبة واسلام الجزائر ٠

الفصل الرابع عشر

الجهاد الاسلامي

١ ـ مظاهر الجهاد الاسلامي :

(أ) سلوك الجزائريين وقت الحرب :

عندما أعلنت جبهة التحرير عن مبادئها التي كشفت فيهـــا عن شخصيتها العربية الاسلامية (١) فانها كانت تدرك جيدا ان هذا الاعلان سيثير حماس الشعب الجزائري الذي يجتمع دائما وراء الدين على امتداد فترات تاريخه ، وقد رأينـا كيف ان عبد القادر وحد الجزائريين تحت راية حرب الكفـار ، ومن ثم فان الجبهـة قد استغلت في البداية عامل الدين بغية توحيد الصفوف من ورائها ، وقد تمثلت مظاهر الجهاد الاسلامي في العديد من المظاهر منها :

اتخاذ ثورة أول نوفمبر « خالد ، عقبة » ككلمتي سر لها ، ولعل اتخاذها هاتين الكلمتين يدل على تأصـــل العقيدة الاسلامية في نفوس مقاتلي الجبهة ، كما اتسم سلوك الكثير من الأفراد ، بالطابع الديني ولعلنا ندرك من وراء هذه القصة المسلك الجهادي للمقاتل الجزائري ، فقد حدث ان نشبت معركة « عين الخيـان » بجبـل عريف قرب (باتنه) يوم ٣ مارس سنة ١٩٥٥ ووقف قائد المعركة واســمه موسى يرفع صوته بكلمة (الله أكبر) مما أدى الى اضطراب صفوف الفرقة المظلية الفرنسية التي كانت تقتحم الجبل ، ظنا منها ان فرقة موسى كبيرة ، وكان القائد موسى قد أمـر جنـوده بأن يخلدوا للصمت وذلك لعـدم تكافؤ القوى المحاربة الجزائرية والفرنسية من حيث المعدات ، ثم أفصح عن رغبته في الاستشهاد وكان له ما أراد •

كما استخدمت الثورة الكلمات الآتية للاتصال والتفاهم مثل : « الدين والعمل الله أكبر ، الله محمد ، الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، النظام والعمل ، خالد ، عقبة الجهاد ، والاخلاص ، محمد على ، العلم والعمل ، السيف ، والقلم ، الحرب والنصر وغيرها من الكلمات الأخرى (٢) .

كما برز طابع الثورة فى افتتاح أغلب الجلسات التى كانت تعقد باسم : الله ، والحمد لله ، ثم باسم جيش وجبهة التحرير ، كما يتضح فى انشاء مصلحة قضائية دينية تابعة لجيش التحرير فى أغلب الولايات ، وعلى كل المستويات تحمل تارة اسم مصلحة الأوقاف ، وتارة مصلحة القضاء ، وهى تقوم بحل المشاكل الدينية والاجتماعية فى أوساط الشعب ، وتنظم التعليم العربى وتراقبه ، كما انها تقوم بالوعظ الدينى والتوجيه الثورى (٣) .

كما تمثلت مظاهر الجهاد الاسلامى أيضا فى انه عند قدوم مواطن للانخراط فى جيش التحرير فانه كان يقول « أنا قادم للجهاد الذى كان يتسابق اليه المجاهدون الذين كانوا يبغون الجنة ، كما راعت القيادة العسكرية أن يؤدى جنودها الصلاة كما انتشرت روح الأخوة بين الجنود والشعب فى القرى والمداشر الجزائرية سواء فى السراء والضراء ، والدليل على ذلك أنه عندما فرض الاستعمار نظاما صارما على توزيع المواد التموينية حتى يمنع الامدادات عن جيش التحرير والتى كانت تهرب اليه عبر الجبال ، كانت العائلات الجزائرية تمونه فمثلا لو وجدت عائلة مكونة من سبعة أفراد فانهم يأخذون نصف تموينهم ويتبرعون بالنصف الآخر لجبهة التحرير (٤) .

كما فسر القادة الجزائريون الجهاد على انه : دفاع ضد العدو الفرنسى عن الوطن وعن المجتمع الجزائرى ، وعن الأخلاق الجزائرية التى هى أخلاق المجتمع الاسلامى الذى ذكرت فى الشريعة الاسلامية ، وتحرير للدين الاسلامى من رجس الصليب ، وقد نعت بعض القادة جنوده الذين يتخلفون عن أداء الصلاة « بانهم مجاهدون ناقصوا الايمان » (٥) وقد بدا خط الجهاد على حد قول القائد السابق فى قوله « ان الجبهة عندما يأتى اليها الشيوعيون ، أو الأجانب لينضموا الى صفوفها باسم طوائفهم ، فان الجبهة كانت لاتقبلهم الا بعد التخلى عن صفتهم ، والدخول فيها كمناضلين » وهذا يتناقض مع روح الجهاد الاسلامى لسبب أن المجاهد بجانب صفته كمحارب يتعين عليه أداء الواجبات

التي دعا اليها الاسلام ومنها الصلاة ، أما الذين انضموا للجبهة كمناضلين فانهم لايفهمون من أمور الدين شيئا ، بينما في موضع آخر قيل عن المجاهدين انهم أشبه بالملائكة لأن أغلبهم كان متدينا وقد أعطى لهم السلوك الديني دفعة معنوية كبيرة واحتراما بين الأوساط الشعبية (٦) التي ستعول عليها الجبهة في الاقتراع على شعبيتها وشخصيتها العربية الاسلامية في مواجهة السياسة الفرنسية من خلال دعوتها للاضراب الذي ستبرز فيه شخصية الشعب الجزائري بواسطة شيء يميز جماهيره ٠

(ب) العلم الجزائري :

بدأت جبهة التحرير الوطني الجزائري ابتداء من سنة ١٩٥٨ توزع على أفراد الشعب الجزائري مقياس رسم (٧) بكيفية تصميمات الهلال والنجمة الخماسية للعلم الجزائري ويبدو ان الجبهة أرادت بهذا التوزيع ان تنشر بين الناس كيفية صناعة العلم حتى يرفع وقت دعوة الجبهة شعبها للاضراب كتميز للشخصية الجزائرية المسلمة التي ما فتئت فرنسا حتى ذلك الوقت تنادي بأن الجزائر طبقا للمادة ٦٠ من الدستور الفرنسي ، مقاطعة فرنسية ، ولعل تعريف الجبهة بالعلم الجزائري وألوانه المتعددة يكمن من ورائه عدة معاني : فلونه الأبيض يعبر عن السلم والأمن ، ولونه الأخضر يعبر عن الرزق ، ولونه الأحمر يعبر عن الدم (٨) ، أما الهلال فيرمز الى القومية العربية أما النجمة فهي تشير الى أركان الاسلام الخمسة (٩) ٠

لقد استطاعت جبهة التحرير بواسطة (فريق العلماء) من جنودها تعميق الوعي الديني بين الناس والجنود عن طريق انشائها : مدارس التعليم العربي الجديدة في المناطق المحررة واعتبار حرب التحرير جهادا اسلاميا ضد الفرنسيين ، ومن هنا كان التأييد الشعبي لها يزداد لاسيما بعد تطهير الخونة المندسين بين أوساط الشعب والتي أصدرت جمعية العلماء فتوى بكفر المتعاونين مع الاستعمار (١٠) والرد على دعاية الاستعمار وتصوير الحرب التي يقوم بها جيش وجبهة التحرير على انها حركة جهاد اسلامي ومن مظاهر ذلك ان السيدة التي كانت يأتيها نبأ وفاة زوجها أو ابنها كانت تلبس البياض وتزغرد فرحا باستشهادهم (١١) وتأتيها النساء الجزائريات ليهنئانها بأن من عائلتها شهيد وترد عليهن السيدة العاقبة عندكن انشاء الله ، وكانت اذا سئلت من يبقى لك ؟ أجابت الله يبقى لنا (١٢) ٠

وكما ذكرنا عن حظوة المجاهدين المصلين الأثيرة لدى الأوساط الشعبية فان هؤلاء راعوا فى صلواتهم فى الميدان اليقظة فكانت فرقة من فرق الجيش تؤدى الصلاة وكانت فرقة أخرى تحرسها (١٣) طبقا لقواعد صلاة الحرب التى نص عليها الدين الاسلامى ، لقد كان مسلك الجزائريين أثناء الثورة ، يسير وفق تفسير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجهاد الاسلامى بأنه الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا فمن جاهد لتحرير أمة مسلمة ، وطرد العدو من وطن اسلامى فهو مجاهد فى سبيل الله ، والهبات الجزائرية التى قامت عبر التاريخ لدليل على الرغبة الاستقلالية لديهم ، ومنها ثورة الفاتح من نوفمبر التى وعت دروس التاريخ الجزائرى ، وعوامل فشل الهبات السابقة وحاولت ألا تقع فيها ، اذ استغلت عامل الدين كوسيلة لتوحيد صفوف الأمة ، يدلنا على ذلك ثمة شواهد منها :

اطلاق اسم المجاهدين على الجنود ، وأيضا نفس اسم المجاهد على الجريدة التى كانت تتحدث باسم الثورة ، وكذلك أطلقت الجبهة على رجال الاتصال بين وحداتها اسم المسبلين الذين يعملون فى سبيل الله ، وكان فريق العلماء (الدعاة) يفسر هذا للشعب من خلال الدروس ، والمحاضرات ، والاتصالات ، بل ومن خلال الاذاعة الاستعمارية نفسها اذا كان المقرئون يرتلون الآيات القرآنية التى تحض على الجهاد الاسلامى (١٤) ويطلقون النكات التى ترمى الى توحيد الصفوف والدعوة الى الثورة المسلحة فى كافة أنحاء التراب الجزائرى ومن ذلك أن راديو الجزائر أذاع « أن رجلا طلب من أبيه أن يزوجه فقال له اخطب لى فتاة من عمالة قسنطينة أو الجزائر فاجابه أبوه فى قسنطينة كلهم رجال ولا توجد امرأة ، أما فى الجزائر فالرجال مساوون للنساء ولا فضل لك ، واذا أردت أن تخطب فاذهب الى وهران فكلهم نساء وكان لهذه النكتة دوى عظيم ، اذ ثارت عمالة وهران كأعنف ما تكون الثورة بعد أن تأخرت فى البداية بعض الشىء (١٥) .

واذا كانت الجبهة قد تبنت طرح دعوة الجهاد الاسلامى على الصعيد الجزائرى ونالت التأييد الشعبى فانها كانت تعد القوة المسلحة لقتال عدوها الفرنسى امتثالا للآية القرآنية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (١٦) ومن ثم فان الجبهة أخذت فى تذليل المشاكل العسكرية التى واجهتها فى البداية .

٢ ـ المشاكل العسكرية التى واجهت الثورة :

تتلخص هذه المشاكل فيما يأتى :

(أ) مشكلة التسليح .

(ب) مشكلة التنظيم العسكرى ·

وهما مشكلتان واجهت الثورة من البداية ، هذا بالاضافة الى عدم كفاية التوعية السياسية ، لذا كانت فكرة انعقــاد مؤتمر قومي لبحث المشكلات التي تصادفها الثورة الحل الوحيد لتذليل كافة العقبات التي طرحت على بساط البحث فيما بعد في مؤتمر وادى الصمام ، الذي عقد في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ (١٧) ·

(أ) مشكلة التسليح :

مهد الدكتور حسن أبو السعود الاستاذ بكلية الحقــوق جامعة الاسكندرية ومستشار جامعة الدول العربية لاجتماع بين الرئيس جمال عبد الناصر وعلال الفاسى وقد أتاح هذا اللقاء لعبد الناصر الاطلاع على أوضـاع المغرب بصفة عامة ، مما حدا بعبد الناصر أن يزيد في تأييده للحركات الوطنية فى شمال افريقيا بصفة عامة ، فوضع تحت تصرفها عبد المنعم نجار مساعد الملحق العسكرى المصرى في مدريد ، واسـماعيل صادق الملحق العسكرى المصرى فى طرابلس ، وأثمرت أول النتائج عن نجاح بن بله في جمع أسلحة الجيش الثامن البريطاني التي كانت مخزونة في ليبيا منذ أيام الحرب العالمية الثانية ، ومن أجل تحسـين الاتصالات سـافر مصطفى بلعيد من الجزائر الى طرابلس حيث التقى بين بله الذى عاد من مراكش للتعرف على احتياجات المقاومة الجزائرية من الأسلحة واتصل بن بله بعبد العزيز شوشان منـدوب المقـاومة التونسية فى طرابلس واشترى منه كمية من الأسلحة ، وقد تمكن بن بله من شحن هذه الأسلحة على يخت الملكة دينا الى ناضور في المغرب الاسبانية فى ذلك الوقت ، وجنح اليخت فى النهاية الى خليج صغير ، وعند هبوط الليل نقلت منه الأسلحة وتمكن العربى بن مهيدى من نقل الأسلحة كلها الى الولاية الخامسة حيث أدت فيما بعد دورا رئيسيا فى العمليات التى جرت هناك (١٨) ولما أصـبح الاستقلال المغربى محتوما على اثر نجاح المقاومة المغربية ، وعودة السلطان محمد الخامس الى عرشه فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، لم يتردد الدكتور حافظ ابراهيم في وضع الأسلحة المغربية تحت تصرف المقاومة الجزائرية ، وأنشيء للجبهــة مكتب جديد فى الرباط الى جانب المكاتب الاخرى فى تطوان ، وناضور ووجـده ، وكانت هذه المكاتب تعمــل تحت اشراف بوضياف ·

وقد تمخض اللقاء الأول بين عبد الناصر وبن بله والذى تم في يونيو ١٩٥٦ عن وعد مصر بامداد الثورة الجزائرية بالأسلحة ، وبالفعل غادرت

الاسكندرية المركب آتوس في صباح ٣ أكتوبر ١٩٥٦ في طريقهـا الى ناضور حيث اكتشفها رادار الطائرات البرمائية الفرنسية (١٩) ٠

وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وصل بعض زعماء من الجبهة مثـل حسين آيت أحمد وخيضر ليشرحا للملك محمد الخامس موقف الجبهة عشية انعقاد المؤتمر المغـربي ، ولحق بهم بن بله في ٢٠ أكتوبر سـنة ١٩٥٦ واجتمع بالدكتور حافظ ابراهيم ، ومحمد يوسف من زعماء المقـاومة المغربية ، واجتمع الوفـد الجزائري الذى كان يضـم : خيضر ، وآيت أحمد ، وبوضياف ، ومصطفى الأشرف بالملك محمـد الخامس الذى أكد تعاونه مع الجبهة وعرض عليهم المشاركة في مؤتمر تونس فوافق الوفد حتى يتاح لهم فرصة اعلان استمرار الكفاح المسلح حتى الاستقلال ، وقد وضع الملك محمد الخامس ، تحت تصرفهم طائرة مغربية للانتقال الى المؤتمر الا أن المقاتلات الفرنسية تعقبتها وأرغمتها على الهبوط في مدينة الجزائر في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ واقتيد الزعماء الخمسة الى السجن (٢٠) ٠

أصبح بوصوف بعد حادث الطائرة المغربية مسئول الجبهة في المغرب وشرع في الاتصال بالدكتور حافظ ابراهيم والخطيب من زعماء المقاومة المغربية وقرر الملك محمد الخامس الرد على الاهانة الفرنسية بمضاعفـة مساعداته للجبهة فسلم زعماء المقاومة المغربية للقـادة الجزائريين ٢٥٠ مليون فرنك لشراء أسلحة جديدة كما سلم المسئولين المغاربة مبالغ مالية للقادة الجزائريين لدعم شبكات شراء الأسلحة من مدريد ، كما واصـل قادة المقاومة المغربية كالدكتور الخطيب دعمه الفعال للمقاومة حتى الاستقلال وقدم الأمير الحسن ولى العهـد المغربي وقتذاك الأسلحة مباشرة للحركة الوطنية الجزائرية من مخازن الجيش المغربي (٢١) وبذلك أمكن حـل مشكلة التسليح ٠

(ب) مشكلة التنظيم العسكرى :

قسم جيش التحرير الوطني الجزائري الجزائر التي تبلغ مساحتها ٨٨٤ر٢٠٤ر٢ كم٢ الى ست ولايات هي : الولاية الاولى وتشمل منطقـة الاوراس ، الولاية الثانية وتشمل الشمال القسنطيني ، الولاية الثالثة وتشمل بلاد القبائل ، الولاية الرابعة وتشمل العاصمة والونشريش ، الولاية الخامسة وتشمل وهران ، الولاية السادسة وتشمل الصـحراء الكبرى ٠

والولاية بدورها تنقسم الى عدة مناطق حسب مساحة الأرض وكثافة السكان ، والمناطق بدورها تنقسم الى نواح ، والنواحي الى أقسام ويدير

الولاية على المستوى العسكرى والسياسى والتنظيمى عقيد عسكرى سياسى يساعده ثلاثة رواد أحدهم للشئون العسكرية والثانى للشئون السياسية والثالث للشئون الاخبارية ٠

ويسير المنطقة مجلس المنطقة بقيادة نقيب ويعاونه ثلاثة ملازمين أوائل يتبعون نفس التنظيم الموجود فى الولاية ثم الناحية ثم القسم (٢٢) كما دخلت عدة اصطلاحات جديدة فى قاموس الثورة كالمجاهد والنظام والشيخ ، والادارة ، والمسئول وكلها اصطلاحات أخذت صيغة التمويه حتى يصعب على العدو الفرنسى الاطلاع على سر الثورة (٢٣) كما كان المفوضون السياسيون وأغلبهم من العلماء والمثقفون يقومون بتنظيم الشعب وتثقيفه وبث الدعاية فى أوساطه وتوجيهه واظهار العناية بالأقلية الأوربية ومساجين الحرب (٢٤) وكانوا يحملون نفس الرتب العسكرية التى تكون لضباط القيادة التابعين لها ٠

ويرأس كل مركز قيادة رئيس سياسى عسكرى يمثل السلطة المركزية كجبهة التحرير ويعاونه ثلاثة نواب يشرفون على الفروع التالية : الفرع العسكرى ، الفرع السياسى، فرع المعلومات والمواصلات كما حددت الوحدات العسكرية فى مؤتمر الصمام بأحد عشر جنديا من بينهم عريف واحد وجنديان أولان ويشتمل نصف الفوج على خمسة جنود من بينهم جندى أول وتتكون الفرقة من خمسة وثلاثين جنديا مع رئيس الفرقة ونائبه ثلاثة أفواج وتتكون الكتيبة من مائة وعشرة جنود ومع كل خمسى رتب يوجد ثلاث فرق ويتكون الفيلق من ثلاثمائة وخمسين رجلا (٢٥) ٠

وأوصى مؤتمر وادى الصمام أيضا بأن تضع كل ولاية غطاء الرأس الخاص بها ويثبت عليها نجمة وهلال أحمر كما أوكل المؤتمر صناعة الأوسمة للولاية الثالثة وكان من سلطة لجنة التنسيق والتنفيذ تعيين الضباط أو نزع رتبهم وذلك بعد استماعها الى اقتراحات قادة الولاية ويدخل فى اختصاص قائد الولاية تعيين نواب الضباط أو نزع رتبهم كما يأمر قائد المنطقة بتعيين الجندى الأول أو نزع رتبته (٢٦) كما اتخذت القيادة العامة لجيش التحرير اللون الكاكى كزى موحد لجنودها ٠

وقد اكتسب معظم المجاهدين خبرات قتالية نتيجة اشتراكهم فى معارك الحرب العالمية الثانية ، وحرب الهند الصينية كجنود خدموا فى صفوف الخدمة العسكرية الفرنسية وعندما سئم هؤلاء الخدمة العسكرية الفرنسية ، وعندما نادى داعى الجهاد المقدس انضموا الى مواطنيهم فى الجهاد ضد المستعمر الفرنسى ٠

وبعد تذليل مشكلة التسليح ، ومشكلة التنظيم العسكرى أصبح جيش التحرير الوطنى الجزائرى يعمل على ضوء المبادىء الآتية :

مواصلة الكفاح ضد الاستقلال الكامل ، مواصلة القضاء على قوات العدو والاستيلاء على أكبر قدر من سلاحها ، مضاعفة القوة المادية والمعنوية لوحدات جيش التحرير ، تطبيق سياسة الحركة السريعة فى العمليات مع التفرق ثم التجمع والعودة الى الهجوم ، كفالة الاتصال الوثيق بين مراكز القيادة والوحدات المجاهدة ، تقوية شبكة المخابرات داخل صفوف العدو بين الشعب ، تقوية نفوذ جبهة التحرير على الشعب ، وقد سبقت الاشارة الى هذه النقطة من قبل من أن الجبهة اضطرت الى ممارسة الارهاب حتى تصفى الخونة ، وتعود الشعب الجزائرى — الذى ضللته الدعاية الفرنسية — على النظام وبعد أن تعود على الوضع الجديد ، أصبح الشعب مطيعا لأوامر الجبهة ، تنمية روح الاخاء والتضحية والعمل الجماعى بين المجاهدين ، الالتزام بمبادىء الاسلام وهذا يؤكد الخط العربى الاسلامى الذى سارت عليه الجبهة ، احترام القوانين الدولية فى القضاء على قوات العدو (٢٧) .

٣ — عمليات جيش التحرير الوطنى الجزائرى :

قسم جيش التحرير الوطنى الجزائرى العمليات العسكرية التى جرت على أرضه الى ثلاث أنواع هى :

(أ) معارك حربية نشطة تقع بصفة منتظمة بين المجاهدين — اذا ما أرادوا مهاجمة موقع فرنسى وتحطيمه ، أو قتل حامية فرنسية أو أسرها ، والاستيلاء على سلاحها — وبين الفرنسيين اذا هاجموا موقعا للمجاهدين أو اجتازوا طريقا يكمن فيه المجاهدون .

(ب) عمليات عسكرية داخل المدن والقرى الكبيرة التى يحتلها الفرنسيون وتستهدف الجند ، وكبار المستعمرين ، والخونة المحكوم عليهم بالاعدام من قبل محاكم الثورة الجزائرية ، والمراكز الحكومية ، ونزع سلاح التكنات الفرنسية وحرق المدارس الحكومية فى المدن والقرى التى يتخذها الجند الفرنسى كثكنات لهم بحيث أصبح الأوروبيون من سكان المدن والقرى الجزائرية فى حالة ذعر وخوف شديدين وقد قامت هذه العمليات ردا على عمليات قتل وتعذيب الجزائريين من قبل الأوربيين ، مما حدا بجبهة التحرير الى امطار المصالح الفرنسية والأوربية بوابل من القنابل التى استعملت لأول مرة كوسيلة مباشرة للكفاح وذلك بواسطة شبكة القنابل — التى كانت تضم عددا من الورش — التى استهدفت مراكز الشرطة والسيارات العسكرية وأعمدة الكهرباء والسيارات الواقفة ، الملاعب (٢٨) .

(جـ) ان محاربة الاستعمار لا تقتصر على الميدان الحربى فحسب بل تمتد الى الميدان الاقتصادى ، فالمجاهدون فى كل جبهة من جبهات الثورة قد خربوا الثـــروة الاســـتعمارية وحطموا أغلب المزارع وأحرقوا أكثر المزروعات وقطعوا أشجار الكروم والعنب التى هى منبع ثروة الاستعمار مما اضطر أكثر المستعمرين فى الداخل للالتجاء الى المدن تاركين القـــرى والمزارع المحطمة للمجاهدين (٢٩) ومع تطور أحداث الثـــورة الجزائرية تزايدت أعداد جيش التحرير الوطنى الجزائرى أمام القوة المعادية له والتى تملك امكانيات متزايدة وقد أعد أحد الضباط الفرنسيين دراسة عن الوضع العسكرى فى الجزائر نشرها فى مجلة النقد الجديد الفرنسية ، ونشرتها كذلك جريدة المجاهد تحت عنوان ضعف الجيش الفرنسى وقوة جيش التحرير فى العدد ٨٩ ، فبراير ١٩٦١ وتناولت هذه الدراســـة تقسيمات جيش التحرير الوطنى الجزائرى الى ثلاثة أجزاء هى : القوة الاحتياطية العـــامة وتقع على حدود تونس ومراكش وقواتها تناهز ٥٠ ألف رجل ، قوات جيش التحرير الوطنى داخل الجزائر ٣٠ ألف رجل ، ٢٠٠ ألف رجل جزائرى داخل الجيش الفرنسى .

ونخلص من هذه الدراسة الى عدد القوات الجزائرية وهو ٨٠ ألف جندى هذا بالاضافة الى ٢٠٠ ألف جندى يعملون فى صفوف الخــــدمة العسكرية الفرنسية ونداء توجهه الجبهة الى القوة الأخيرة يعنى ترك هؤلاء الخدمة فى صفوف الجندية الفرنسية أو اللجوء الى الهرب ، وان هـــذه القوات قد حشدتها الثورة فى مواجهة العدو الفرنسى الذى اهتمت قيادته بهذه القوات الجزائرية كقوة خصم مواجه له فى ميدان القتال وقد ذكر أحد القادة الفرنسيين وهو الجنرال ماسو Massu قائد الفرقة العاشرة المظلية (٣٠) .

« ان جيش الثورة يقاتل كالأشـــباح وهو موجـــود فى كل مكان يتبع خطواتنا حيث اتجهنا ، ويهاجمنا من حيث لاندرى وحيث نستقر ، فهو يعرف حسب خططه غالبـــا متى يهاجم ، ومتى ينسحب للايقاع بنا وقد استطاع هذا الجيش الخفى أن يتنقل بسرعة مدهشــــة لم تدرك خفـــاياها حتى الآن مـــن حـــرب العصـــــابات الصغيرة المبعثرة الى مستوى الحرب الحقيقية المنظمـــة وأجـــاد بشـــكل سريع عجيب الأساليب التى جربت سابقـــا فى ثـــورات أخـــرى ضـــد القوات الأجنبية وزاد عليهـــا أساليبه العـــادية الخاصـــــة وطبقها تطبيقـــا منظما قويا ومما زاد فى قواته وتنظيماته وسرعة تنقل قواته الضـــباط والجنود العرب الذين فروا من قواتنا بجميع أسلحتهم وتجاربهم الكثيرة فى حروب الهند الصينية وكوريا وتونس ، ومن هذا يتضح أن الثـــوار

الجزائريين قد زودوا الثورة ببضع مئات من المقاتلين وأن هذه القوة اذا ما قورنت بالعدو الفرنسي بامكانياته الكبيرة لا تكاد تذكر وحتى تتغلب هذه القوات على قلتها العددية نشطت مخابراتها لرصد تحركات الفرنسيين وابلاغ الجماعات المقاتلة عنها حتى تنصب لها الكمائن المناسبة لتدميرها أو الانسحاب اذا ما أحست بتفوق العدو عليها في العدد والعدة . وأن أسلوب هذه الجماعات الصغيرة المبعثرة قد طرأ عليه تحسن كبير مرده الخبرة العظيمة التي اكتسبها الضباط والجنود الجزائريين الذين خاضوا غمار حروب الهند الصينية وكوريا وتونس تحت الراية الفرنسية ثم دفعتهم الوطنية للانضمام الى اخوانهم المجاهدين الجزائريين (٣١) .

ويضم الجيش الجزائري ثلاثة أنواع من المتطوعين المجاهدين أى الذين يقاتلون في سبيل الحرية أو العقيدة ، والمسبلين ، والمحاربون في المدن والمجاهدون هم الجيش النظامي الذي يحتل مواقعه الثابتة المنيعة بالجبال ما بين الحدود الشرقية والغربية ، حيث تدور المعارك بين الجند الجزائري والجند الفرنسي ليل نهار .

أما المحاربون في المدن فهم جهاز المقاومة السرية الذي يعمل داخل المدن والقرى ويخضع لقيادة جيش التحرير العليا ، ويقوم بابلاغ قيادة جيش التحرير عن تحركات العدو في المدن والقرى ، نسف الأهداف العسكرية والاستراتيجيه للعدو ، تصفية الخونه والعملاء ، تحطيم الروح المعنوية للعدو ، ويستخدم أفراده وسيلتين هما : المنشورات التي يوضحون فيها للجنود الفرنسيين أنهم حملوا السلاح للدفاع عن سيادة الجزائر ويسوقون أمثلة من دفاع الفرنسيين ضد الحكم الاجنبي أبان الحرب العالمية الثانية ، مباغتة الثكنات ومراكز الحراسة الفرنسية والانسحاب بسرعه وخفة مذهلتين تزيدان في التوتر العصبي عند الجنود ، وتقوم المقاومة السرية أيضا بجمع التبرعات والمساعدات العينية من الشعب الجزائري وتوصيلها الى جيش التحرير (٣٢) .

ويجيش التحرير الوطني الجزائري شرطة عسكرية ، وهي أكثر أجهزة الجيش نشاطا ويمتد نشاطها الى خارج الميدان حيث يقوم رجالها بحفظ الأمن في الجهات التي يسيطر عليها الجيش ، كما يقومون بتنفيذ قوانين وأوامر الجيش بين المدنيين في جميع أنحاء الجزائر بما فيها المدن التي تقع تحت سيطرة الفرنسيين ، كما يقوم رجال الشرطة العسكرية أيضا بتنفيذ أحكام المنازعات المدنية بين الوطنيين والتي يحكم فيها قضاة عسكريون جزائريون .

ويوجد على الحدود الجزائرية التونسيه قيادة مهمتها ضمان مراقبة الحدود ، وتنفيذ أوامر القيادة ، ضمان أرسال الوحدات والمعدات ، اعطاء

التعليمات للوحدات المـــراد حمايتها فى حالة هجوم الفرنسيين (٣٣) ، وقد وزعت تلك القيادة على خمسة مراكز للتدريب هى : مدرسة مليق ، ومدرسة قرن الحلفايا ، ومدرسة بيرانو ، ومدرسة الحراقين ومدرسة وادى مليز ، وقد قامت هذه المدارس بتدريب أكثر من ثلاثة آلاف مجاهد (٣٤) •

٤ ـ الخدمات التى قدمها جيش التحرير :

قدم الجيش الجزائرى فى سنة ١٩٥٧ خدمات كثيره تتعلق بالنواحى الصحية والاجتماعية الخاصة بضحايا الحرب الجزائرية وعائلاتهم ، والاعلام والتعليم الذى سبق الاشارة اليه وتقوم مصالح الصحة بالعناية بصحة الجنود والشعب كما تعتنى بحالة الشعب الصحية ، وبمساعدة القرى التى اضيرت بالعدوان الفرنسى عليها ، وتمتد خدمات مصالح الصحة الى الولايات الستة فى صورة مستشفيات خاصة بالأهالى ، وأخرى خاصة بالجنود (٣٥) فيما عرف باسم المستشفيات التى برزت كضرورة أمام تزايد جرحى ومرضى معارك الحرب الجزائرية الذين صعب نقلهم بسبب الاخطار التى كانوا يتعرضون لها هم ورفاقهم لذلك رأى مســـئولى جيش التحرير ضرورة بناء هذه المستشفيات التى روعى فيها السرية التامة بحيث ان كل حاجيات هذه المستشفيات من مؤن وأدوية كانت تتوقف بعيدا عنها ، وفى أماكن يحددها الجنود الآخرين مسئولو هذه المستشفيات ، وقد سرى هـذا النظام على جميع المجاهدين ابتداء من الجندى البسيط حتى القائد الكبير فمثلا حدث ان جرح أحد القادة وهو عمر ادريس ونقل الى احدى هذه المستشفيات ، ولما حاول أحد مساعديه ـ المكلفين بابلاغه التعليمات والرسائل (البريد) ـ الاتصال به منع ، ولم يعترض هذا القائد الجريح على هذا النظام الأمنى •

وتنقسم هذه المستشفيات السرية الى نوعين : مستشفيات المناطق الجبلية ، ومستشفيات المناطق الرمليه •

(أ) مستشفيات المناطق الجبليه :

وقد روعى فى انشاء هذه المستشفيات أن تكون فى المناطق الجبلية التى تكون كل مجموعة منها مستشفى لايزيد عمقه عن ثلاثة أمتار وعلوه عن متر ونصف، ويتناوب على حراسة هذه المستشفيات نوعان من الحراسة : حراسة مباشرة تتمثل فى عدد من الجنود المتناوبين على حمـــايتهم قرب المداخل ، حراسة غير مباشرة تتمثل فى قيام جنديين أو ثلاثة بمسح الأرض أو السماء بواسطة منظار قوى عسكرى لرصد أى أهداف فرنسية معادية ،والابلاغ عنها للافلات بالمرضى بين الشعاب من أى حصار قد يضرب فقد حدث أن ذكر سى مختار المسئول العسكرى والادارى عن المستشفيات

السرية (٣٦) في جبال بني سليمان على بعد ٦٠ كيلومترا من مدينة بوسعاده – وقت حرب التحرير : « صحونا ذات صباح لنجد أنفسنا وسط كمين كبير ، لم تضق بعد حلقاته لتطبق علينا ، لكنها في نفس الوقت تمنعنا من التسلل بينها ، وحتى لا يقضى علينا داخل المستشفى خرجنا جميعا على شكل كتيبة واتخذنا مسار العدو ، بحيث أن السابقين من جند الاستعمار اعتبرونا رفاقهم الذين يأتون بعدهم ، وهؤلاء ظنوا أننا السابقون من الجند وفي نهاية المطاف وجدنا أنفسنا على مقربة من سيارات العدو الناقلة ، فما كان منا الا أن غيرنا الاتجاه مستعينين بالشعاب الكثيرة ، ونجونا بأعجوبة .

ويتكون المستشفى عادة من المخابيء التالية :

١ – مخبأ المؤونة والألبسة وفيه توضع كمية محددة من الطعام والشراب والملابس الخاصة بالمرضى والحراس .

٢ – المطبخ .

٣ – مغارة المرضى المصابين اصابات معجزة .

٤ – مغارة للمرضى الذين يمكنهم التحرك والهرب وقت الحاجة .

٥ – مغارة جند الحراسة ، هذا علاوة على كوتين : كوة صغيرة حفرت بحيث ان المصباح الذي يوضع فيها ليلا لا تبدو شعلته من الخارج . أما الفتحة التي توضع فيها المدخنة فقد كانت تؤدى وظيفتين : تجديد هواء المخبأ واضاءته .

(ب) مستشفيات المناطق الرملية :

شيد هذا النمط من المستشفيات في المناطق التي يكثر فيها العقارب والثعابين وعلى أرض منبسطة قليلة الأعشاب في مركز سيف الزيار ، وخالة الثعوبة جهة بوسعادة ويتميز المستشفى في هذه الجهات بوجود خمسة فتحات له تتمثل في المداخل والهوائي وتجديد الهواء ، ويتسع مخبأ المستشفى الواحد لايواء ١٠٠ جندي بسهولة مما يبرز أمام المشرفين على هذه المستشفيات عامل صعوبة التموين ، وبصفة خاصة مشكلة شرب الماء ، مما دعا الى حفر بئر لا يزيد عمقها على ١٠ أمتار بجانب كل مستشفى من هذه المستشفيات وقد حدد خير الدين المسئول الأعلى عن هذه المستشفيات نظام العمل في هذه المستشفيات ، وواجبات وسلوك

الممرضين ازاء المرضى الجرحى ، كما استغل أوقات فراغهم فى تدريبهم على فنون التمريض وجبر العظام المكسورة (٣٧) ·

وبجانب هذه المستشفيات استعانت مصالح الصحة بالأطباء من مختلف التخصصات وبالممرضين وذلك في القاعدة الشرقية (تونس) حيث الأمان والاستقرار فى دولة مستقلة فمثلا الأطباء : تيجانى هدام كان مختصصا للجراحة العامة ، وبشير المنتورى كان للأمراض العامة ، وعبد الوهاب للرأس ومحمد دردور (٣٨) للأسنان وكان الأخير يقوم بمعالجة الأسنان وخلع الضروس ، كما كان يدرب أفراد القسم الطبى فى الجيش على طريقة علاج الأسنان ، وأشرف على أقسام الأسنان بمراكز جيش التحرير الجزائرى فى : باجه ، جندوبة ، غار الدماء ، ساقية سيدى يوسف ، تاج روين ، شتاته ، عين سلطان ، عين دراهم وقد استعمل فى خلع أسنان المجاهدين الكلاب (آلة لخلع الضروس) البنج ، وكان يضع مكان الضرس المخلوع قطنة محروقة حتى لا ينزف الجرح ثم يضع على مكان الضرس المخلوع بودرة التيتراكايين ، ثم الأكسجين لتنظيف الأسنان ·

وقد مارس بعض هؤلاء الأطباء السياسة الى جانب عملهم كأطباء ، فتيجانى هدام كلف بمهام اشرافية بالتنسيق مع أجهزة المخابرات المصرية مثل اشرافه على ترحيل شحنةالسلاح التى كانت على ظهر المركب آثوس(٣٩)، وكذلك الطبيب محمد دردور وكان يقيم بفيلا كمال رقم ١٩ شارع أبو القاسم الشابى بتونس ، وتردد على هذه الفيلا بعض زعامات الثورة الجزائرية بما فيهم الرئيس هوارى بومدين الذى تعرف على الطبيب عن طريق عبد الحفيظ بوصوف ·

كما استعان المجاهدون فى المدن الجزائرية بالأطباء والممرضات الذين تمرسوا على فن التمريض فى اجراء العمليات الجراحية لجرحى المعارك فمثلا فى عنابه « أجبروا احدى الممرضات التى كانت تسكن فى رأس الحمراء (عين عشير باحدى ضواحى عنابة) على الصعود للجبل لعلاج جريح كان فى حال سيئة تستوجب بتر ساقه ، وقد استعملت الممرضة وسائل بدائية فى بترها على حد قولها (٤٠) سكين مطبخ ، ووضعت على رجله الكحول والشاش ثم أعطت له حقنة لوقف النزيف ، وحقنة أخرى لتقوية قلبه ، كما استخدمت شوشه وهذا اسمها الحركى وقت الثورة بعض الوسائل البدائية لعلاج جرحى المجاهدين مثل : البانس (جفت) ، بستورى (آلة لتوسيع الجرح كى تستخرج منه الرصاصة) وشاش ممزوج بالأثير لتنظيف الجراح ، كما استخدمت الطماطم التى كانت تضعها على الجرح مدة معينة فتوضح مكان الرصاصة التى كانت تستخرج بالبانس ثم تشل بالبستورى كما كلفت هذه الممرضة بشراء تموين المجاهدين من

الطعام ، ومن القنابل التي كانت تجلب من مخازن الجيش الفرنسي بعنابه عن طريق جزائرية أخرى كانت تخدم داخل المعسكرات الفرنسية ، وكانت دارها مقرا لالتقاء المجاهدين الذين كانت تسمح لهم بالدخول عند ذكرهم كلمات سر متفق عليها كانت تتبدل دائما ٠

وتتبين من ذلك أن مصلحة الصحة مدت نشاطها الى كافة أنحـــاء الولايات الجزائرية سواء عن طريق أجهزة متكاملة كمستشفيات المناطق الحصينة التي تقع في الجهات الجبليـــة والرملية ناحية بوســـعادة ، أو مستشفيات القاعدة الشرقية حيث الأمان والاستقرار في دولة مستقلة كتونس ، أو داخل المدن حيث تتركز مظاهر السلطة الاستعمارية ، وحيث تبحث الجبهة عن الأعوان المخلصين وقد رأينـــا كيف أن بعض الأعوان كالممرضة زليخـــة قد ضللت السلطة الاستعمارية الى درجـــة الاقامة بين المستوطنين وانتقاد الجبهـــة أمامهم حتى تبعـــد أي ريبـــة قد تحـــوم حولها ، في حين أنها مارست عملها ، وآوت مواطنيها وسمحت لهم بالتردد على منزلها بعد ذكرهم كلمة السر المتفق عليها ايمانا منها كعربية مسلمة في معركة الجهاد ويجب عليها مساعدة أبناء جلدتها ضد أعداء دينها حتى النصر ٠

الباب السادس

انتصار الاتجاه العربى الاسلامى

ثمة عوامل ساعدت على نجاح الخط العربي والاسلامي الذي تسود الثورة الجزائرية فرغم أن الثورة قد مارست نشاطها على المحاور الافريقية والدولية ، والعربية ، وكلها ساهمت في تحقيق الاستقلال ، الا أنه عند تقييم أدوار هذه المحاور نجد أن المحور العربي لعب دورا بارزا ، ذلك أن الاتجاه الذي قاد الثورة كان الاتجاه العربي الاسلامي الذي استغل عدة عوامل في قضية التحرير منها : العروبة ، الاسلام ، وقد دفعت هذه العوامل بدول المشرق الى أن تتحرك لتساند قضية التحرير الجزائرية سياسيا وماديا وعسكريا كما قدرت لها الجبهة ذلك ، وقد نوهت الجبهة بذلك في بيانها الأول الذي نشر عقب أحداث الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، ومما قالته في هذا الصدد « ستجد قضيتنا سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف اخوتنا العرب والمسلمين (١) مما يقطع بتسود الاتجاه العربي الذي دفع بقضية الاستقلال دفعة قوية ، وكان السلوك العربي ملتزما بمعاونة الثورة الجزائرية ماديا بالمال والسلاح ، والتأييد الدبلوماسي (٢) في المحافل الدولية مما ساعد في النهاية على انتصار الخط العربي والاسلامي الذي تسيد الثورة الجزائرية .

الفصل الخامس عشر

العلاقات مع الدول العربية

نالت الثورة الجزائرية التأييد المطلق من كافة الدول العربية ، التى لم تسلم من الدعاية الفرنسية المضادة التى حشدت قواها للنيل من العالم العربى ، كما وصفت الجامعة العربية بأنها مندفعة لمساعدة الجزائر باسم الوطنية والدين والحرية (١) ، وفى الأعوام الأولى للثورة الجزائرية لم تكن لدى الدول العربية معلومات تفصيلية عن الثورة ، الا أنه بعد انشاء البعثة الخارجية لجبهة التحرير أصبح فى وسع البلاد العربية الأخرى الوقوف على تفاصيل أحداث الثورة (٢) غير أن العلاقات مع الدول العربية يجدر بنا أن نتعرض فيها الى عدة عوامل منها :

١ ـ موقف الجامعة العربية من الثورة الجزائرية ٠

٢ ـ علاقة الثورة الجزائرية بالدول العربية واعتراف الدول العربية بالحكومة المؤقتة ٠

اولا ـ موقف الجامعة العربية من الثورة الجزائرية :

(أ) قبل قيام الثورة الجزائرية رسميا ، قرر مجلس جامعة الدول العربية فى اجتماعه المنعقد بجلسة ١٩/١١/١٩٥٣ انشاء صندوق لقضايا شمال أفريقيا لتأييد أبناء هذا الجزء من الوطن العربى ، كما خصصت الجامعة العربيـــة ، لجنة فرعية لوضع قواعد الصرف وأنشأت الى جانبها هيئة ضمت ممثلين لجميع هيئات المغرب العربى ، وذلك لتحقيق أهداف هذا الصندوق ٠ وفى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٤ أحاط مجلس الجامعة العربية الحكومات العربية علما بأن المساهمة فى هذا المشروع(٣) ٠ وفى اجتماعى ١ ، ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤ للجنة السياسية لجامعة الدول العربية حظيت القضية الجزائرية بالتأييد (٤) ٠

وبعد قيام الثورة بعثت جامعة الدول العربية ببرقية الى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٥٥/٦/١٣ طالبة منه التدخل – على اثر الرد الفرنسي على نشاط الثوار الجزائريين – لايقاف أساليب القمع الفرنسية ، كما أوضحت الجامعة العربية للأمم المتحدة النتائج الوخيمة لسياسة فرنسا في شمال افريقيا ، كما أرسلت بمذكرات نبهت فيها الى خطورة الحالة في الجزائر ، والمراحل التى مرت بها القضية الجزائرية الى سفارات ومفوضيات الدول التى اشتركت فى مؤتمر باندونج (٥) والتى لها سفارات بالقاهرة والى سفارات دول حلف الأطلنطى بالقاهرة كما كلفت الجامعة العربية مندوبيها فى الأمم المتحدة ، بالتنسيق بين الدول الآسيوية والافريقية للقيام بعمل مشترك من أجل الجزائر ، كما قامت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بدراسة تقرير البعثة البرلمانية الفرنسية التى أوفدتها الحكومة الفرنسية ، لدراسة الأحوال بالجزائر ، وكان هذا التقرير قد قدم الى الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٥ ، وقد أشار هذا التقرير الى استفادة الطبقة الممتازة من الأوربيين من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية بينما كان نصيب الوطنيين ضئيلا الى حد أن عاشوا فى فقر وجهل ، ومما يؤكد ذلك تقرير أحد كبار موظفى الادارة الفرنسية الذى وصف السكان الوطنيين بأنهم أشباح فى بلادهم التى ينعم فى ظلالها الوارفة الفرنسيون بسعة العيش والأمن الزائف (٦) . وبعد تنسيق الجامعة العربية لمواقف الدول العربية ، انبرى مندوبو الدول العربية لتأييد القضية الجزائرية أثناء مناقشتها فى اللجنة السياسية للأمم المتحدة يوم ١٩٥٧/٢/٢ (٧) .

(ب) المعونة العربية للجزائر :

فى جلسة ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧ للجنة الشئون السياسية لجامعة الدول العربية طلب مندوب الجزائر من اللجنة : تخصيص ميزانية سنوية للجزائر تقررها الحكومات الأعضاء بالجامعة ، وتلقت الأمانة العامة فى هذا الصدد مذكرة من مصر بتاريخ ١٩٥٧/١٢/٩ تفيد باستعدادها فى أى خطة تجمع الدول العربية على اتخاذها ، ومذكرة من سفارة العراق بالقاهرة بتاريخ ١٩٥٨/١/١٣ تفيد تخصيص الحكومة العراقية مبلغ ٢٥٠ ألف دينار عراقى لهذا الغرض . ومذكرة من السفارة السعودية بالقاهرة بتاريخ ١٩٥٨/٢/١٢ بموافقة حكومة الملك سعود على تخصيص مبلغ ٢٥٠ ألف جنيه استرلينى منها لمساعدة الجزائر ومذكرة من سفارة لبنان بالقاهرة بتاريخ ١٩٥٨/٢/١٨ بأن توزع المساعدات على الدول الأعضاء فى الجامعة العربية بنسبة متكافئة مع التزاماتها ، ومذكرة من سفارة

السودان بالقاهرة بتاريخ ١٩٥٨/٣/٩ بموافقة مجلس الوزراء على دفع مبلغ ٢٠ ألف جنيه للجزائر • كما استعانت الجامعة العربية بمكاتبها فى الخارج ، وتم جمع تبرعات من بلاد أمريكا اللاتينية وأوربا •

كما قامت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بتقـــديم البيانات والاحصاءات والتقارير الخاصة باللاجئين الجزائريين (٨) فى تونس ومراكش بالدول العربية طالبـة منها تلبية حاجة اللاجئين من الطعام والكساء والمأوى ، ومساعدتهم تلبية لدواعى القومية والانسانية ، واستجابت الدول العربية لطلب الأمانة العربية •

ولم يقتصر التأييد العربى على الأمم المتحدة فحسب بل امتد الى الجاليات العربية المقيمة فى أمريكا اللاتينية . فطلب منهـا السعى لدى حكوماتهم ، والتظاهر حتى تؤيد حكوماتهم القضـــية الجزائرية ، الا أن ثمرات هذا الاتصال بدأت فى الظهور فى العام التالى ١٩٥٨ ، خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر بقيام مكتب الجامعة العربية فى بوينس ايرس بعرض مشروع يهدف الى زيادة اهتمام شعب الأرجنتين بقضية الجزائر (٩) •

(ج) حملة التطويق :

أبلغت البعثة الخارجية لجبهة التحرير الأمانة العامة لجامعـــة الدول العربية بموضوع حملة التطويق الفرنسية لمليون جزائرى ، وأثارت الوفود العربية هذا الموضوع الذى اعترف به دولوفرييه حاكم الجزائر ، وتألف وفد يضم ممثلى الكتلة الافريقية والأسيوية لمقابلة رئيس لجنة الصليب الأحمر الدولية ، ولفت نظره الى فظائع فرنسا فى الجزائر فى ١٩٥٩/٥/٢٦ مما جعل بواسييه رئيس لجنة الصليب الأحمر يتأثر من هذه الفظائع ، واتصل من فوره بباريس وأحاط الحكومة الفرنسية علما بما عرضه ممثلو الدول المشتركة فى مؤتمر الصحة العالمى • وكان مما ذكره أن لوائح لجنة الصليب الأحمر الدولية لا تمكنه من التدخل ولكنه سيناشد ضمير فرنسا ، كما أبدى تشاؤمه من موقف رئيس لجنة الصليب الأحمر الفرنسية الذى يجاهر بعدائه الشديد للجزائريين وللعرب (١٠) •

أولت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية اهتمامها بأساليب القمع الفرنســـية للوطنيين الجزائريين وطالبت بتحقيق دولى ، ووقف الابادة الجماعية للسكان ، وقف مساعدات حلف الأطلنطى لفرنسا ، مطالبة دول الكتلة الافريقية الآسيوية بالاعتراف بالحكومة المؤقتة ، جلب تأييد الأمم المتحدة لقضية الجزائر ، مطالبة بقية الدول العربية بدفع الأنصـــبة من ميزانية الجزائر لعام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ (١١) •

كانت القضية الجزائرية موضوع متابعة من قبل الأمانة لجامعة الدول العربية وبعد نظر لجنة الشئون السياسية لتطورات الأمور قررت : تدعيم الكفاح الجزائرى بكل الوسائل مع تنفيذ قرار مجلس الجامعة بشأن الجزائر ومطالبة الدول بدفع التزاماتها المالية فورا ، مع مناقشة القضية الجزائرية على مستوى وزراء الخارجية العرب يوم ٣٠ أبريل ١٩٦٠ زيادة المساعدات الافريقية الآسيوية لقضية الجزائر ماديا وسياسيا ، التعاون مع المجموعة الافريقية الآسيوية للظفر بتأييد الأمم المتحدة في الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة وتنفيذ ذلك فورا ، كما طلبت الأمانة العامة للجامعة العربية من دولها الأعضاء اصدار التعليمات لممثليها لمساعدة بعثة الجبهة الخارجية لأمريكا اللاتينية . كما ناقش مجلس الجامعة فى دورة بيروت الاستثنائية فى أغسطس ١٩٦٠ تطورات القضية الجزائرية (١٢) .

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٦١ انعقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى بغداد وطالب كريم بلقاسم وزير الخارجية الجزائرى آنئذ الدول العربية بالمال والسلاح والمتطوعين ومعارضة محاولات فرنسا تجزئة الجزائر ، وتأييد مطلب الحكومة المؤقتة بمفاوضات ثنائية مع فرنسا ، وأن تجعل السفارات العربية بالخارج القضية الجزائرية محور نشاطها ، كما دعا لمؤتمر قمة عربى لايجاد الوسائل الفعالة لحل القضية الجزائرية ، وأن يمارس العرب الضغط على فرنسا لحل القضية الجزائرية بمقاطعتها سياسيا واقتصاديا (١٣) وقررت اللجنة السياسية للجامعة العربية بعد استماعها الى مطالب وزير الخارجية الجزائرى تنسيق الجهود العربية والافريقية والآسيوية والدولية لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن الجزائر ، مساعدة الجزائر ماديا وماليا ، امداد الحكومة الجزائرية بالسلاح فى أقرب وقت ، السماح لرعايا الحكومات العربية بالانخراط فى جيش التحرير ، مضاعفة الجهد العربى لدى الحكومات الأجنبية لجلب التأييد السياسي لقضية الجزائر ، تأييد البلاد العربية لوحدة الجزائر وسلامة أراضيها ، وتأييد عودة المفاوضات الثنائية كى يمارس الشعب الجزائرى حرية تقرير المصير ، منع الدول العربية التى على أراضيها قواعد أجنبية لفرنسا من استخدام هذه القواعد لتمويل العمليات العسكرية الفرنسية ضد ثوار الجزائر ، الضغط على الدول والمنظمات السياسية والعسكرية التى تؤيد العدوان الفرنسى على الجزائر .

أبلغ المندوب الدائم للحكومة المؤقتة الجزائرية لدى الجامعة العربية الأمانة العامة بقرار حكومته رفض الاشتراك فى مفاوضات ميلون حتى تتضح النوايا الفرنسية مطالبا باسم حكومته تأييد دول الجامعة العربية لمسلك حكومته ، فأيدت دول الجامعة العربية المطلب الجزائرى .

وقد عبرت الجامعة العربية عن قلقها من تطـورات الأمور المتعلقة بالقضية الجزائرية وذلك عندما وقع انقلاب سالان في ١٩٦١/٤/٢٢ والذى أدى الى ردود فعل حادة في تونس والمغرب اللتين خشيتا أن يؤدى الانقلاب الى الابقاء على الحكم الاستعمارى فى شمال افريقيا (١٤) • كما تابعت الأمانة العامة للجامعة العربية أيضا مراحل مفاوضات ايفيان ووقفت على تطوراتها من المسئولين فى الحكومة الجزائرية ، وخاصة مندوبها الدائم لدى الجامعة وأحاط مجلس الجامعة الدول الأعضاء ، بما وقف عليه فى شتى المراحل ، وجهزت مكاتبها فى الخارج للدعوة لها • وأصدرت البيـانات والتأييدات اللازمة (١٥) •

وحينما قامت حكومة الجزائر المؤقتة بحملة دولية للضغط على فرنسا لاطلاق سراح سجناء الطائرة المغربية ، وما أعقب هذه الفترة من اضطرابات بين الجزائريين وقوى الاستعمار الفرنسى ، وقمع الأخيرة للقوى الوطنية بقسوة ، بادرت الأمانة العامة للجامعة العربية باصدار بيان يوم الأحـد ١٩٦١/١١/١٢ تشجب فيه : تصرفات السلطة الفرنسية ضد الشعب الجزائرى ، وضد المعتقلين فى فرنسا ، ودعت شعوب العالم وحكوماته الى التعاون معها لرفع الظلم عن الجزائريين مهيبة بالأمم المتحدة التدخل لوقف عمليات القتل الجماعى (١٦) وبذلك ساهم المحور العربى بدوله ، وجامعته العربية كمنظمة سياسية ، فى تحقيق استقلال الجزائر ، وعودتها الى وجهها العربى الاسلامى •

ثانيا ــ علاقة الثورة الجزائرية بالدول العربية :

(أ) علاقة الثورة الجزائرية بالمغرب :

نجحت الثورة الجزائرية فى اقامة صداقة اتسمت بالود مع محمـد الخامس سلطان مراكش الراحل وترتب على ذلك ضمان الثورة الجزائرية لقواتها حرية الحركة ووصول شحنات السلاح وترتب على اقامة العلاقات الودية مع مراكش وعـد محمـد الخـامس بدعم الثـورة الجزائرية بكـل الوسـائل وذلك خـلال مقـابلة لـه مع بن بلـه ، والأمين دباغين (١٧) وفى هذه الأثناء عهد بن بله الى محمـد يوسفى بالاشراف على شبكـات الجبهـة الخاصـة بشـحن السـلاح من أسبانيـا وتلقى يوسفى جـوازا مراكشيا باسم مصطفى مالك يحمل هذه الملاحظة ، فى خدمة صـاحب السعادة سفير المغرب فى أسبانيا ، وبعد فترة سلم أمين صندوق المقاومة المغربية غالى العرقى ــ بناء على طلب ــ الملك محمد الخامس المال الذى منحته حكومة العراق للمقاومة المغربية التى لم تستعمله للثوار الجزائريين ، وقد أمر الملك محمد الخامس بتسهيل كل أمور الجزائريين (١٨) كما قدم

المغربيون لثوار الجزائر ٥٠٠ مدفع رشاش « بيرتا » نقلها بورقيبة بسيارات الحرس الوطني التونسي عبر أراضي تونس الى القاعدة الشرقية للثورة الجزائرية ، ونتيجة للمساعي والجهود التي بذلها المسئولون عن الثورة في القاعدة الغربية ، ذللت عقبات وصول السلاح من قبل الأسبان ، ومن مظاهر ذلك : تغاضي ممثلهم في المغرب الجنرال جارسيا فالينو عن مرور هذه الأسلحة الى ثورة الجزائر .

(ب) علاقة الثورة الجزائرية بتونس :

ركز المسئولون الجزائريون نشاطهم في تونس باعتبارها القاعدة الشرقية للثورة الجزائرية ، وكان المقاتلون التونسيون قد انقسموا حول مشروع (تونسي فرنسي) وقعه كل من : الرئيس الحبيب بورقيبة ، وادجارفور (١٩) الى مؤيد للمشروع ويتزعم هذا الاتجاه الحبيب بورقيبة ، ومعارض لهذا المشروع ويتزعمه صالح بن يوسف سكرتير حزب الدستور التونسي الذي كان يعترض على مسألة التسليم قبل الاتفاق على مسألة الاستقلال (٢٠) وكان الأخير يحظى بتأييد جبهة التحرير الجزائرية التي كانت تنادي باستمرار قومية معركة المغرب العربي حتى تحصل دوله على استقلالها الا أن مؤتمر حزب الدستور التونسي الذي انعقد في صفاقس في أكتوبر سنة ١٩٥٥ قد خذل الاتجاه المعارض لسياسة الاستقلال على مراحل ، والذي تزعمه صالح بن يوسف ، وكان على جبهة التحرير أن تعدل من سياستها بعد خذلان صالح بن يوسف واغتياله ، وأن تتعامل مع بورقيبه ، فكان بدء عهد تعاون جديد سلمت بمقتضاه تونس مخيمات التدريب للمقاومة الجزائرية حينما سافر مصطفى بلعيد من الجزائر الى طرابلس للالتقاء ببن بله لشراء حاجة الثورة الجزائرية من السلاح ، والتقى بن بله بعبد العزيز شوشان ممثل الكفاح التونسي في طرابلس واشترى منه كمية من السلاح لثوار الجزائر وأدى استقلال تونس في ٣ يونيو سنة ١٩٥٥ (٢١) ، الى زيادة فعالية القاعدة الشرقية للثورة الجزائرية ، غير أن حادث الطائرة المغربية التي اختطف فيها الزعماء الخمسة بواسطة المخابرات الفرنسية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ (٢٢) قد أدى الى اضطراب وصول الأسلحة للثوار الجزائريين ، مما اضطر لجنة التنسيق والتنفيذ الى ارسال الدكتور أمين دباغين (٢٣) من القاهرة الى تونس لرئاسة البعثة الخارجية ، كما أرسلت المقاومة الكولونيل عمران الى تونس لتنظيم وصول الأسلحة ، كما كان يفعل بن بله من قبل ، وراح عمران يتتبع مختلف خيوط شبكة الامدادات والتموين التي أنشأها بن بله ، وتوجه من تونس الى عدة بلدان في الشرق

الأوسط ، ونجح في الحصول على السلاح من الخارج ، وأخيرا أبرم اتفاق بين بورقيبه ، وعمران في فبراير سنة ١٩٥٧ (٢٤) نظم العلاقة بين المقاومة الجزائرية والحكومة التونسية ، وأدى استقلال الأراضي التونسية الى تسهيل نقل الامدادات المصرية عبر هذا الطريق الى القاعدة الشرقية للثورة الجزائرية الا أنه نظرا لدواعي الأمن فان الاتفاق السابق قد نص على وضع طرق المواصلات التي تمر عبرها الامدادات المصرية تحت تصرف جيش التحرير الوطني الجزائري ، مما اضطر فرنسا الى انشاء خط موريس Maurcie الكهربائي نسبة الى وزير الحرب الفرنسي وقتذاك ، وقد امتد هذا الخط على طول الحدود الجزائرية التونسية ، وجهزته فرنسا بالرادار والمدفعية الا أن جيش التحرير بعد توافر الوسائل الحديثة له تمكن من اقتحام الخط باستعمال طوربيدات بانجالور ، كما دفع الجنود الجزائريون أمامهم الماشية لتفجير الألغام الفرنسية ، وبعدها يتدفق عبر الخط الجنود والبغال المحملة بالمؤن بسلام ، وقد كلف خط موريس جيش التحرير الجزائري مشقات كبيرة في العمل وخسارة في الأرواح . كما أخر من شحنات السلاح الى الثوار في الداخل ، الا أنه لم يمنعها عنهم .

قذف قرية سيدي يوسف التونسية :

ولما توالى نشاط الثوار الجزائريين نتيجة توالي امداداتهم عن طريق القاعدة الشرقية ، قامت الطائرات الحربية الفرنسية يوم ٨ فبراير ١٩٥٨ بقذف قرية سيدي يوسف التونسية بالقنابل بدعوى تدمير قواعد الثوار الجزائريين (٢٥) الموجودين بهذه القرية وترتب على قذف الطائرات الفرنسية للقرية التونسية طلب تونس عقد مجلس الأمن ، واتهمت تونس في مذكرتها الايضاحية : فرنسا بضرب قرية سيدي يوسف الساحلية ضربا شديدا بالقنابل نتج عنه خسارة كبيرة في الأرواح والممتلكات ، وأن الهجوم هو جزء من سلسلة اعتداءات على تونس بدأت من مايو ١٩٥٧ ، وقامت بها القوات الفرنسية من الجزائر ، وطلبت تونس من المجلس اتخاذ قرار ملائم لوضع حد لهذا الموقف الذي يهدد أمنها لأن وجودها هناك يهدد أمن تونس ، وأن حرب الجزائر ونتائجها ، فيها تهديد للسلاح العالمي .

وفي ١٤ فبراير قدمت فرنسا شكوى ضد تونس تحت عنوان « الموقف الناجم عن العون الذي تقدمه تونس الى الثوار لتمكينهم من متابعة عمليات من الأراضي التونسية ، موجهة ضد وحدة الأراضي الفرنسية (٢٦) ، وسلامة أراضي وممتلكات المواطنين الفرنسيين واتهمت فرنسا تونس بأنها أظهرت نفسها غير قادرة على صيانة النظام على الحدود الفرنسية التونسية ، وطالبت بادانة المعونة التي تقدمها تونس للثوار الجزائريين .

وقد بذلت الولايات المتحدة وبريطانيا جهودهما من أجل تسوية الحادث • وظل ممثلا الدولتين يترددان بين باريس وتونس من أجل الوصول الى حل وسط لا سيما بعد قبول الحكومتين التونسية والفرنسية هذه المساعى ، وفى أوائل سنة ١٩٥٨ قبلت الحكومة الفرنسية اتفاقا ينص على الانسحاب الجزئى للقوات الفرنسية ، واعادة تجمعهـــا فى قاعدة بنزرت ، الا أن الجمعية الفرنسية رفضت هذا الاتفاق مما أدى الى سقوط وزارة جايارد الفرنسية •

(ج) علاقة الثورة الجزائرية بليبيا :

تشكل ليبيا وضعا خاصا للثورة الجزائرية ، فقد كانت أرضهـا مسرحا لقتال جيوش الحلفاء والمحور ، وقد تركت الجيوش المتحاربة على أرضها فائضا من السلاح استغلته فيما بعد الحركات التحررية الوطنيـة التى هبت فى شمال افريقيا ، وقد كان ثمة تنسيق بين المقاومة الجزائرية والملحق العسكرى المصرى فى طرابلس ، أدى الى نجاح بن بله فى ارسال شحنات من سلاح الجيش الثامن البريطانى التى كانت مخزونة فى ليبيا الى سوق أهراس والتميمشا عن طريق جنوب الجزائر • كذلك كانت طرق الامدادات المصرية للثورة الجزائرية تمر عبر الأراضى الليبية ، وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر أصبح موقف الثورة الجزائرية حرجا بسبب النزاع السياسى الذى نشب بين مصر وليبيا ، فالاولى تصر على أن يمر السلاح عبر الأراضى الليبية ، فى حين أن الثانية تصر على أن ينقل السلاح بحرا من الاسكندرية الى طرابلس• وقد أبلغت البعثة الجزائرية فى القاهرة بهذه الرغبة من قبل السفير الليبى ، فى حين عارضت السياسة المصرية هذا الشرط خوفا من تكرر حادث الآتوس (٢٧) •

ولما لم تجد المساعى التى بذلتها البعثة الخارجية فى القاهرة نفعـا ازاء تصلب الجانبين (٢٨) اضطر المدنى رئيس بعثة القاهرة الى الذهاب الى ليبيا لايجاد حل لهذه المشكلة ، وقد أفلحت جهوده فى ثنى السياسة الليبية عن عزمها ، وموافقة الملك ادريس على اعطاء الأمر لقيادة الحدود الشرقية اللبية على فتح الطريق أمام شحنات السلاح المرسلة من مصر الى الجزائر (٢٩) •

كما كان للشعب الليبى وايمانه بالعروبة الفضل فى تغيير مســار السياسة التركية التى مالت ناحية فرنسا سواء بالتأييد لها فى المحافل الدولية كالأمم المتحدة ، أو الوقوف على الحياد ، وقد خدم المسلكان السياسة الجزائرية فقد حدث أن زار وفد تركى برئاسة عدنان مندريس رئيس الوزراء التركى ليبيا ودهش الوفد التركى لخلو المطار من المستقبلين ،

وزادت دهشته حين رأى أيضا خلو مدينة طرابلس من المستقبلين أيضا مما حدا بمندريس الى التساؤل عن الأسباب ؟

فعلم من مصطفى بن حليم رئيس الوزراء الليبى بمقاطعة الشعب الليبى للزيارة بسبب موقف السياسة التركية من القضية الجزائرية (٣٠) ، مما جعل مندريس يتساءل عن الشىء الذى يرضى الجزائريين والليبيين ؟ ، وقد مهد هذا التساؤل لاجتماع مندريس مع المدنى ممثل جبهة التحرير الذى طالب الأول بالكف عن تأييد السياسة الفرنسية ، وامداد الجزائر بالسلاح ، وقد تمخضت هذه المحادثات التى حدثت بين : ممثل جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، ومندريس رئيس الوزراء التركى ، ومصطفى ابن حليم رئيس الوزراء الليبى عن تأييد السياسة التركية للثورة الجزائرية ، والسماح لجبهة التحرير بفتح مكتب لها فى أنقرة ، وعلى معونة ضخمة من الأسلحة شملت عددا من البنادق ، والرشاشات والمدافع (٣١) .

(د) علاقة الثورة الجزائرية بمصر :

كما سبق الحديث كانت الجبهة تعتمد فى نشاطها على البلاد العربية عامة ومصر بصفة خاصة (٣٢) ، فقد نالت الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٥ دعما ماليا قدره ٨٠ ألف جنيه كدفعة أولى ، وذلك عن طريق جامعة الدول العربية أعطى بن بله منه ٣٠ ألف جنيه لبعثة القاهرة ، واشترى بباقى المبلغ كمية أخرى من أسلحة المقاومة التونسية فى ليبيا وحينما التقى عبد الناصر وبن بله ، ووعد الأول الثانى بدعم الثورة الجزائرية بحاجتها من السلاح وبالفعل شحنت كميات من السلاح الى الثوار الجزائريين (٣٣) ، كما وضعت مصر تحت تصرف جبهة التحرير عدة قواعد فى : سيوه ، وانشاص ومرسى مطروح لتدريب الثوار الجزائريين على عمليات القذف بالقنابل ، والهجمات الليلية ، وأعمال الاشارة بمدرسة الاشارة المصرية بمصر الجديدة (٣٤) .

وعندما وقع تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ اجتمع أعضاء جبهة التحرير الجزائرية بالقاهرة بالرئيس جمال عبد الناصر فى ادارة المخابرات العامة (٣٥) وهنأوا الرئيس بتأميم القناة ، وطلبوا معونة مصر للثورة الجزائرية ، بالمال والسلاح فتبرعت الحكومة المصرية بالدخل الأول لقناة السويس حتى ثلاثة ملايين جنيه لصالح الثورة الجزائرية . وفى ليلة اتصل العقيد عزت سليمان أحد المسئولين المصريين المكلف من قبل عبد الناصر بمهام الكفاح الجزائرى ، بممثل جبهة التحرير فى القاهرة وطلب منه الاستعداد للتحرك لاحدى المهام ، وانطلقت سيارة المسئول

المصرى ، تحمل ممثل الجبهة المدنى على طريق القاهرة السلوم للاشراف على شحنات السلاح التى قامت المخابرات العامة المصرية (٣٦) بتدبير توصيلها من الأراضى المصرية بواسطة السكك الحديدية وبعض سيارات النقـل المملوكة لليبى يسمى محمد العابد السنوسى حتى وصـلت الى المزرعة الجزائرية قـرب طرابلس ، وكان المسـئولون المصريون بالتنسـيق مع المسئولين الجزائريين يقومون بانزال صناديق الأسلحة والذخيرة من وسائل النقل المختلفة سواء أكانت سيارات أم قطارات ، وتسجيل أرقام هـذه الصناديق ومحتوياتها فى سجلات خاصة (٣٧) .

وبعد اختطاف الزعمـاء الخمس فى حادث الطائرة المغربيـة فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ قرر رئيس الحكومة المصرية الرد على هذه العملية ، بتدبير هروبهم من السجن وكلف فى هـذا السبيل عصـام الدين خليـل مدير مخابرات سلاح الطيران المصرى الذى أخذ فى دراسة عملية الهروب ، وبعد أسابيع من الدراسة ، رسـمت خطة شرع فى تنفيـذها جزئيا اذ استأجر المصريون عشرين ألمانيا كانوا قد خدموا فى صـفوف الفرقة الأجنبية الفرنسية ، وقسموا الى جماعات ، كل جماعة مكونة من ثلاثة أفراد تحت قيادة هانز ، أحـد الثقـاة للمخـابرات العـامة المصرية ، وقد اتخذت هذه الجماعة من ألمانيا قاعدة مؤقتة ينطلقون منها ، وارتدوا ملابس الحرس الوطنى الفرنسى المتحرك ، وسافروا بأسلحتهم وذخيرتهم من مصر ، وكانت الخطة تتلخص فى حضـور هانز ورجاله الى سـجن الصحة وهم يحملون الأوراق اللازمة لنقل الزعمـاء الجزائريين الى مكان آخـر مقرر رسميا فى سجن بشـمال فرنسـا ، وفى الطريق يجتاز هانز ورجاله ، الحـدود الألمانية حيث يقـوم عصام الدين خليل بنقلهم بطائرة صغيرة الى ألمانيا الشرقية ، وكانت المخابرات العامة قد تمكنت من تجنيد شخصية فرنسية كبيرة ، سهلت لها عملية الارشاد الفنية والبطـاقات المزورة حتى تتم عملية نقل سجناء البعثـة الخارجية لجبهـة التحرير بالشرعية ، ومكث هانز بضع أيام بالقرب من سجن الصحة لدراسة المكان ومراقبة حركة السير حول السجن ، وعندما تقدمت مراحل التجهيز للعملية كلف جمال عبد الناصر فتحى الديب أحد معاونيه ــ المكلف بالاتصـال بقادة الثورة الجزائرية ــ بتنفيذها ، وتمكن الديب من الاتصال ببن بله عن طريق أحد الوسطاء ، وأطلع بن بله خيضر على الأمر ، ولكنهما كتما السر مكتفين بالاعلان عنه قبل تنفيذ الهروب بيوم أو يومين ، الا أن القلق الذى راود المخابرات المصرية تمثل فى خشيتهم من ضعف الشخصية الفرنسية أو ربما تفشى السر فعرضوا عليه ارسال زوجته وأولاده الى القاهرة ليبقوا فيها رهائن حتى نهاية العملية فوافق الرجل ، وتقرر عندئذ عقد اجتماع

نهائى مع جميع المسئولين لعرض الخطط بكاملها ومناقشة الأخطار ، وتنفيذ العملية أم لا ، وكان عبد الناصر قد أمر فتحى الديب بالغاء المخطط اذا كانت المحاولة فيها مساس بحياة بن بله ورفاقه ولم يستبعد المسئولون هذه النقطة ، بالاضافة الى أحد أسباب القلق الرئيسية وهى عدم الثقة فى أفراد (الكوماندوز) باستثناء هانز الذى أوهم رجاله بأن العمليـــة تستهدف تهريب عصابة دولية ، الا أنه كان فى امكان معظم الكوماندوز التعرف على بن بله ، وربما يشون به أو يبيعونه للسلطات الفرنسية ، ومن ثم قرر فتحى الديب ورجاله عدم تنفيذ العملية وأبرقوا لعبد الناصر « قرر الأطبـــــاء نظرا لحالة المريض العزوف عن اجراء أى عمليـــة جراحية » (٣٨) .

وعلى الصعيد السياسى كانت القاهرة مركز النشاط السياسى للثورة الجزائرية ففيها عقدت محادثات استطلاعية بين ممثلين عن الجبهة ، وممثلين عن الحكومة الفرنسية خلال شهرى مارس وابريل سنة ١٩٥٦ ، كما شهدت القاهرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ المؤتمر الثانى للمجلس الوطـنى للثورة الجزائرية ، وفى ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ أعلن فى القـــاهرة وتونس تشكيل أول حكومة مؤقتة للثورة الجزائرية ، وكان مقر هـــذه الحكومة بالقاهرة ، كما نالت الثورة الجزائرية التأييد المطلق من مصر سواء فى البيانات الرسمية للحكومة ، أم فى بيانات ممثلى مصر فى الأمم المتحدة الذين طالبوا باستقلال الجزائر وعروبتها ، وقد تعرضت العلاقات المصرية الفرنسية للتـدهور بسبب موقف التأييـــد المطلق المصرى للثـــورة الجزائرية .

(هـ) علاقة الثورة الجزائرية بالسعودية :

أسفرت اتصالات البعثة الخارجية لجبهة التحرير ، مع حكومة المملكة العربية السعودية ، وبعد مداولات مع الأعضاء الآسيويين والافريقيين عن النداء الذى وجهه وفد المملكة العربية السعودية فى مجلس الأمن طالبا فيه مناقشة الموقف فى الجزائر بصفته تهديدا للسلم والأمن الدوليين (٣٩) ، ولعل فى تبنى الحكومة السعودية رفع قضـــية الجزائر فى مجلس الأمن اشارة الى مباركتها للاتجاه العربى والاسلامى الذى تزعم الثورة الجزائرية ، ولذا كان مسلكها ايجابيا مع الثورة الجزائرية ، ومن هذه المسالك اعتراف المملكة العربية السعودية بأول حكومة جزائرية مؤقتة فى اليوم الثانى لاعلانها فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

(و) علاقة الثورة الجزائرية بالعراق :

لم تنال الثورة الجزائرية على عهـد وزارة نورى السعيد التأييـد

المطلق ، حتى وزارة على جودت الأيوبى التى باشرت مهام الحكم فترة غياب نورى السعيد كانت مقيدة ، ولم تقدم للثورة الجزائرية شيئا ٠

وبعد حوالى شهرين من قيام الثورة العراقية سافر وفد من الحكومة المؤقتة الجزائرية الى العراق برئاسة عباس فرحات رئيس وزراء الحكومة المؤقتة فى ٢٩ ابريل سنة ١٩٥٩ ، وقد عقب عباس فرحات على الاستقبال الحماسى العراقى بقوله : « هؤلاء أحبونا ففعلوا بنا ما فعلوا ، فماذا كانوا يفعلون لو أنهم يكرهوننا » (٤٠) ٠

وبعد ثلاثة أيام من وصول الوفد دعا عبد الكريم قاسم مجلس الوزراء العراقى للاجتماع ، ودعا الوفد الجزائرى لحضور جلسة مجلس الوزراء العراقى الذى انعقد بمقر وزارة الحربية ، وفوض رئيس الوفد الجزائرى المدنى للتحدث باسم الجزائر ، فأعلن عن حاجة الجزائر الى المال الجزيل ، والسلاح الوفير ، فالعرب تقدموا فيما مضى بما يستطيعون ، والآن جاء دور العراق ، فأجاب عبد الكريم قاسم : محييا كفاح الشعب الجزائرى ، ثم قال : « أما السلاح فسنعطيكم سريعا ما لدينا من أجود الأنواع ، أما المال فهو الآن قليل بين أيدينا لكننا لا نبخل عليكم بشىء وسنتحمل فوق ما نستطيع » فقال المدنى : « المال بالنسبة لنا اليوم كالسلاح وقد تطورت المعركة سياسيا كما تطورت حربيا ، فالسلاح للتطور الحربى ، والمال للتطور السياسى » فاعترض النقاش وزير المالية العراقى مبينا افلاس الخزينة العراقية ٠ فما كان من قاسم الا أن أمره بتأخير مرتبات الموظفين ، ودفع معونة العراق للثورة الجزائرية والتى بلغت ــ بعد نقاش حاد بين المدنى ، وقاسم ووزير المالية فى مجلس الوزراء العراقى ــ ثلاثة مليارات من الفرنكات القديمة تدفع على آجال محددة كل : ١٥ يناير ، ١٥ ابريل ، ١٥ يوليو ، ١٥ أكتوبر حتى تستقل الجزائر ٠

أما عن معونة السلاح العراقية للجزائر فقد اتفق فى نفس جلسة مجلس الوزراء العراقى على تسليم شحنات السلاح العراقى الى القاعدة الجزائرية فى طرابلس بعد أن يقوم الجزائريون بتمهيد الأمر مع الليبيين ، ووافق مصطفى بن حليم رئيس الوزراء الليبى مع المدنى على تعيين مكان هبوط الطائرات العراقية ، والمشرف العراقى على نقل السلاح الى ليبيا ٠ ثم أخبر المدنى سفير العراق فى القاهرة بانتهاء مهمته فى طرابلس الذى أبلغها بدوره الى السلطة العراقية فى بغداد ، ثم عاد السفير العراقى من جديد يطلب من المدنى صورة شمسية قطعها نصفين رأسيين ، أعطى المدنى نصفها ، وأخذ النصف الآخر ، ثم عاد بعد نحو أسبوع آخر : محددا للمدنى يوما معينا ، لركوب طائرة الأحد المسافرة لطرابلس من

القاهرة ، وما كاد المدنى يخطو نحو صالة المسافرين ، حتى بادره صوت هامس ، طلب منه أن يجلس الى جواره فى الطائرة المتجهة الى طرابلس ، وما كاد المدنى يجلس الى جوار هذا الشخص العراقى ، حتى تفحصه جيدا ثم بعد اطمئنانه ، أخرج من محفظة نقوده نصف صورة المدنى ، ووضعها بجوار نصف الصورة الآخر التى طلب من المدنى اخراجها ، ثم بعد اطمئنانه ، بدأ فى التعريف بنفسه على أنه المقدم يوسف عزيز من قوة سلاح الطيران العراقى ، المكلف بنقل شحنات السلاح العراقى الى القاعدة الجزائرية فى طرابلس ، وقد لعب هذا الطيار العراقى دورا بارزا فى نقل السلاح العرقى الى ليبيا لأنه على حد قوله « كان يخترق المجال الجوى الاسرائيلى سعيا وراء السرعة والاقتصاد فى الوقود من أجل توصيل السلاح الى ثوار الجزائر (٤١) .

بالاضافة الى هذه الدول العربية المذكورة استجاب لنداء الثوار الجزائريين سوريا على عهد الرئيس القوتلى ، والأردن على أيام الملك حسين ، والكويت (٤٢) .

(ز) اعتراف الدول العربية بالحكومة المؤقتة الجزائرية :

لما أعلن المجلس الوطنى للثورة الجزائرية فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ فى جلسته بالقاهرة تشكيل أول حكومة مؤقتة للثورة الجزائرية برئاسة عباس فرحات بادرت الدول العربية الى الاعتراف بهذه الحكومة ، فبادرت العراق وليبيا ومراكش وتونس للاعتراف بها فى نفس يوم اعلان هذه الحكومة المؤقتة ، وفى يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٥٨ الموافق اليوم التالى لاعلانها اعترفت بها حكومتا : المملكة العربية السعودية والاردن ، ثم فى اليوم الثالث الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٥٨ اعترفت بها الجمهورية العربية المتحدة ، واليمن ثم فى اليوم الرابع الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٥٨ اعترفت بها السودان ، وفى ١٥ يناير سنة ١٩٥٩ اعترفت بها الحكومة اللبنانية (٤٣) .

الفصل السادس عشر

نشأة الحكومة المؤقتة

برزت أول فكرة عن الحكومة المؤقتة فى المذكرة التى قدمتها جبهة التحرير الوطنى الجزائرى لمؤتمر بريونى (١) بيوغسلافيا ، وكان من ضمن مطالبة المذكرة التى قدمتها الجبهة انشاء حكومة جزائرية للمفاوضة فى شروط السلام بين فرنسا والجزائر (٢) وكان معنى انشاء هذه الحكومة تدعيم الثورة من جهة ، ومن جهة أخرى اعداد المفاوض الجزائرى الذى سيفاوض من أجل حصول الجزائر على استقلالها (٣) ، وكان المسئولون عن الثورة الجزائرية يقدرون أنه سيأتى يوم تبدأ فيه المفاوضة بين الجزائر وفرنسا (٤) ، ومن ثم عملت جبهة التحرير على استغلال الكفاءات السياسية التى انضمت اليها ، والتى كانت تزاول نشاطها السياسى قبل الثورة — فى اعداد المفاوض الجزائرى كما أسلفنا ، والذى سيفاوض فرنسا للحصول على استقلال بلاده ·

وكان تشكيل هذه الحكومة سواء فى المنفى أم على الأرض الجزائرية محل جدل طويل اذ برزت ثمة عقبات فى طريقها منها : ان مركز هذه الحكومة سيكون هدفا عسكريا يركز عليه الجيش الفرنسى ويصفيه ، وعلى الصعيد السياسى بحثت فكرة انشاء تلك الحكومة وبعد دراسة الوضع الدولى كان احتمال الاعتراف بها من قبل البلدان العربية والاشتراكية واردا ، كما برز احتمال أن يصاحب انشاء هذه الحكومة حرج بالنسبة لجارتيها تونس ومراكش فى علاقتهما بفرنسا مما يقلل من قدراتهما المؤثرة على السياسة الفرنسية لذا كان قرار فبراير ١٩٥٨ والذى اتخذته لجنة التنسيق والتنفيذ — بانشاء الحكومة المؤقتة — ينتظر اللحظة الدولية المواتية لابرازه على نحو واقعى مناسب (٥) ولعلنا سنلاحظ أن اشتراك السياسة الجزائرية الناشئة فى المؤتمرات التى سيرد ذكرها كان لمجرد الاحتكاك

واتاحة الفرصة لجلب التأييد للثورة الجزائرية ، واعلان الحكومة المؤقتة التى أوصت لجنة التنسيق والتنفيذ بانشائها فى اللحظة المناسبة .

١ ــ مؤتمر أكرا سنة ١٩٥٨ :

قبلت جبهة التحرير الوطنى الجزائرى فى مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الأول ــ والذى عقد فى أكرا فى الفترة من ١٥ ــ ٢٢ ابريل سنة ١٩٥٨ (٦) ــ وقد أيدت الدول الافريقية حق الشعب الجزائرى فى الاستقلال وتقرير مصيره ، وحثت على اتخاذ الخطوات المناسبة للاسراع فى الحصول على هذا الحق (٧) .

كما عبر المؤتمر فى قراره الثالث الخاص بالمسألة الجزائرية عن انزعاجه من الموقف الحالى فى الجزائر الذى يهدد السلام العالمى وسلامة افريقيا ، واعترف المؤتمر بحق الشعب الجزائرى فى الاستقلال وتقرير المصير ، وندد باستمرار الحرب الجزائرية وطالب بمنح فرنسا استقلالها ، وسحب قواتها من الجزائر والدخول فى مفاوضات لوضع تسوية عادلة ، كما طالب الشعوب المحبة للسلام بالضغط على فرنسا ، وناشد أصدقاء فرنسا وحلفاءها عدم مساعدتها بطريق مباشر أو غير مباشر فى حربها للجزائريين ، وأكد عزمه على مساعدة الجزائر فى تحقيق استقلالها ، كما أوصى المؤتمر الدول الافريقية المستقلة بأن : تطالب الى ممثليها فى الأمم المتحدة تعريف أعضاء الأمم المتحدة بالحالة فى الجزائر ، وأن يطلبوا الى الأعضاء تأييد القضية الجزائرية فى الأمم المتحدة ، وأن يعين المؤتمر بعثة فى أقرب فرصة للطواف بعواصم العالم لجلب التأييد لقضية الجزائر (٨) .

٢ ــ مؤتمر طنجة ١٩٥٨ :

فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٨ التقى فى مدينة طنجة بالمغرب حزب الاستقلال المراكشى مع حزب الدستور الجديد التونسى ، وجبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، وقد ثارت فى المؤتمر ثمة مشاكل صنفت الى مشاكل عاجلة ، وأخرى آجلة (٩) ، ومن المشاكل العاجلة : الحرب الجزائرية التى دفعت بمئات الآلاف من المهاجرين الجزائريين الى الرحيل على حدود تونس والمغرب مع حاجتهم الى الطعام والكساء والعلاج والتعليم وكذلك مرابطة القوات الفرنسية فى تونس والمغرب ، مما حدا بجريدة المجاهد الجزائرية (١٠) الناطقة بلسان الجبهة الى التعبير عن مخاوفها من مرابطة الجيوش الفرنسية فى المغرب وتونس ، وخشيتها أن تشمل سياسة التهدئة التى اتبعت فى الجزائر تونس ومراكش .

وقد ساد مؤتمر طنجة جو من الصراحة اذ شرح بوصوف (١١) ممثل الجبهة الظروف التى تكتنف المقاتلين قرب الحدود المغربية من جراء وجود القوات الفرنسية التى تضايق الجزائريين أثناء نقلهم جرحاهم دون أن يرد الجزائريون عليهم احتراما منهم لسيادة الأراضى المغربية ٠

كما شرح المغرب وجهة نظره ، مركزا على حقيقة الأوضاع المغربية التى ما زالت أراضيها ترزح تحت وطأة الجيوش : الفرنسية ، الأمريكية والأسبانية ، كما تعاطف حزب الاستقلال المراكشى مع جبهة التحرير الجزائرية ، واتخذ المؤتمر سلسلة من القرارات من أهمها : حق الشعب الجزائرى الثابت فى السيادة والاستقلال ، بوصفه الشرط الوحيد لفض النزاع الفرنسى الجزائرى ، كما أوصى المؤتمر بعد مشاورة حكومتى تونس ومراكش باقامة حكومة جزائرية وبذلك حصلت الجبهة على موافقة جارتيها الأكثر اعتدالا على اقامة حكومة (١٢) ، كما اقترح المؤتمر انشاء جمعية استشارية مغربية تعقد اجتماعات دورية وتدرس وتقدم توصيات للحكومات فى المسائل ذات المصلحة المشتركة ٠ وأوصى بأن يعقد زعماء « البلاد الثلاثة » اجتماعات لدراسة وبحث تنفيذ توصيات اللجنة الاستشارية ومما له أهمية أن الأحزاب المجتمعة فى طنجة أوصت حكوماتها « الا تربط ــ على انفراد ــ مصير شمال أفريقيا فى حقل العلاقات الخارجية والدفاع الى ان تتم اقامة النظم الاتحادية » وكان هذا قرارا هاما على الخصوص للجبهة التى لم يكن لها مركز حكومى قانونى يخولها الحق فى ان تستشار فى علاقات شمال أفريقيا بالدول الأخرى وبخاصة فرنسا ، كذلك يحقق أحد الأهداف التى دعت اليها الجبهة فى بيانها الأول ٠ كما اتخذ المؤتمر ثمة قرارات سرية من بينها القرار الذى ينص على الوسائل العملية التى سيقوم بها حزب الدستور ، وحزب الاستقلال لمساندة الثورة الجزائرية ، وقد انبثقت هذه الصيغة العملية مع الظروف السياسية التى كانت تمر بها أقطار المغرب ، ففى الجزائر تدور رحى حرب التحرير ، وفى تونس تتعثر الوساطة البريطانية التى بذلها بيلى ، والأمريكية التى بذلها مورفى ، بعد القصف الجوى الفرنسى لقرية سيدى يوسف التونسية ، وفى المغرب تنشب أزمة وزارية ، وتبرز مطالب الشعب المغربى فى جلاء القوات الأجنبية ، وقد قاربت هذه الظروف السياسية التى كانت تمر بها أقطار المغرب الثلاثة فى الاتفاق ، ذلك أن ــ الأحزاب التى شاركت فى المؤتمر كانت هى الأحزاب المسيطرة على الحكم ، فحزب الدستور الجديد كان مسيطرا على ناصية الحكم فى تونس ، وحزب الاستقلال المسيطر على الحكم فى المغرب ، وجبهة التحرير هى الهيئة التنفيذية ــ واشتراك هذه الأحزاب فى المؤتمر يزيد من أهمية قراراته (١٣) ٠

وقد حيت جبهة التحرير الوطنى الجزائرى قرارات مؤتمر طنجة بحماس ، كما وجه المؤتمر برقيات الى الملك محمد الخامس الذى أعلن موافقته على قرارات المؤتمر والحبيب بورقيبة ، بن بله ورفاقه سجناء حادث الطائرة المغربية ، وجمال عبد الناصر وملكا السعودية ، واليمن أعلن فيها : « أن المؤتمر قرر تقديم المساندة الكاملة للجزائر التى نالت تأييد حكومات المؤتمر ، وأن المؤتمر قد وضع الأسس الأولى لاتحاد فيدرالى مغربى ، وأن المؤتمر واثق بأن هذه الوحدة ستقوى التعاون والتضامن بين جميع الشعوب العربية (١٤) .

٣ ـ مؤتمر المهدية بتونس ١٩٥٨ :

تقرر فى مؤتمر طنجة المراكشى ان يلتقى ممثلو المغرب وتونس والجزائر فى مدينة المهدية بتونس فى الفترة من ١٧ ـ ٢٠ يونيو ١٩٥٨ (١٥) وذلك لتنفيذ قرارات مؤتمر طنجة وقد نوقشت فى هذا المؤتمر بعض المسائل التى تخص التعاون فى المجالين السياسى والدبلوماسى ، ولكن تأجل تشكيل الحكومة المؤقتة الا انه رغم هذا فقد أكد أعضاء المؤتمر على حق شعب الجزائر فى السيادة والاستقلال (١٦) .

٤ ـ رد الفعل الفرنسى لمعركة الاستفتاء :

أحدثت المشكلة الجزائرية ردود فعل كبيرة فى دوائر السياسة الفرنسية وأدى ذلك الى تغيير الوزارة الفرنسية أكثر من مرة ، وظهرت معارضة جزء كبير من الرأى العام الفرنسى لهذه الحرب ، وخشى المستوطنون وقف فرنسا لمجهوداتها فى الجزائر ، وخاصة بعد مناداة النواب الفرنسيين على ضرورة انقاص ميزانية الحرب الجزائرية ، فكان ان دعا مستوطنو الجزائر لاستمرار الحرب الجزائرية من خلال جمعيات أسسوها ، بل ظهرت أصوات متطرفة نادت بامكان اخضاع حكومة باريس لقوات فتية يمكنها المحافظة على الامبراطورية . وترأس هذه الحركة بعض كبار قادة الجيش الفرنسى بالجزائر من أمثال الجنرال جاك ماسو ، والجنرال سالان ، وبعض السياسيين ، وقد امتدت هذه الحركة من الجزائر الى كورسيكا وجنوب فرنسا ، وقامت بتسليح أعضائها للانقضاض على السلطة فى باريس وذلك لمواصلة الحرب الجزائرية بموارد فرنسا (١٧) حتى كان يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ حين برزت تلك الحركة ، وأسفرت عن وصول الجنرال ديجول الى الحكم ، وطلب ديجول اعطاءه سلطات استثنائية فسرت وقتها بانها لمواجهة الأمور فى الجزائر ، فى حين أن ديجول كان يهدف من وراء حصوله على هذه السلطات ان تكون فى

يده أسلحة يشهرها فى وجه زعماء الانقلاب الذين رفض ديجول ان يكون أداة طيعة فى أيديهم (١٨) ورغم ما قيل عن عزم ديجول على حل قضية الجزائر على أساس الاعتراف بحق شعبها فى الحرية ، فانه صرح بأن للمستعمرات الفرنسية أن تقرر انفصالها عن فرنسا فى معركة الاستفتاء على الدستور لكن هذا الحق غير معترف به للجزائر (١٩) التى ستشترك فى الاستفتاء على الدستور الفرنسى الجديد فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ . كما كان الجيش الفرنسى يرى فى المشكلة الجزائرية ــ التى ارتفع صوتها فى المقر الرسمى للوزارة الفرنسية ــ الفرصة الأخيرة للنصر بعد هزيمته فى الهند الصينية ، لذا صمم الجيش على درء شبح ، الهزيمة عنه فى الجزائر لاسيما بعد استمرار الجزائريين فى الكفاح المسلح كوسيلة لنيل الاستقلال وبعد يأسهم من استمرار الحلول السلمية ، لذا انتهز الجيش الفرنسى فرصة غياب السلطة فى باريس نتيجة الأزمة الوزارية التى احتدمت نتيجة للمشكلة الجزائرية لمحاولة الحصول على الضمانات الضرورية لنجاح الاستفتاء ، وأسفرت نتيجة الاستفتاء عن ٥ر٩٦٪ أجابوا بنعم ، ٥ر٣ أجابوا بلا (٢٠) وعلى أثر موافقة الجزائر المزيفة على الدستور فتحت أبواب المجالس النيابية الفرنسية أمام الجزائريين ، وصارت نسبة الجزائريين الى المستوطنين الثلثين الى الثلث (٢١) بدلاً من النصف ، ولوحظ ان معظم النواب الجزائريين الذين دخلوا البرلمان من أنصار « الجزائر فرنسية » مما جعل جبهة التحرير الوطنى الجزائرى تنعت الاستفتاء بأنه مسخ للتقدم الديمقراطى .

وكان جيش التحرير الوطنى الجزائرى فى موقف حرج اذ كان يعلم مدى استسلام السكان المدنيين الذين عانوا من ضغط الجيش الفرنسى عليهم ، وهم أقل قدرة على المقاومة من مواطنيهم المجاهدين ، وكان على جيش التحرير الوطنى الجزائرى ان يختار بين أمرين : أما أن يعمد الى القوة ضد مواطنيه الجزائريين ، وكان يعلم جيدا انهم مجنى عليهم ، وأما ان يقف موقف « افعل أفضل ما فى وسعك » ، وقد ترك الخيار فى كلا الأمرين لقواده الذين لم يقدم معظمهم على أى عمل عسكرى ضد مواطنيهم لاقتناعهم بأنهم قد سيقوا الى الاستفتاء الذى أحاله جيش الاحتلال الفرنسى مهرجانا له (٢٢) .

وحتى تستمر ثقة الجزائريين بالجبهة فانها حرصت على استمرار تحديها الدائم لكل حكومة فرنسية حتى ولو كانت قوية ، وانطلاقا من هذا المبدأ فتحت الجبهة ميدانا ثانيا لعدوها الفرنسى فى مقر داره بفرنسا (٢٢) ، وذلك بقيام فدائييها باضرام النار فى مخازن البترول ، وأيضا فى بعض الناقلات الراسية فى ميناء مرسيليا وكذلك ضربهم بعض

أهداف شرطية وعسكرية فرنسية مما جعل الحكومة الفرنسية تحسب حسابهم (٢٣) • وذلك لتبرهن على استمرارية وقوة جبهة التحرير ، كما عملت الجبهة على رفع معنويات شعبها الجزائرى الذى سيق الى معركة الاستفتاء ، فكان ان أعلن برلمان الثورة الجزائرية فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٩ فى القاهرة والرباط وتونس تشكيل الحكومة المؤقته للجمهورية الجزائرية (٢٤) منفذا بذلك قرار فبراير ١٩٥٨ الذى اتخذته لجنة التنسيق والتنفيذ ، ولكنه أرجأ نتيجة للظروف الدولية التى سبق ذكرها •

٥ ــ نشأة الحكومة المؤقتة :

وقد تولى رئاسة هذه الحكومة التى اتخذت من القاهرة وتونس مقرا لها ــ فرحات عباس ، وقد قيل حول توليه أنه جاء لرئاسة هذه الحكومة نتيجة انعدام الثقة بين أفراد الثلاثى : كريم بلقاسم ، عبد الحفيظ بوصوف ، الأخضر بن طوبال الذين سيطروا على لجنة التنسيق والتنفيذ ، وأشارت اليهم أصابع الاتهام فى قضية مصرع رمضان عبانة أبرز قادة الثورة الجزائرية الذى سيطر على مؤتمر وادى الصمام ، وكان فى امكان كريم رئاسة هذه الحكومة ، ولكن بوصوف وبن طوبال ما كان يقبلا (٢٥) ذلك ، وقد تولى الأخيران منصبا وزيرا التسليح والداخلية ، بينما تولى كريم بلقاسم منصب نائب الرئيس ووزير الدفاع ، ثم احتفظ فى وزارة ابن خده بمنصب نائب الرئيس وأسندت اليه وزارة الخارجية ونلمس من هذا الصراع داخل الثورة مدى سيطرة الاتجاه العربى والاسلامى عليها ، بدليل ان هذا الاتجاه سعى الى شجب العناصر التى كانت تخالفه ، والدليل على ذلك تصفية رمضان عبانة الذى كان متأثرا بالجدل الماركسى ، وبنظريات ماوتسى تونج الاشتراكية ، وان لم يرد ذكر لربط الاشتراكية بالاسلام فى مؤتمر وادى الصمام (٢٦) ، ويبدو أن رمضان عبانة فى محاولاته فرض أفكاره الماركسية كان يستند على أغلبية ، مما جعل الثلاثى بوصوف ، وبن طوبال ، وبلقاسم من تمكن رمضان عبانه من جر الثورة الجزائرية الى منعطف شيوعى عليها منه وخاصة بعد حصول الجزائر على الاستقلال ، وتصبح دولة فى أشد الاحتياج الى المعونات المالية والفنية الشيوعية فلم يجدوا بدأ من القضاء عليه ، وقد أشارت جبهة التحرير وقتها الى انه لقى مصرعه أثناء قيامه بمهمة تفتيشية على الحدود المغربية (٢٧) • ولكن ثمة صراع جديد نشأ بين كريم بلقاسم وبوصوف ، وبن طوبال ، وتحالف الأخيران وهما أبناء بلدة واحدة هى ميله (٢٨) ضد بلقاسم ، وقد أفاد هذا الصراع بعض المعتدلين مثل فرحات عباس فى تقلد السلطة اذ رأت فيه الثورة الملاذ الذى يغنيها عن الولوج فى هذه المهاترات التى قد تضرها •

وقد أوضحت الحكومة الجديدة ان مقرها النهائى سوف يكون على الأرض الجزائرية ، والى ان يصبح هذا فى حيز الامكان ، سوف يقيم الوزراء فى عواصم الحكومات الصديقة · وقد هيأ تأليف الحكومة المؤقتة دفعة قوية لمعنويات الثوار فقد حققوا شرعيتهم على صعيد الكيان الدولى رغم اعتراف الدول العربية ، ودول المعسكر الشرقى بهم (٢٩) وتجاهل حكومة باريس لهذا الكيان الرمزى للدولة الجزائرية التى يحارب ثوارها من أجل استقلالهم ·

٦ ـ أساس سياسة الحكومة المؤقتة :

١ ـ **الوفاء للماضى** : رغم احتلال الفرنسيين للجزائر فى سنة ١٨٣٠ . ومحوهم الدولة الجزائرية ، فان هذه الدولة بقيت ذكرى استطاع الثوار بعثها من خلال الحكومة الجديدة ·

٢ ـ تعهد الحكومة أمام الشعب الجزائرى بتحقيق الحرية والعدالة والتحرر الاجتماعى ·

٣ ـ وضعها أسس المفاوضات مع فرنسا التى تتلخص فى حق الشعب الجزائرى فى الاستقلال وتقرير المصير

٤ ـ الايمان بالوحدة الفيدرالية المغربية ، وبعروبة الجزائر ، بدليل اشارتها الى أن الجزائر جزء لا يتجزء من العالم العربى ، وبأن معركة التحرير مطلب يخلو من التعصب الدينى الذى كانت تشير اليه فرنسا دائما ، وربما كانت الحكومة المؤقتة تحاول نفى ذلك حتى تكسب تعاطف الرأى العام الدولى معها ·

٥ ـ تحديد سياستها فيما يتعلق بتسوية القضية الجزائرية مع فرنسا والأقلية الأوربية وذلك بتعهد الحكومة الجزائرية الجديدة بمنحهم حق المواطنة ، وكل الضمانات الأساسية لمصالحهم المشروعة اذا رغبوا فيها ، أما اذا رغبوا فى أن يبقوا كفرنسيين فسيكون نظامهم نفس نظام الأجانب المعمول به فى جميع أقطار العالم المتحضر ·

أما عن العلاقات بين الجزائر ـ فى حالة استقلالها ـ وفرنسا فان الحكومة الجديدة أوضحت انها ستقوم على أساس المساواة ليس مع فرنسا فحسب ، بل مع كافة دول العالم وذلك لقطع دابر كل ظل للتسلط العسكرى والسياسى والاقتصادى (٣٠) كما أعلنت الحكومة المؤقتة عن احترامها لميثاق الأمم المتحدة ، وحقوق الانسان ، واتفاقات جنيف الخاصة بأسرى الحرب ، وهذه المواثيق التى عبرت عنها الحكومة

المؤقتة الجزائرية تعتبر القاعدة الأساسية لهـذه الحكومة فى الميـدان الدولى (٣١) ٠

واذا كان اعلان الحكومة المؤقتة فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٨ (٣٢) قد حقق الشرعية الدولية للثورة الجزائرية ، وذلك من خلال الاعترافات الدولية بها ، فان الحكومة بهذا الاعلان ، وأعلانها عن سياستها تكون قد مهدت الطريق لاعداد المفاوض الجزائرى الرسمى الذى سيفاوض الفرنسيين على أساس استقلال الجزائر السياسى والاقتصادى ٠

الفصل السابع عشر

المفاوضات والاستقلال

أوضحت جبهة التحرير الوطني الجزائرية منذ البداية شروطها للتفاوض مع الفرنسيين اذ طالبتهم في بيانها ـ الذى صدر عقب أحداث الساعات الأولى من صباح أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ـ ب :

١ ـ الاعتراف بالقومية الجزائرية فى بيان يلغى كل آثار التبعية الجزائرية لفرنسا ٠

٢ ـ التفاوض مع ممثلى الشعب الجزائرى للاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التى لا تتجزأ ٠

٣ ـ تحقيق جو من الثقة باطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين سواء الذين اعتقلوا قبل الثورة ، أم المناضلين فيها (١) ٠

(أ) المفاتحات الفرنسية :

منذ وزارة منديس فرانس Mandez France ـ التي أسقطتها الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٥ فبراير سنة ١٩٥٥ بسبب سياستها فى شمال أفريقيا (٢) ـ وما تلاها من وزارات ـ دأبت السياسة الفرنسية على جس نبض الجبهة لمعرفة شروطها فى انهاء الحرب الجزائرية ، وقد تمت هذه المفاتحات التى مارستها السياسة الفرنسية فى : القاهرة روما ، وبلجراد ، ونيويورك ولما تأكدت السياسة الفرنسية من تمسك الجبهة بشروطها التى أعلنتها فى بيان أول نوفمبر ١٩٥٤ ، والذى تكرر فى بلاغها الموجه الى الرأى العام الفرنسى سنة ١٩٥٤ ، كذلك فى تصريحات فرحات عباس أول رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية سنة ١٩٥٨ خاصة وأن مؤتمر جبهة التحرير الذى انعقد فى مؤتمر وادى الصمام قد أصر

على ضرورة الوصول الى تنفيذ هذه المطالب (٢) • وسنلمس من خلال بحثنا مسلك السياسة الفرنسية الاستطلاعى ، والجاد تجاه المفاوض الجزائرى المطالب باستقلال بلاده ، ففى خلال شهرى مارس وابريل سنة ١٩٥٦ (٣) جرت مفاتحة بين السياسة الفرنسية ، وجبهة التحرير فى القاهرة ، وقد مثل الطرف الأولى : بيجارا Bigura وجروس Gross ممثلى جى موليه Guy Mollet رئيس الوزراء الفرنسى ، وقد اقترح الجزائريون فى هذا المحادثات الاستطلاعية عدة مقترحات لعقد مؤتمر سلام بين فرنسا والجزائر ولكنهم لم يتلقوا اجابة من الجانب الفرنسى ، ولعل الحكومة الفرنسية كانت ترمى من وراء هذه المفاتحة الى استطلاع نوايا الجانب الجزائرى فقط ، بدليل عدم صدور رد من الجانب الفرنسى (٤) • غير أن هذه الاتصالات قد عادت فى شهر يوليو من نفس العام بفضل جهود الرؤساء ناصر وتيتو ونهرو الذين اجتمعوا فى مؤتمر بريونى وبعده قدمت الجبهة مذكرة طالبت فيها باستعادة السيادة الجزائرية ، وممارستها بحرية وبصورة كاملة وبالاستقلال القومى دون شروط أو تحفظات ، وبحكومة جزائرية تعلن للمفاوضة فى شروط السلام بين فرنسا والجزائر ، وقد قدمته الجبهة الضمانات بقولها : « وسوف يتطلب الأمر شروطا عسكرية معينة واذا تم الاتفاق على شروط وقف اطلاق النار ، فلن تستعصى على الحل أى مسألة تتعلق بمصالح الجانبين » (٥)

وفى شهر يوليو سنة ١٩٥٦ بدأت سلسلة من خمس اجتماعات بين ممثلين عن الجبهة ، وممثلين عن رئيس الوزراء الفرنسى جى موليه فى كل من بريونى ، وروما ، وكان من أبرز المشتركين من الجانب الجزائرى يزيد ، وخيضر ، ومن الجانب الفرنسى بيبركومين Bier Commin من الاشتراكيين البارزين وقد طالبت جبهة التحرير فى هذه المحادثات بضرورة الوصول الى تسوية عامة قبل وقف اطلاق النار فى الجزائر ، واعتراف فرنسا بحق الجزائر فى الاستقلال ، واقامة حكومة جزائرية مؤقتة حتى تتيح الفرصة لتحقيق وقف اطلاق النار بسرعة ، وللبدء فى المفاوضات بين فرنسا والجزائر ، بينما لم تتعد الاقتراحات الفرنسية قدرا معينا ، ومحدودا جدا من الحكم الذاتى الداخلى ، كما أحاطت الجبهة مسيو كومين برغبتها فى اجراء حوار رسمى بدلا من ذلك شبه الرسمى وقد أجيب لهذا الطلب ، كما وافق الجانب الفرنسى على سفر وفد الجبهة للتشاور مع الجماعات الأخرى للجبهة ، وخلال فترة المفاوضات ، طلبت الحكومة الفرنسية من حكومتى تونس ومراكش الاعداد لحوار بين ممثلى الجزائر ، وفرنسا اذا أمكن ، وأن تشارك فيه تونس ومراكش أيضا ، كما أفصحت الجبهة لكومين عن نيتها فى ارسال وفد للتشاور مع زعماء

تونس ومراكش في مؤتمر حدد له آخر أكتوبر في العاصمة التونسية ، غير أن الطائرة المغربية التي كانت تقل بعض زعماء الجبهة قد أرغمتها المقاتلات الفرنسية على الهبوط في الجزائر وقبضت على من فيها وسجنتهم دون ان توجه تهمة لهم في ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وقد أدى هذا الحادث الى نسف هذه المحادثات .

(ب) تعثر المفاتحات :

عادت الحكومة الفرنسية للتفاوض مع الجبهة مرة أخرى في شهر يوليو سنة ١٩٥٧ ــ رغم أنها أطلقت من قبل أبواق دعايتها واصفة الجبهة بالافتقار الى المتحدث الشرعي الذي يمكن التحدث معه ــ الا أن بعض الحوادث قد تسببت في فشل هذه المفاتحات التي تتلخص في ايفاد الحكومة الفرنسية لأحد مبعوثيها وهو بريسونير مستشار وزير الخارجية الفرنسي في وزارة بورجيس مانوري Bourges Manourey الى تونس أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للنقابات العمالية الحرة ، وتصادف وجود بعض شخصيات من الجبهة كالدكتور الأمين دباغين ، ويزيد في تونس العاصمة ، وقد حاول بريسونير ــ عن طريق أحد زعماء العمال الجزائريين ــ الاتصال بيزيد ، الذي أبلغه ــ عن طريق أحد الوسطاء ــ بأنه سينقل رغبته الى المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، وأنه ليس مفوضا في القيام بمباحثات شخصية . غير أن المبعوث الفرنسي عاد بعد قليل الى باريس ، وزد الفرنسيون بتعليمات مرنة ، الا أن مهمته حسر عنها النقاب مما حدا بالجبهة الى الانكار رسميا في مذكرتها لسكرتير عام الأمم المتحدة ، والتي وصفت مهمة بريسونير في تونس بأنها مناورة فرنسية رسمية لا يمكن بأية طريقة ان تنتج عن رغبة حقيقية في حل المشكلة الجزائرية بالوسائل السلمية ، ولكنها دبرت بحيث تقع في نفس الوقت الذي طلب فيه عشرون عضوا من الأمم المتحدة قيد المسألة الجزائرية في جدول أعمال الدورة الثانية عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ..

وقد نتج عن حادثة بريسونير ، تدعم مركز فريق السياسيين الذين لا يثقون في نزاهة الحكومات الفرنسية ، واشترطهم اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر قبل اجراء أية مفاوضات ولكنهم لم يمانعوا في مواصلة استطلاع نوايا فرنسا ، وربط القضية الجزائرية بالمعتدلين في المجال الدولي ، وبعد فترة من التعاون الوثيق مع تونس ومراكش في سنة ١٩٥٦ ، وأوائل سنة ١٩٥٧ وسعت الجبهة نطاق اتصالاتها مع العالم العربي (٦) .

(ج) المساعى الدولية للتفاوض :

بذلت تونس ، ومراكش ، ومجموعة الدول الأفريقية الآسيوية مساعيهم من أجل خلق ظروف مناسبة لاجراء مفاوضات بين الجبهة والحكومة الفرنسية ففى أواخر نوفمبر سنة ١٩٥٧ تقابل الملك محمد الخامس ، وبورقيبة بحضور ممثلين عن الجبهة ، واقترحت الحكومتان بدء مفاوضات ، وعرضنا مساعيهما الحميدة لأنهما على حد قول الدولتين « سوف تنتهى بحل عادل يؤدى الى تأكيد سيادة الشعب الجزائرى وفقا لمبادىء ميثاق الأمم المتحدة » ورفضت الحكومة الفرنسية هذه الوساطة بحجة عدم حياد تونس ومراكش فى الصراع ٠

لم تتوقف الجهود الدولية من أجل عودة المفاوضات بين الجبهة وفرنسا بفشل جهود تونس ومراكش ، ففى ١٧ يوليو طلبت مجموعة الدول الأفريقية الآسيوية ادراج مسألة الجزائر فى جدول أعمال الدورة الثانية عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وفى منتصف سبتمبر طلبت الجبهة من الأمم المتحدة اعلان عجز فرنسا السياسى ، وفى أوائل أكتوبر أعلنت الجبهة عن رغبتها فى التعاون الكلى مع الأمم المتحدة موضحة « ان أى حل سلمى يجب التفاوض بشأنه بين الجبهة وفرنسا ، وأن اشتراك تونس ومراكش ضرورى وأن مؤتمرا من هاتين الدولتين مع فرنسا والجبهة » أمامه كل الفرص لخلق الظروف المؤدية الى تسوية سياسية سريعة للمشكلة الجزائرية « وأضافت الجبهة » ان التسوية السلمية لمشكلة الجزائر بطريق التفاوض يجب أن ترضى أمانى الشعب الجزائرى الحريص على الاستقلال وجبهة التحرير على استعداد لبحث أى شكل للتعاون الحر بين فرنسا وشمال أفريقيا وأن يأخذ مثل هذا التعاون فى أعتبار مصالح فرنسا المشروعة ولعل الجبهة تعيد أمنيتها فى ربط الكفاح بين أقطار شمال أفريقيا، التى لم يتح لها التحقيق على حد قول الجبهة (٧) حتى تضمن الجبهة استمرار تأيد تونس ومراكش لها فى صراعها ضد السياسة الفرنسية وذلك فى حالة عدم قبول الأخيرة لمساعى تونس ومراكش اللتين ستبذلان جهودهما من أجل التقاء أطراف الصراع معا على مائدة مفاوضات واحدة ، وأن هذا اللقاء الذى تترقبه الجبهة سيؤدى الى تسوية للمشكلة الجزائرية ، الا ان الجبهة قرنت هذه التسوية برضاء الشعب الجزائرى — الراغب فى الاستقلال — عنها ، مقابل بحث أوجه التعاون بينها وبين فرنسا على أن يأخذ هذا التعاون فى الاعتبار المصالح الفرنسية (٨) ولعل المطلب الأخير كان لمجرد سحب البساط من تحت أقدام العناد الفرنسى واغرائه على التفاهم ٠

وفي المناقشة التي دارت في الأمم المتحدة في نوفمبر وأوائل ديسمبر سنة ١٩٥٧ حظي موقف الجبهة المعتدل ، وسياستها الموحدة مع تونس ومراكش بتأييد الغالبية ففي ١٠ ديسمبر أصدرت الجمعية العامة قرارا وسطا تحيط فيه علما بغرض المساعي الحميدة لتونس ومراكش ، ويعرب عن « الرغبة في الدخول في محادثات للوصول الى حل يتفق مع أغراض ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه » ، وفي بيان رسمي صدر بعد المناقشة لاحظت الجبهة بالرضا الموافقة على القرار ، واعادة تأكيد رغبتها في اجراء مفاوضات للوصول الى تسوية سلميه تتفق وأغراض الميثاق ، وعلى الأساس الذي حدد في بيان محمد الخامس ، وبورقيبة . وبينما أعربت الجبهة رسميا عن رضاها عن القرار ، فقد ساءها هزيمته بسبب بطء فهم الولايات المتحدة والغرب للقضية الجزائرية ، غير أن الجبهة عادت في أواخر يناير سنة ١٩٥٨ ، شاكية الى سكرتير عام الأمم المتحدة من تجاهل فرنسا لتوصيات الجمعية العامة ، والدعم المادي لفرنسا من قبل الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي ، واتحاد المدفوعات الأوربي مما يشكل على حد قول الجبهة اشتراكا في الحرب الاستعمارية في الجزائر (٩) .

(د) فشل الاتصالات السرية :

على أثر معركة الاستفتاء التي انتهت لصالح الجيش الفرنسي ، ووصفتها الجبهة بأنها مسخ للتقدم الديمقراطي ، بدأ الجنرال ديجول De Gaulle في تنفيذ خطة جديدة من أجل تجديد شباب فرنسا ، وامكانية انشاء اتحاد فرنسي افريقي وقد اعتمدت هذه الخطة الى حد كبير على تحقيق السلام في الجزائر ، وقد قاد هذا المنطق ديجول الى القيام باتصالات سرية مع ثوار الجزائر ، وذلك بعد تولية السلطة مباشرة ، ومن يوليو الى أكتوبر ١٩٥٨ تردد الوسطاء بين الجانبين ، ودعا ديجول الجبهة أن ترسل ممثلا لها الى باريس للقيام بمحادثات ، كما أوضح في نفس الوقت ان سلوكه في الجزائر مثل : ارسال الامدادات للجيش الفرنسي ، وتعيين (جاك سوستيل) المقيم العام الفرنسي السابق في الجزائر كوزير للاعلام لا يعني الحاق الضرر بالتسوية الفرنسية للمشكلة الجزائرية . ورفضت الجبهة مقابلة ديجول في باريس ،طالبة ان يكون اللقاء أما في سويسرا أو ايطاليا . وقد تصادفت هذه الاتصالات مع قيام الحكومة المؤقتة الجزائرية ، التي بحثت طلب ديجول في الوقت الذي اذاع فيه الأخير أمر هذه الاتصالات السرية ، وفي نفس الوقت دعا الجزائريين الى ارسال ممثلين عنهم الى باريس لمناقشة وقف اطلاق النار ، فبالنسبة للسياسيين طلب منهم التوجه إلى السفارات الفرنسية في تونس أو الرباط للحصول على جواز سفر آمن الى باريس وبالنسبة للثوار في ساحة القتال عليهم

رفع العلم الأبيض (١٠) وقد أغضب هذا التصريح - الذى اطلق عليه ديجول « سلام الشجعان » - الثوار الجزائريين ، كما أغضب فريق العسكريين منهم الذى فسر عرض ديجول على أنه الاستسلام ، وتولد انطباع الجميع بأن ديجول يحاول ضرب الطرفين ببعضهما .

وعلى الصعيد السياسى رفضت الحكومة الجزائرية المؤقتة سلام الشجعان ، وفسرته على أنه الاستسلام ، وربما كان عامل الثقة غير المتوافر من الجانب الفرنسي وراء رفض الحكومة الجزائرية لعرض ديجول كما يبدو من تعليق عباس فرحات على عرض ديجول (١٢) وازاء رفض الثوار الجزائريون لسلام الشجعان ، مضى ديجول فى تنفيذ اصلاحاته ، بجانب معالجة المشكلة الجزائرية عسكريا ، والدليل على ذلك : تصريحات المسئولين العسكريين الفرنسيين ، ففى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٩ صرح قائد قوى الأمن فى مدينة الجزائر الكولونيل جودار بأن الفرنسيين قادرون على خنق الثوار خلال الأشهر القادمة ، كما صرح الجنرال شال قائد القوات الفرنسية فى الجزائر لجريدة لوموند الفرنسية فى ٥٩/٤/٢١ (١٣) « بأنه فى الامكان ايجاد حل عسكرى للقضية الجزائرية » ، ولكن صمود الجبهة أمام هذه المناورات جعل فرنسا تعود الى تنويع حلولها على الجزائريين الذين يأسوا من تعهدات الحكومة الفرنسية التى أفلتت قبضتها على المستوطنين الذين كانوا يرون فى دمج الجزائر بفرنسا وسيلة لحل المشكلة الجزائرية ، ولما كان الثوار الجزائريون يرفضون هذا الرأى فان معنى ذلك استمرار القتال بينهم وبين الفرنسيين والذى كلفت نفقاته الخزانة الفرنسية مبلغ تسعمائة مليار فرنك سنة ١٩٥٩ (١٤) مما يشكل عبئا على الخزانة الفرنسية التى أرهقتها تكاليف الحرب الجزائرية مما جعل الحكومة الفرنسية تفكر فى فتح جبهة ثانية ، وذلك باحيائها الحركة المصالية كقوة منافسة للجبهة ، التى سيطر على زمام الأمور فيها فريق المتشددين الذى رفض عروض الجنرال ديجول المتنوعة (١٥) التى عرضها على الجبهة فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ والتى نالت تأييدا دوليا واسعا وسط الجهود الدولية المبذولة لايجاد حل للقضية الجزائرية وفى هذه الأثناء استقبلت الصين الشعبية باحترام وفدا رسميا للحكومة المؤقتة الجزائرية ، وقد خاطب وزير التسليح الجزائرى القوات المسلحة الصينية مشيرا الى تقدير المحاربين الجزائريين لجيش التحرير الصينى مطالبا بتدعيم الروابط الأخوية بين الجزائر والصين ، وقد أدى الاستقبال الحار للوفد الجزائرى الى رفع مكانة الجزائر فى أعين الافريقيين المؤيدين للقضية الجزائرية (١٦) .

قدمت ٢٢ دولة آسيوية فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥ مشروع قرار يدعو لتقرير المصير والاستقلال للشعب الجزائرى ، كما يدعو الجانبين الى

الدخول في مفاوضات في أقرب وقت لوقف اطلاق النار ،وتقرير المصير ، كما أوضح رغبة الحكومة المؤقتة في الدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية ولم يحصل المشروع على أغلبية الثلثين المطلوبة أثناء التصويت وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٩ قدمت باكستان مشروع قرار معدل أشارت فيه الى قرارى الجمعية فى ١٥ فبراير سنة ١٩٥٧ ، ١٠ ديسمبر بشأن الرغبة فى أن تبدأ المحادثات وأن يتم التوصل الى حل يعترف بحق الشعب الجزائرى فى تقرير المصير ، وأن تجرى مباحثات مباشرة للوصول الى حل سلمى ، وقد هزم المشروع لعدم حصوله على أغلبية الثلثين المطلوبة وعلى أثر رفض المشروع أعلن الجزائريون أن القتال لن يتوقف الا بعد الاتفاق على الضمانات التى تكفل حق تقرير المصير (١٧) ٠

وتظرا للعوامل الداخلية والخارجية التى طرأت على القضية الجزائرية عقد المجلس الوطنى للثورة الجزائرية اجتماعا بطرابلس الغرب من ١٦ ديسمبر ١٩٥٩ الى ١٨ يناير سنة ١٩٦٠ ، درس أوضاع الثورة على المستويات السياسية والعسكرية والدبلوماسية كما أدخل تعديلا على الحكومة المؤقتة ، واختتم المجلس الوطنى للثورة الجزائرية اجتماعاته ب : تنظيم المعونات الخارجية ، وتأكيد فاعليتها ، الاجماع على تقرير المصير والتأسف لتهرب الحكومة الفرنسية من المفاوضات ، شكر البلدان العربية والافريقية والآسيوية وتقدير تعضيد البلدان الاشتراكية (١٨) ٠

هذا فى الوقت الذى نجحت جبهة التحرير الوطنى الجزائرى فى فرض قضيتها على الرأى العام الفرنسى فامتدت معارضة الحرب الى قطاعات كبيرة من الرأى العام الفرنسى ، كما بذلت الجبهة جهودها للحصول على تأييد الدول الافريقية الحديثة الاستقلال لطلب الجبهة طرح استفتاء حر تشرف عليه الأمم المتحدة ، وقد أيدهم فى مطلبهم هذا رؤساء يوغسلافيا والهند أيضا ، وكانت نتيجة جهود الجبهة فى هذين المجالين وقوع فرنسا تحت ضغط داخلى وخارجى عنيف (١٩) تمثل فى انقسام الرأى العام الفرنسى نتيجة أعمال العنف والفظائع وحوادث التمرد كتمرد مستوطنى الجزائر ضد ديجول ، وضغط خارجى تمثل فى قيام وساطة دولية بذلت من أجل انهاء الحرب الجزائرية ٠

(هـ) الجانب الجزائرى :

أما على الجانب الجزائرى فقد أصر الجناح المتشدد ، على أن تظهر الحكومة الجزائرية المؤقتة فى صورة عدم التلهف ، وأن تطلب ضمانات لوقف اطلاق النار من جانبها ، وحرصا من الحكومة المؤقتة على وحدة

الصف الجزائرى أصدرت بيانا عكست فيه مطالب الجانب المتشدد من الجبهة الذى زاد فوق هذه المطالب بطلب اشتراك بن بله ورفاقه سجناء البعثة الخارجية في المفاوضات ، ولكن طلبات الجناح المتشدد فى الجبهة لا وقت الرفض من ديجول الذى نالت حلوله الثلاثة التى عرضها على الجزائريين تأييدا دوليا ، رغم المظاهرات الصاخبة التى قامت بها الجالية الأوربية فى الجزائر ضد ديجول لأن معنى القبول بطلبات الجناح المتشدد فى الجبهة يعنى انقلاب العسكريين عليه فى الجزائر . ومن ثم أدى عناد الجانب الجزائرى ، ورفض الجانب الفرنسى لمطالبه الى تباعد فرص التقارب بين الجانبين المتحاربين (٢٠) .

وقد دفع التباعد بين الجانبين الى تصاعد موجة من العنف بينهما وصلت الى درجة الذروة رغم مساعى السلام ، فعلى الجانب الفرنسي كان الجيش يرمى بثقله لاخماد الثورة ، فى نفس الوقت الذى صعدت فيه الجبهة من نشاطها العسكرى أما خارج الميدان العسكرى فلم تحدث حلول ديجول التى كان يرمى من ورائها الى اجتذاب العناصر المعتدلة فى الجبهة . أثرا يذكر ، بينما أحدثت السياسةالديجولية رد فعل قويا بين أوساط المستوطنين ـ الذى أنبرى أحد زعمائهم وهو الجنرال جاك ماسو Jacque Massu ـ أحد قادة انقلاب ١٣ مايو والذى كان يتمتع بشعبية بين أوساط المستوطنين للادلاء بتصريح فى أوائل يناير سنة ١٩٦٠ قال فيه « ان الجيش قد يضطر أحيانا الى عدم الرضوخ لأوامر الحكومة » . ومع أن ديجول بادر الى طرد ماسو من الخدمة فى الجيش الفرنسى ، الا أن طرده من الخدمة كان أحدا الدوافع التى دفعت الى تمرد المستوطنين على ديجول ، وذلك بمحاولتهم الاستيلاء على السلطة فى الجزائر ، الا أن ديجول أصدر أوامره للجيش الفرنسى بقمع التمرد ونجح الجيش فى ذلك .

(و) مفاوضات ملان :

ركن ديجول بعد ذلك الى التفاوض ، ففى ١٤ يونيو سنة ١٩٦٠ دعا الجبهة الى الدخول فى مفاوضات للوصول الى نهاية مشرفة للقتال ، وتسوية رضمان مصير المقاتلين وأرسلت الجبهة وفدا يمثلها الى باريس للقيام بمحادثات تمهيدية للاتفاق على : جدول الأعمال ، وتطورات المفاوضات ، وذلك بعد أن مهد لها بعض المسئولين الجزائريين والفرنسيين وقد مثل الجانب الجزائرى : بومنجل ، ومحمد بن يحيى ، وحقيقى ، والجانب الفرنسى : دولوس Doulouse، موريس General Gastin Maurce ولكن فشل وفد الجبهة فى الاتفاق مع الفرنسيين على الأمور الشكلية ومنها

اشارة بومنجل الى أن دوره فى المفاوضات يقتصر على اقتراح عقد اجتماع بين ديجول وعباس فرحات ، ولكن الوفد الفرنسى لم يمانع ولكنه بين استحالة اللقاء بين ديجول وعباس فرحات فى الوقت الذى يقتل فيـــه الجنود الفرنسيين ، وأجاب بومنجل ان الجنود الجزائريين يقتلون أيضا وأن الهدنة تقوم نتيجة اتفاق ، وأدى هذا التشدد بين الفريقين المتفاوضين الى فشل المحادثات ·

وقد عقب على بومنجل على هذه المفاوضات الفاشلة بقوله « اننا لسنا زعماء عصابة ولكننا قادة ثورة ، ونحن لا نذهب لكى نستسلم ، ولكننا لن نلبى دعوة للتفاوض (٢١) ·

(ز) تطورات المفاوضات

١ ــ بــدأ رئيس الــوزراء ميشــــيل دوبريه Michel Dopree فى اصدار تصريحات متشددة للسياسة الفرنسية تجاه الجزائر ، ومن ذلك قوله « أنه مهما كانت نتيجة الاستفتاء فان فرنسا لن تقبل الانسحاب من الجزائر ولابد أن تكون المشرفة على الاستفتاء » (٢٢) · ويبدو أن دوبريه كان يريد بهذه التصريحات طمأنة المعارضين للسياسة الديجولية فى الجزائر والذين مازالوا يتحركون ، ويحركون معهم المســـــتوطنين للمحافظة على امتيازاتهم فى الجزائر المستقلة ، ومن هنا فان الجبهة كانت تتصدى لكل تغيير تسمح به حكومة باريس لصالح الوطنيين الجزائريين ، مما اضــطر الحـكومة المؤقتة الى توجيه نداء (٢٣) الى أوربيى الجزائر فى فبراير سنة ١٩٦٠ شرحت فيه وضعهم فى ظل الجزائر المستقلة (٢٤) على لسان فرحات عباس رئيس الوزراء وقتذاك ، ولكن رغم ذلك عاد معارضو السياسة الديجولية يطلون برؤوسهم من جديد ذلك ان ثمـة منشورات مناهضة للسياسة الديجولية فى الجزائر قد وزعت فى أوساط الجيش الفرنسى تدعو للاستعداد لتمرد جــديد ضــد ديجول لا سيما وأن الرأى العام الفرنسى قد انقسم على نفسه بسبب تطورات القضية الجزائرية ولم يعد الخلاف قاصرا على الصعيد الســياسى بين اليمين ، واليسار على المشكلات الاستعمارية ، بل انضمت فئات كثيرة الى معارضة الحرب الجزائرية ، وكان أشهرها بيان الأدباء والمفكرين من أمثال جان بول سارتر ، وسيمون دى بوفوار ، وفرانسواز ساجان والذين دعوا فيه الى اهمال الأمور التى لا تتفق مع المبادىء الانسانية ، كما انضم رجال الكنيسة أيضا الى التنديد بأعمال التعذيب ، ثم جاءت محاكمات المتهمين فى تمرد مدينة الجزائر والتى كانت مثار مظاهرات معادية للديجوليــة نادت بتولى الجيش السلطة (٢٥) ·

٢ ـ حدث تطور جديد طرأ على السياسة الفرنسية فى الجزائر حين طرح ديجول اقتراحا بأن تكون للجزائر أنظمتها ، وادارتها الخاصة ، وهو ما عبر عنه بعبارة « الجزائر الجزائرية » ، فقال ان ذلك سيتضمن اقامة جمهورية يمكنها ان تتحد اتحادا فيدراليا مع فرنسا (٢٦) ، وبذلك اقتصرت عروض ديجول الثلاثة والتى سبق الاشارة اليها الى العرضين : الثانى وهو الاتحاد الفيدرالى ، والعرض الثالث وهو الاستقلال ، غير أنه قرن العرض الثالث بتقسيم الجزائر ، وكان ديجول يعتمد فى تنفيذ خطته الجديدة على ايجاد قوة جديدة ليست من الأوربيين ولا من أنصار الجبهة ، وربما توقع ديجول وجودها بين النواب المسلمين فى البرلمان الفرنسى ، ولكن هؤلاء لم يكونوا على استعداد لمعاداةالجبهة ، لذلك نصح بعضهم ديجول بالتفاوض مع الجبهة ، وتأكد ديجول من هذه الحقيقة أثناء زيارته للجزائر فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ حينما ذهب الى هناك لجس النبض ، وشرح سياسته الجديدة فكان أن طرحت الجبهة أمامه ثقة الجماهير الجزائرية بها كقوة يستطيع التفاوض معها اذا أراد التفاوض مع الشعب الجزائرى ، وامتثل الشعب الجزائرى لدعوة الجبهة له بالاضراب (٢٧) .

٣ ـ وعاد ديجول من الجزائر بعد طرح جبهة التحرير أمامه ثقة الجماهير بها ، واجتازت ذلك بنجاح ساحق ، وهو مقتنع باستحالة سياسته الجديدة ، وأخذ يمهد السبيل للخطوة التالية ، وكانت عقبتان رئيسيتان قد حالتا دون قيام مفاوضات فرنسية مع الثوار الجزائريين . الأولى هى عدم الرغبة فى الاعتراف بالجبهة كطرف شرعى فى النزاع ، والثانية اشتراط فرنسا أن تقتصر المفاوضات على وقف اطلاق النار لمدة شهر ، وتركت مهمة تطبيق هذا القرار وتوضيحه الى نائبها العام فى الجزائر جان موران Jean Morran والى الجنرال جامبيز Gambeez الذى أكد ان هذا القرار يقتصر تنفيذه على بعض المناطق الجزائرية التى يعتبرها الجيش الفرنسى هادئة الهدوء الكافى كما أوضح جامبيز ان الجيش الفرنسى سيستمر فى اخضاع السكان المدنيين لسيطرته وردت الجبهة بأن قرار الحكومة الفرنسية لا يشمل أى ضمان للشعب الجزائرى ، وأنها لن تتقيد به بأى حال من الأحوال (٢٨) .

غير ان الموقف الفرنسى المتشدد أخذ فى التحول ، فلم تعد الحكومة الفرنسية تعامل مندوبى الجبهة على قدم المساواة فحسب ، بل اعترفت بالجبهة كمتحدث شرعى باسم الجزائر ، وكان وراء ذلك عدة دوافع هى : ازدياد نفوذ الجبهة فى الجزائر ، ولمس ديجول بنفسه هذا النفوذ حينما طرحت الجبهة على الجماهير الجزائرية شعبيتها خلال زيارته

للجزائر كما أسلفنا تأييد الفرنسيين لسياسته الجزائرية من خلال الاستفتاء الذى طرحه على مواطنيه فأيده ٧٠٪ من الأصوات ، تجدد الوساطة المغربية التونسية ، نجاح جهود الجبهة على المحور الدولى فى حشد رأى عام دولى يستنكف الأعمال الفرنسية الوحشية فى الحرب الجزائريه . وكادت هيئة الأمم المتحدة أن تصدر توصياتها التى تستنكر التصرفات الفرنسية لولا نقص صوت واحد لموافقة الجمعية على الاستنكار ، ابداء الولايات المتحدة الأمريكية استعدادها للتوسط بين الطرفين مما دفع ديجول الى الاقتناع بأن حليفته الكبرى بصدد ان تغير موقفها ، وكانت السياسة الأمريكية ازاء الجزائر تتأرجح بين عاملين : الرغبة فى المحافظة على حلف الأطلنطى الذى تبدو فيه فرنسا كعضو بارز يدفع الولايات المتحدة الى التيار المؤيد للموقف الرسمى الفرنسى بشأن قضية الجزائر ، والعامل الثانى هو انبثاق شطر كبير من الرأى العام فى الولايات المتحدة يؤيد التيار التحررى الذى تتزعمه الجبهة ، وقد تسيد العامل الأول السنوات الأولى من الثورة الجزائرية ، الا أن السياسة الأمريكية قد استقرت أخيرا على رأى هو : طالما ان فرنسا لم تستطع القضاء على الثورة الجزائرية ، فان استمرار الصراع فى الجزائر سيؤدى الى تقرب الجزائريين من الكتلة الشرقية ، انقلاب الجنرالات سالان وشال وجوهو ، وزيلر (٢٩) ومحاولتهم الاستيلاء على السلطة فى الجزائر (٢٢ ـ ٦ أبريل ١٩٦١) ، وتمكن ديجول من القضاء عليه .

٤ ـ دفعت هذه العوامل المحلية والدولية ديجول الى السير على طريق اللقاء مع الطرف الآخر فى الصراع وهو الجانب الجزائرى ، وذلك بأعلان الحكومة الفرنسية فى نهاية مارس سنة ١٩٦١ أن المفاوضات مع الجبهة ستبدأ فى أوائل الشهر التالى ولكن الحكومة الفرنسية عادت من جديد الى المناورة وذلك باعلانها على لسان لويس جوكس Louis Goux وزير شئون الجزائر الذى أعلن اعتزام حكومته اجراء مفاوضات مع الحركة المصالية التى ستعامل على قدم المساواة مع الجبهة ، ورد عليه وزير الاستعلامات الجزائرية بقوله : أن مفاوضة الفرنسيين للجلاء معناها طعن المحادثات والتهديد بنسفها ، وأن ممثلى حكومة الجزائر لن يذهبوا الى ايفيان فى هذه الحالة ، كما أضاف أن ممثلى حكومة الجزائر لن يعدلوا عن قرار الغاء المفاوضات الا اذا وافقت الحكومة الفرنسية على شروط ممثلى الحكومة الجزائرية وفى مقدمتها : الافراج عن معتقلى قلعة توركانت (٣٠) للمشاركة فى مسئولية المفاوضات لدورهم التاريخى ، وسلطتهم السياسية كأعضاء فى الحكومة المؤقتة الجزائرية ، وأعلن الفرنسيون أنهم يستعدون للمفاوضات فى

موعدها (٣١) ، وردت الحكومة المؤقتة فى بيان رسمى فى ٢ ابريل سنة ١٩٦١ بأنه اذا اعترفت فرنسا بأن المفاوضات لن تتعدى ايفيان فانه يمكن فى هذه الحالة الدخول فى مفاوضات معها ، ثم طلب وزير الاستعلامات الجزائرى من الحكومة الفرنسية تأكيد جديتها فى اجراء المفاوضات لأنها هى التى تستطيع تعديل الأوضاع التى نجمت عن تصريح لويس جوكس كبير مفاوضيها فى ايفيان • كما وجه رئيس وزراء الحكومة المؤقتة نداء الى الشعب الجزائرى طالبا منه أن يكون مجندا فى المفاوضات مثلما هو مجند فى الحرب (٣٢) كما طلب منه الاتحاد ، واليقظة أمام المناورات الفرنسية ، التى تسعى الى تأجيل المفاوضات •

٥ ـ العقبات التى تعترض طريق المفاوضات :

كانت المشكلات الرئيسية التى طال حولها الجدل تتعلق بضمانات : حرية الاستفتاء ، ووضع المستوطنين فى الجزائر المستقلة ، ثم مشكلة الصحراء فبالنسبة للمشكلة الأولى وهى ضمانات حرية الاستفتاء التى تشدد فيها الجزائريون لا سيما وأن تجاربهم السابقة مع الاستعمار الفرنسى قد دللت على أن الاستفتاء فى ظل سلطة فرنسية غير مضمون ، وانتقلت المناقشة الى بحث فترة انتقالية يساهم فيها الجزائريون مساهمة حقيقية فى السلطة ، وبينما تشدد الجزائريون فى ضمانات سلامة الاستفتاء تشدد الفرنسيون فى الضمانات الخاصة بالمستوطنين وطالبوا بحقهم فى أن يحملوا جنسيتين الجنسية الجزائرية للتمتع بحقوق المواطنة الجزائرية ، والجنسية الفرنسية كى لا تنقطع صلاتهم بالوطن الأم مما يتعارض مع السيادة الجزائرية ، أما مشكلة الصحراء فقد كانت الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر ترى الفصل فيها بين مظهرين متمايزين (٣٣) المظهر الأول السيادة الجزائرية ، والمظهر الثانى فى استثمار الثروات الصحراوية وتعتمد السيادة الجزائرية فى المظهر الأول على عدة اعتبارات هى : عدم الاعتراف بالسيادة الفرنسية على الصحراء ، تحرير كامل التراب الجزائرى بحدوده القائمة سنة ١٩٥٤ ، وأن تعديل الحدود مع الجارات الشقيقات تونس ، المغرب) سوف يتم مع الجزائر المستقلة بدون تدخل من فرنسا التى لا تملك صفة التخاطب باسم الجزائر مع هذه الحكومات التى اعترفت بالحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية (٣٤) •

أثارت بعض الدول موضوع الصحراء كتونس ، وذلك عندما أثار الحبيب بورقيبة مطالب تونس فى جزء من الصحراء (٣٥) أمام الجمعية

الوطنية التونسية وعرض مسألة وحدة الأراضي الجزائرية ومسألة الحدود الجزائرية التونسية لتعليقات خاطئة على حد قول الجبهة تمس وطنية بعض قواد الثورة الجزائرية ، كما تمس في الصميم كرامة الشعب الجزائرى المجاهد ويبدو انه فى حديث بورقيبة أمام الجمعية الوطنية التونسية بعض انتقادات عبرت فيها الجبهة عن أسفها أن تصدر من بورقيبة لأنها تمس وطنية بعض قادة الثورة وكرامة الشعب الجزائرى ، أما المغرب فان الجبهة قد تفاوضت مع الملك الحسن واتفق الجانبان الجزائرى ، والمغربى على معارضة كل محاولة ترمى الى تقسيم التراب الجزائرى واتفقا على أن تعديل الحدود أمر يخص الجزائر والمغرب ولا يمكن تسويته الا بين الدولتين بدون أى تدخل أجنبى (٣٦) ٠

٦ ـ ورغم عروض الجبهة وحلولها ، فلم يسلم الجانب الفرنسى بالجلاء عن الجزائر بسهولة اذ كان النظام الاستعمارى يعتمد فى بقائه بالجزائر على الجالية الأوروبية التى ارتبطت بزيجات عديدة بضباط الجيش الفرنسى العامل بالجزائر ، ومن هنا ارتبطت مصالح الأقلية الأوربية فى الجزائر بالقتال الذى لم يؤد الى نتيجة حاسمة لصالح أى من الجانبين المتحاربين ، ورغم أن الجبهة قد طمأنت هذه الأقلية الأوربية بأن لها مكانا فى الجزائر المستقلة (٣٧) ٠ فى حالة اختيارهم المواطنة الجزائرية ، أما اذا اختاروا المواطنة الفرنسية فانهم سيعاملون كأجانب ، ورغم هذا فان الأقلية الأوربية كانت تساورها الشكوك فى بقاء امتيازاتها فى الجزائر بعد الاستقلال ، ومن هنا كانت الأقلية الأوربية تحدد خطوات المفاوض الفرنسى فى ايفيان فليس من المعقول من وجهة النظر الفرنسية ان يسلم بالاستقلال دون تلقى ضمانات أكيدة للأقلية الأوربية وازاء هذا التعنت استنفرت الجبهة جماهيرها فى المدن والقرى الجزائرية ، فى الوقت الذى عمد فيه الطرف المقابل الفرنسى ، الى التلكؤ والمناورة حينما وصل المفاوضون الفرنسيون والجزائريون الى طرف مشكلة الصحراء الكبرى خاصة بعد الكشوف البترولية فيها ٠ فبينما سلم بومبيدو Bompido باستقلال الجزائر دون الصحراء لأنها على حد قول الأخير خلقها الفرنسيون من العدم وأقاموا بها مشاريع اقتصادية أخرى لهم ، ولا مجال للجزائريين بها ورد عليه بومنجل مؤكدا عدم تسليم الثورة الجزائرية اطلاقا بتسوية حول هذه النقطة وأدى عناد الجانبين الى انقطاع مفاوضات ايفيان فى ٢٨ يوليو سنة ١٩٦١ حتى نهاية العام ٠

٧ ـ بدأ فى الأفق ما يدل على تعقد الأمور بسبب تعنت الجانبين الفرنسى والجزائرى فعلى الجانب الفرنسى : الح ديجول الى امكان تجميع

الرافضين للعيش فى كنف حكومة وطنية جزائرية . وفسر هذا التلميح بأحـــد احتمالين : الاحتمال الأول هو بعث فكرة تقســيم الجزائر من جديد ، الاحتمال الثانى : وقد فسر على أنه حرمان للجزائر من الخبرة الفنية الأوربية وذلك بترحيل الأوربيين من الجزائر .

٨ ـ تعديل الحكومة المؤقتة الجزائرية :

ازاء التعنت الفرنسى أجرى تعديل وزارى فى الحكومة المؤقتـــة الجزائرية خرج فيه فرحات عباس ـ الذى اشــتهر بالاعتــدال ـ من الوزارة ، وحل محله يوسف بن خده (٣٨) وقد فسر الجانب الفرنسى هذا التعديل على أنه إتجاه نحو التشدد ، وذلك بعد يأس الجزائريين من التفاوض مع الفرنســـيين ، وكان وراء الموقف الجزائرى الالتزام الجماعى لأعضاء الجبهة بقرارات مؤتمر وادى الصمام والذى لم يكن فى وسع أحد منهم الخروج عليها .

(ج) طريق السلام :

اتجه ديجول بدون تردد نحو طريق السلام بعد فشله فى قمع الثورة الجزائرية ، بادىء ذى بدىء الحملات العسكرية التى لا هوادة فيها ، الى المناورات السياسية بقصد أحــداث فرقة فى وحدة الصف الجزائرى التى تميزت بها الثورة الجزائرية ، لكن عندما تبين له استحالة الأمور ، وأن التصميم الجزائرى على الاستقلال قائم ، قادته بصـــيرته السياسية نحو الاتجاه الذى ينشده الثوار (٣٩)

شرع ديجول فى التمهيد للانسحاب من الجزائر بالحديث عن : الدور القيادى الذى يود أن تلعبه فرنسا فى أوربا وانسلاخ فرنسا عن تبعيتها لحلف الأطلنطى ، وأنه لتحقيق هذه الأهداف لابد من التخلص من أعباء الحرب الجزائرية ، ودعم هذا الرأى بسـحب بعض القوات الفرنسية العاملة فى الجزائر قبل ابرام اتفاق ايفيان ، وفى هذه الأثناء كانت المنظمة السرية (٤٠) التى تشكلت من أنصار الجزائر فرنسية وتزعمها ســالان تقوم بحوادث تخريبيـــة عنيفة ، وتشيع الارهاب بالجزائر ساعية من وراء ذلك الى القضاء على العنصر الوطنى الجزائرى بهدف تمكين المستوطنين من السلطة ، الا ان ظهورها أدى باليســـار الفرنسى الى التحالف مع الديجوليين رغم الاختلاف معهم فى الســـياسة الداخليـــة .

وقد ساعد ظهور المنظمة الارهابية وحوادثهـا العنيفة على تقريب وجهات نظر فريقى المفاوضين الجزائرى والفرنسى رغم التباعد والعناد الذى سبق المفاوضات وحينما استؤنفت المفاوضات فى ديسمبر بصورة سرية اتفق الجانبان على ضرورة قصر تلك المرحلة بين ثلاثة وستة أشهر، وكان الفرنسيون يريدون فى بداية المفاوضات اطالتها الى نحو عام ، واذا كان الفرنسيون قد اقتنعوا بضرورة وضـع قوات كافية يمكن أن تصل الى ستين ألف جندى من الجزائريين لضـمان سلامة الاستفتاء فانهم تساهلوا فى النهاية فى قبولهم استمرار اشراف الجيش الفرنسى على المدن الجزائرية الكبيرة ، وذلك لاقتنـاع الجبهـة بقـدره الجيش الفرنسى على ضبط ناحية الامن فى مواجهة المنظمة السرية .

وعلى أثر ذلك بدأت الحكومة المؤقتة الجزائرية تعقد سلسـلة من الاجتماعات المتتالية لمناقشة امكان اقرار ذلك الاتفاق ، وبعدها .... سافرت الحكومة المؤقتة الى طرابلس لعرض نتائج المفاوضات على المجلس الوطنى للثورة الجزائرية الذى عقد اجتماعات متواصلة انتهت بأن اصدرت الحكومة الجزائرية المؤقتة بلاغا رسميا فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٦٢ فى تونس قالت فيه : « أن المجلس الوطنى للثورة الجزائرية انهى اجتماعاته وقرر انتداب الحكومة الجزائرية للاستمرار فى المفاوضات مع فرنسـا للوصول الى اتفاق على وقف اطلاق النار فى الجزائر ، ويلاحظ ان كلمة انتداب هذه تعنى ان المجلس الوطنى للثورة الجزائرية اعطى حكومة بن خده تفويضا بمتابعة المفاوضات ، وأعلان وقف اطلاق النار دون الرجوع الى المجلس مرة ثانية .

وما كادت اجتماعات المجلس تنتهى فى طرابلس فى ساعة مبكرة من صباح ٢٨ فبراير ١٩٦٢ حتى غادر جميع أعضائه طرابلس عائدين الى تونس والجزائر بعد مناقشة مشروع الاتفاق بين الجانبين الفرنسى والجزائرى ويلاحظ أن صـيغة البيان الرسمى الجزائرى الذى سـبق الاشارة اليه لم تتطرق الى حل بعض النقاط الثانوية ، موافقة المجلس الوطنى على الخطوط العامة للموقف الجزائرى وأن ثمة تعديلات لابد أن تجرى ضمن نطاق الخطوط العامة ، وهذا يبين لنا انه لابد من جولة أخيرة من المفاوضات مع فرنسا وأن اطلاق النار سيعكس الجهود التى بذلت من قبل فى المفاوضات السرية .

وفى ٥ مارس سنة ١٩٦٢ أصدرت الحكومة الفرنسية والحكومة الجزائرية المؤقتة بلاغين أذيعا فى باريس وتونس فى وقت واحد ، قـال البلاغان ان المرحلة النهائية للمفاوضات ستبدأ فى ايفيان .

يوم ٧ مارس وبالفعل وصل وفد المفاوضات الجزائرى الى جنيف مكون من : كريم بلقاسم نائب رئيس الوزراء ، محمد يزيد وزير الاستعلامات ، سعد دحلب وزير الخارجية ، وممثل عن جيش التحرير هو الضابط بن عوده بن مصطفى ، رضا مالك المتحدث الرسمي بلسان الوفد ، ليلتقى مع الوفد الفرنسى المفاوض برئاسة لويس جوكس فى فندق دى بارك بمدينة أيفيان ٠

وقد دارت هذه المفاوضات بين الوفدين الجزائرى والفرنسى على ثلاثة مستويات المستوى الأول بين أعضاء الوفدين ، ثم المستوى الثانى بين الوزراء ، والمستوى الثالث بين الخبراء لبحث التفصيلات النهائية ، وقد تخلل هذه الاجتماعات بعض المشاكل التى لم يبت فيها الوفد الفرنسى أثناء الأجتماعات السريةمثل مشكلة تزويد قوه الأمن الجزائرية المحلية بالعدد الكافى من الرجال لمواجهة المنظمة السرية الأرهابية ، وكان يتعين على الفرنسين حلها حتى يمكن الوصول الى السلام الحقيقى المنتظر ، وعلى الصعيد الجزائرى كشفت الصحافة الجزائرية أسرار هذه المحادثات ولوحت بأن صدق النوايا من جانب فرنسا سيبين مدى اخلاصها للسلام فى الجزائر ٠

وبعد تسوية بعض المشاكل التى ثار حولها الجدل من الجانبين أثناء الفترة الانتقالية : كوضع جيش التحرير الوطنى الجزائرى ، والمجاهدين الجزائريين فى تونس والمغرب ، وقوات الأمن المحلية فى الجزائر ، والمعتقلين السياسيين الجزائريين اتفق على الآتى (٤١) :

١ ـ بقاء القوات الجزائرية فى مواقعها التى كانت بها عند اعلان وقف اطلاق النار ٠

٢ ـ العفو عن المعتقلين السياسيين قبل عملية تقرير المصير ، وتأليف لجنة من ثلاثة فيها جزائرى لبحث الحالات الخاصة ٠

٣ ـ الاتفاق على أسماء شخصيات السلطة التنفيذية ، واختصاصها وخطوطها الكبرى ٠

٤ ـ تحديد مراحل الجلاء للقوات الفرنسية بعد الاستفتاء ٠

٥ ـ توقيع واعلان قرار وقف اطلاق النار

كما أتفق أيضا على ان يجرى أستقلال الجزائر على المراحل الاتية :

١ ـ وقف اطلاق النار ، وابلاغ الوحدات العسكرية بذلك ٠

٢ ـ اطلاق سراح بن بله ورفاقه سجناء الطائرة المغربية ٠

٣ ـ تبادل الأسرى ويبلغ عددهم ٤٠٠ جندى فرنسى مقابل ٥٠٠٠ جندى جزائرى ٠

٤ ـ تعيين الادارة التنفيذية (٤٢) للحكومة المؤقتة الفرنسية وجبهة التحرير الجزائرية ٠

وفى مساء يوم ١٨ مارس قطعت محطات الأذاعة برامجها فى فرنسا والجزائر لتذيع نبـأ اتفاق ايفيان الذى تبدأ تنفيذه فى الساعة الثانية عشرة بعد ظهر الاثنين ١٩ مارس ١٩٦٢ (٤٣) ، وحققت الجزائر بذلك أستقلالها ، وكانت مضطره فى سبيل الأستقلال الى عدة تنازلات وأعتبر الجزائريون هذه الاتفاقيات مجرد مرحلة (٤٤) كما عبرت عن ذلك جريدة المجاهد التى نشرت ملخص للاتفاقيات بتاريخ ٢٠ مارس سـنة ١٩٦٢ وازاء تطورات الأمور عشية الاستقلال تذرع الجزائريون بكافة السبل كى يحصروا مساوىء الاستقلال فى أضيق نطاق ، واختلقوا فى هذا السبيل المبررات التى تحقق مراميهم سواء بتفسير من وجهة النظر الجزائرية ، وأيضا أستغلال الأحداث والظروف المتغيرة مثال ذلك ق أسدال الستار على الفصل الأخير من حق فرنسا فى استخدام محطات تجاربها الذرية فى الصحراء الكبرى نزولا على اجماع الدول الافريقية ، الاتفاق مع السلطات الكنسية مباشرة على عدم التقيد بالنص الكامل بضرورة احترام أماكن العبـادة الكاثوليكيـة ، والبروتسـتنتية واليهـودية ذلك أن الحقوق التاريخية كانت تبيح للجزائر المسـتقلة استعادة المسـاجد التى حولها المستعمرون الى دور للعبادة سواء بالنسبة لهم ، أم بالنسبة لطوائف الاخرى ، واستمرارا على نهج التخلص من مساوىء اتفاقات ايفيان شرع الجزائريون فى تعديل بعض الاتفاقات خاصة الاتفاق العسكرى واتفاق النفط ، ليصبح الجلاء عن النقاط العسكرية هو نهـاية سنة ١٩٦٤ باسـتثناء قاعدة المرسى الكبير ، الا أنه رغـم الثغرات التى اعترت الاتفاقات فان فريق المفاوضين الجزائريين ـ كسياسيين جـدد ـ أفلح فى تحقيق مهمته طبقا لبيان الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ الذى وضع أساسا لخطوات المفاوض الجزائرى التى تتلخص فى : اعتـراف فرنسـا باستقلال بلاده ، اصراره على حقوقه فى الوقت الذى عمد فيه الجانب الفرنسى الى المناوره والتلويح بالتقسيم ثم القبول أخـيرا بالتفاوض ، اطلاق فرنسا سراح المسجونين وفى مقدمتهم سجناء الطائرة المغربيـة لتحقق بذلك جوا من الثقة ٠ وهـكذا حصلت الجزائر العربية المسلمـة على استقلالها ، وانتصر الاتجاه العربى والاسلامى الذى تسيد الثورة ٠

خاتمـة

الاتجاه العربى والاسلامى فى الجزائر المستقلة

١ ـ ليست الفكرة العربية الاسلامية بالجديدة على الجزائر ، فهى موجودة منذ أيام دولة بنى زيان (١) ، ثم تبلورت فيما بعد خلال الحملات الأوربية على الجزائر فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ، والتى عدت صراعا بين القوى الاسلامية ممثلة فى الجزائر ، والقوى المسيحية ممثلة فى الدول الأوروبية التىواصلت حملاتها التى هاجمتالشواطىء الجزائرية، وانتهت هذه الحملات ـ التى تصدى لها المسلمون الجزائريون ببسالة ـ الى ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية ابتداء من سنة ١٥١٩م لتضمن الجزائر المستقلة الحماية من دولة اسلامية كبرى فى ذلك العهد ، غير أن هـــذا الاتجاه العربى الاسلامى قد قوى على عهد الأمير عبد القادر الذى قامت دولته على أساس دينى ، وكان عبد القادر واعيا لدروس التاريخ الجزائرى حيث وحد مجتمعه القبلى تحت لواء الدين الاسلامى ، ذلك أن العامل القومى الجزائرى لم يكن قد تبلور بعد ـ ودليلنا على ذلك ثمة شواهد منها : اعتبار عبد القادر نفسه أمير المؤمنين وحامى المسلمين ، سعى عبد القادر لسعادة مواطنيه المسلمين وتقدمهم ، وصف عبد القادر لنقض الفرنسيين لمعاهدة التافنة بأنه جاء من ناحية المسيحيين ، كذلك نعته الادارة الفرنسية للأراضى المحتلة الجزائرية بأنها مسيحية (٢) .

٢ ـ أثار قانون سنة ١٩١٢ الخاص بتجنيـــد الجزائريين اجباريا مشاعرهم وقد أعربوا عن تذمرهم بتشكيل الوفود التى تحتج باسم الأمة الجزائرية لدى المسئولين الفرنسيين وباستنكار العلماء له عن طريق الفتوى التى أذاعوها بين مواطنيهم بكفر المتجنسين من الجزائريين ، وبحرمانهم

من الصلاة على موتاهم ، كما تمثلت مقاومتهم للقانون في الهجرة خارج الجزائر وكان من أبرز هذه الهجرات هجرة مدينة تلمسان ، التى وصفها بعض الكتاب الفرنسيين مثل فكتور ديمونتى بأنها « الهلع الحقيقى الذى يوشك أن يكون وباء أخلاقيا » وكانت دوافع هذه الهجرة تكمن في اضطهاد الاحتلال الفرنسي لمشاعر المجتمع الدينية ومن مظاهر ذلك : مراقبـة المؤسسات الدينية ومصادرة أملاكها ، وادارة شئون الدين الاسلامى وذلك من خلال قرار ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٧ الذى أباح للادارة الفرنسية سلطة التدخل في شئون الدين الاسلامى مما أثار غضب الشعب الجزائرى الذى بدأ يشعر بالمهانة مع صدور قانون الخدمة الاجبارية والتجنيس فكانت المقاومة للقانون (٤٣) بالوسائل السالفة الذكر .

٣ ــ محافظة الشخصية الجزائرية على مقوماتها الأساسية التى تمثلت فى الثقافة واللغة العربية والدين الاسلامى ، والتاريخ ، ورغم محاولات الفرنسيين مسخ هذه الشخصية عن طريق : تصفية مؤسسات التعـليم العربية ، وتشكيك الجزائريين في اسلامهم ، احلال الثقافة الفرنسـية المسيحية محل الثقافة العربية الاسلامية ، وأيضا محاولتهم فرنسة مناطق البربر ، وعزلها عن المناطق العربية . الا أن الشخصية الجزائرية حافظت على مقوماتها ويعود الفضل في ذلك الى النهج التعليمى لجمعية العلماء التى سعت الى تطهير الديانة الاسلامية من البدع والخرافات ، وأحيت الثقافة العربية ، وسعت من أجل حصول الجزائر على استقلالها كما كانت تحلم بضم الجزائر الى الأسرة العربية الكبرى (٤٤) وهكذا تمكنت جمعية العلماء من كسر الجمود الذى خلفه الاستعمار ، وطهروا العقيدة الاسلامية ويعود الفضل في ذلك الى قادة العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس .

٤ ــ بروز الشيخ عبد الحميد بن باديس كشخصية متعددة الجوانب فقد برز كمصلح متأثرا بتعاليم المصلحين السابقين كالشيخ محمد عبده ، ورشيد رضا ، وجمال الدين الافغانى لتدعيم الفكرة العربية الاسلامية التى حاول الاستعمار مسخ مقوماتها الاساسية . وأفلح ابن باديس وجماعته من العلماء في اعداد جيل جزائرى عقائدى يؤمن دائما « بأن اللغة العربية هى القوة » (٤٥) وقد سبق اعداد هذا الجيل جهود بن باديس وجماعته فى نشر الحركة الاصلاحية بين أوساط مواطنيه لايقـاظهم من سباتهم ، ومهاجمة البدع والضلالات على صفحات جرائد جمعية العلمـاء كالمنتقد والشباب التى أفزع هجومها الضارى الاستعمار الفرنسى الذى بادر الى اغلاقها الواحدة تلو الأخرى ، كما برز ابن باديس كسـياسى حين هـاجم فكرة الادماج التى تسيدت على عقول الساسة والعامة الجزائريين ، مما حدا به الى الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى يضم كافة الاتجاهات السـياسية

الجزائرية سنة ١٩٣٦ ، وقد أفلح ابن باديس ورفاقه العلماء في توجيه قرارات المؤتمر للاعتراف بالشخصية الجزائرية العربية المسلمة ، ولما أحس المستوطنون بخطورة سياسة بن باديس عمدوا الى ضرب سياسته بتدبير حادث اغتيال مفتى الجزائر ، والصاق تهمة الاغتيال الى الشيخ العقبى من كبار أعوان بن باديس ، ورغم هذا فقد استمر الخط السياسى لبن باديس – رغم ظهور بعض أصوات كالعقبي وثلاثة آخرين نادت بمهادنة السياسة الفرنسية – في تشدده حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، ووفاة بن باديس فى ١٦ أبريل سنة ١٩٤٠ .

٥ – ظهور الشيخ البشير الابراهيمى كرئيس لجمعية العلماء ، وقد سار على نفس نهج سلفه من حيث تنقية الدين الاسلامى من الخرافات . ووحد جهود مواطنيه ، كما أخذ فى تطوير أساليبه ، وذلك بالتعاون مع زملائه العلماء في العودة الى أصول العلم فى الاسلام عن طريق انشـــاء سلسلة المعاهد التعليمية في عمالات الجزائر الثلاث ، وقد ساعد نشاط تلك المعاهد على تدعيم الفكرة العربية الاسلامية كما أدى الى تنبيه الأمة الجزائرية الى حقوقها وواجباتها ، ومحاولتها استعادة ماضيها الحضارى العربى الاسلامى الذى حاول الاستعمار الفرنسى طمسه ، ومن أجل هذا الغرض انتقل الابراهيمى الى الشرق العربى ، واتخـــذ من مصر مقرا لنشاطه ، وفيها التقى بالأدباء والمفكرين وأفلحت جهوده في اقناع الدول العربية فى المشرق فى فتح أبواب معاهدها التعليميـــــة لتعليم الطـلاب الجزائريين ، وفى اطلاع تلك الدول على حقيقة الأوضاع فى الجزائر ومعاونة جمعية العلماء في مهمتها ، ولكن اذا كان الابراهيمى يلتقى مع الشـيخ عبد الحميد فى الاعداد لانشاء جمعية العلماء ، فان البشير أيضا كخليفة لعبد الحميد فى رئاسة العلماء قد ساهم فى اعداد أنصار أقوياء للترويج للأفكار العربية الاسلامية فى الجزائر ولعل الهام أفكار الشرق بصـــفة عامة ، ومصر بصفة خاصة قد أفرز الزعامات الجزائرية والدليل على ذلك أن الأمير عبد القادر ، والشيخ عبد الحميد بن باديس ، والبشير الابراهيمى ، والفضيل الورتلانى قد سافروا الى المشرق والتقوا بمفكريه ، وزعمائه . فعبد القادر سافر من الجزائر الى مصر ، الى الحجاز ، الى دمشـــق ، الى بغداد ، كما زار القاهرة مرة أخرى (٤٦) كما زار ابن باديس ، والابراهيمى الحجـاز وسوريا ولبنـــان ، ومصر كل على انفراد ، حيث زارا الأزهـر الشريف ، واطلعا على أساليبه الدراسية ، والتقوا بأساتذته بن باديس التقى بالشيخ بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية الذى أجازه (٤٧) ، كما التقى الابراهيمى ببعض شيوخ الأزهر كسليم البشرى ومحمد بخيت ، يوسف الدجوى والسمالوطى كما التقى بالأدباء والمفكرين والأساتذة ،

كما التقى وبن باديس فى الحجاز لأول مرة – فتعارفا ، وتوثقت صلاتهما وأخذا فى الاعداد معا لجمعية العلماء ، ثم عاد الابراهيمي مرة ثانية الى مصر سنة ١٩٥٢ حيث اتخذ من مصر مقرا لنشاطه وللدعاية لقضية بلاده ، كما كان الابراهيمي وهو من العلماء البارزين همزة الوصل بين حركة الاخوان المسلمين المصرية والعلماء الجزائريين ، أما الفضيل فقد عاش فى مصر فترة طويلة ، والتقى مع بعض زعماء الفكر كالدكتور طه حسين ، والسياسة كرجال ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (٤٨) ، كما تأثر الساسة الجزائريون بأعمال مصطفى كامل ومحمد فريد (٤٩) ، كما نقل حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية نشاطه الى القاهرة حيث تم تنسيق – تحت ستار مكتب المغرب العربى – مع الأحزاب المغربية الأخرى للتعريف بالجزائر وعروبتها داخل مصر ، كما تأثرت زعامات من ثورة الفاتح من نوفمبر – الذين مارسوا نشاطهم فى القاهرة بالتيارات السياسية الشرقية مثل حسين آيت أحمد ، ومحمد خيضر ، وبن بله ، وهوارى بومدين (٥٠) ، وهذه كلها أدلة على وجه الجزائر العربى الاسلامى .

٦ – تأكيد ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ على اتجاهها العربى الاسلامى الذى مهد له العلماء من قبل والدليل على ذلك ثمة شواهد منها :

(أ) مطالبة ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ فى ندائها الأول باعادة الدولة الجزائرية التى سبق أن احتلها الفرنسيون الى اطار المبادىء الاسلامية (٥١) باعتبار الجزائر مسلمة .

(ب) توحيد أقطار شمال افريقيا داخل الاطار العربى الاسلامى (٥٢) .

(ج) اهتمام قادة الثورة بالجانب الدينى والسياسى للثورة والدليل على ذلك تكليف العقيد عميروش قائد الولاية الثالثة (القبائل الكبرى) لأحمد حمانى من العلماء البارزين بمعاونته فى ارسال المعلمين من العلماء لبث الوعى الدينى والسياسى بين الجنود المجاهدين (٥٣) .

أما على الصعيد السياسى فقد أنشأت الثورة بعثتها الخارجية التى ألحق بها بعض زعماء العلماء مثل المدنى ، والفضيل الورتلانى وغيرهم ، وقد أفادت تلك الزعامات الدينية فى جلب التأييد للثورة الجزائرية على الصعيدين العربى والاسلامى (٥٤) .

(د) استغلال الثورة العامل الدينى فى اثارة حماس الشعب الجزائرى للالتفاف حولها وتأييدها ومن مظاهر ذلك : استعمال كلمات : الله أكبر كصيحة لبدء المعركة وكلمتى : خالد وعقبة ككلمتى سر ، والكلمات

الآتية للاتصال والتفاهم : الدين والعمل الله أكبر ، الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، النظام والعمل ، الجهاد ، محمد على السيف والقلم ·

(هـ) انشاء مصلحة دينية تابعة لجيش التحرير فى أغلب الولايات تقـوم بحل المشاكل الدينية والاجتمـاعية ، وتنظم التعـليم العربى ، وتراقبه ، كما تقوم أيضا بالوعظ الدينى والتوجيه الثورى فى أوساط الشعب » (٥) ·

(و) اطلاق الثورة على محاربيها اسم المجـاهدين ، وعلى رجال الاتصال بين وحداتها اسم المسبلين أى الذين يعملون فى سبيل الله (٥٦) ·

٧ ـ واذا كانت الثورة الجزائرية قد سارت على عدة محاور هى المحور الدولى ، والافريقى والعربى لتحقيق استقلال الجزائر ، فانه عند تقييم أدوار هذه المحاور نجد أن المحور الافريقى والدولى كانا للتأييد المعنوى للقضية الجزائرية ، لكن الأساس الذى ساهم فى صنع الاستقلال هو الفرد الجزائرى العربى المسلم الذى حارب بعقيدة الجزائر عربية مسلمة ، وشاركه اخوته فى المغرب والمشرق العربى بالمال والسلاح والخبرة ، وقد احتاج المقاتل الجزائرى الى قواعد على حدوده الشرقية والغربية حيث تونس ومراكش لامداد الثورة بالسلاح والمؤن ، كما تطلع الجزائريون الى مصر التى كان قادة مؤتمر وادى الصمام يقدرون وزنها الدولى ، ومدى تأثيرها ، واتخذوها قاعدة لنشاطهم السياسى (٥٧) وقد تنوعت الأدوار العربية بين التأييد فى المحافل الدولية والمساعدات المالية والمادية للثوار الجزائريين ، والى جانب علاقات الدول العربية بالثورة الجزائرية وقفت جامعة الدول العربية مع الثوار الجزائريين فى التوفيق بين التناقضات السياسية للدول العربية لتوحيد جهدها ازاء مواقف التأييد للثورة الجزائرية ، ومتابعة أنشـطة الثورة الجزائرية فى كافة الميادين ·

٨ ـ أبرزت تطورات أحداث الثورة الجزائرية ضرورة انشاء حكومة جزائرية للتفاوض مع فرنسا فى شروط السلام ، وكان معنى انشاء هذه الحكومة تحقيق الشرعية الدولية للثورة من جهة ، ومن جهة أخرى اعداد المفاوض الجزائرى الذى سيفاوض من أجل حصول الجزائر على استقلالها السياسى والاقتصادى ، وقد مرت المفاوضات الفرنسية الجزائرية بمراحل متعثرة بدأت بالمفاتحـات التى لم تزد على جس نبض الجبهـة لمعرفة شروطها ـ التى سبق الاعلان عنها فى بيان الفاتح من نوفمبر (٥٨) ·

وقد تمت هذه المفاتحات السياسية فى القاهرة روما ، وبلجراد ، ونيويورك غير أن حادث اختطاف الطائرة المغربية فى ـ ٢٢ أكتـوبر

١٩٥٦ ـ التى كانت تقل وفد جبهة التحرير المتجه الى تونس قد نسف هذه المحادثات التمهيدية ، الا أنها عادت سنة ١٩٥٧ ولكنها فشلت بسبب افصاح حكومة باريس عنها ، ثم عادت مرة ثالثة سنة ١٩٥٨ ـ بفضل وساطة تونس ومراكش ـ اذ تردد الوسطاء بين الجانبين الفرنسى والجزائرى ، غير أن هذه الاتصالات تعرضت للاهتزاز نتيجة تصريح ديجول الذى عرف بسلام الشجعان وفسره الجزائريون على أنه الاستسلام (٥٩) وقد دفع التباعد بين الجانبين رغم مساعى السلام الدولية الى تصاعد موجة من العنف المتبادل ، غير أن ديجول قد دعا الجانب الجزائرى الى الدخول فى مفاوضات ملان لوضع حد للقتال ، ولكن هذه المفاوضات تعثرت بسبب تشدد الجانبين ذلك أن ثمت مشكلات رئيسية طال حولها الجدل تتعلق بضمان حرية الاستفتاء ووضع المستوطنين فى الجزائر المستقلة ، ومشكلة الصحراء ٠

فبالنسبة للمشكلة الأولى أبرز الجزائريون عدم ثقتهم فى طرح استفتاء فى ظل سلطة فرنسية ، وطالبوا بضمانات سلامة الاستفتاء ، بينما تشدد الفرنسيون بضمانات للمستوطنين ، وطالبوا بحقهم فى حمل جنسيتين جزائرية وفرنسية ، أما مشكلة الصحراء فقد أظهر الجزائريون أن تعديل الحدود سيتم بالاتفاق مع تونس ومراكش بدون تدخل من فرنسا التى جنحت للمناورة والعناد ، وازاء الموقف الفرنسى المتعنت جرى تعديل فى حكومة فرحات عباس جاء بيوسف بن خده كرئيس جديد للحكومة المؤقتة ، وفسر الجانب الفرنسى ذلك على أنه اتجاه نحو التشدد ٠

ولما أدركت السياسة الفرنسية فشلها فى القضاء على الثورة الجزائرية عسكريا وسياسيا اتجهت الى التفاوض مع الجزائريين فى ايفيان (٦٠) ، وانتهت مفاوضات ايفيان فى ١٨ مارس سنة ١٩٦٢ باعلان استقلال الجزائر ، ورغم الصراع الذى نشب عشية الاستقلال بين زعامات الثورة ، وأدى الى حدوث تصفيات الا أن الزعامة العسكرية لم تلبث أن انتزعت دفه الحكم من القيادة السياسية فى ١٩ يونيو ١٩٦٥ ٠

هوامش الكتاب

المقدمة

(١) ابراهيم العدوى (دكتور) : بلاد الجزائر ، تكوينهـــا الاســلامى والعربى

(٢) نفس المرجع ص ٢٩٥ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٩٦ ٠

(٤) أحمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص ٢٠٨ ٠

(٥) نفس المرجع ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ٠

(٦) نفس المرجع السابق ٠

(٧) السيد مسعود سعيد : المجتمع الجزائرى فى العهد العثمانى ص ٣٤٩ ٠

(٨) جلال يحيى (دكتور) : العالم العربى الحديث ، جـ ١ ص ٣٣ ٠

(٩) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ٢٣ ٠

(١٠) نفس المرجع ص ٢٤ ٠

(١١) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ٣٤ ٠

(١٢) نفس المرجع ص ٣٥ ٠

(١٣) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ٢٩ ٠

الباب الأول : الاتجاه العربى والاسلامى ودوره فى الاحتفاظ بالشخصية الجزائرية ٠

الفصل الأول

(١) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١٤٠ ٠

(٢) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : تاريخ الجزائر الحديث فى بداية الاحتلال ص ١٢٢

(٣) نفس المرجع ص ٦٣ ٠

(٤) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٦٣ ٠

(٥) جلال يحيى (دكتور) : السياسة الفرنسية فى الجزائر من ١٨٣٠ الى ١٩٥٩ ،

(٦) محمد عبد القادر : تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر ص ١٠٤ ٠

(٧) Ph. Déstailleur : Abd-El Kader-L, Europe et L, Islam Auxix, p. 18.

(٨) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ٥١ ٠

(٩) Gaffarel, P. : L'Algerie Histoire Conquète et Colonisat don p. 125.

(١٠) تشرشل ، شارل هنرى : حياة الأمير عبد القادر ص ١٠٢ ٠

(١١) Paul, Azan : L'Emir Abd El-Kajer 1808-1883, lu Fanatisme du Fanatisme musulman au Patristisme franc ais, p. 65.

(١٢) عقدت بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو فى اول يوليو سنة ١٨٣٨ ، ويعترف

الامير في المادة الأولى بسلطة فرنسا على مدينتي الجزائر ووهران ، وتحدد المواد ٢ ، ٣ ، ٩ الأراضي التابعة لفرنسا والجزائر ، ويتضح من هذا التحديد أن فرنسا اعترفت بسلطة عبد القادر على القسم الأكبر من وهران وكل اقليم التيطري ، وتنظم المواد ٤ ، ٥ ، ٧ العلاقات بين الجزائر وفرنسا ، وتنص المادتان ٧ ، ١٠ على حرية التجارة مع فرنسا ، وتنص المادة ١٢ على مبدأ تبادل المجرمين ، وللمادتين ١٣ ، ١٤ أهمية ملحوظة لانهما تعنيان اعترافا صريحا مع الأمير بامتيازات فرنسا الخاصة بالجزائر ، وتنص المادة ١٥ على حق فرنسا وعبد القادر في تبادل الوكلاء لحل المشاكل التجارية لرعايا فرنسا والعرب ·

صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي · ص ١١٧ — ١١٨ ·

(١٣) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٥١ ·

(١٤) نفس المرجع ص ١٥٢ ·

(١٥) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ١٥٥ ·

(١٦) نفس المرجع ص ١٥٩ ·

(١٧) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ١٦١ ·

(١٨) Blet, Henri : Historie de La Colonisation française p. 147.

(١٩) تشرشل ، شارل هنري : المرجع السابق ص ٢١٦ ·

(٢٠) J. L. dubreton : Bugeaud, Le soldat., p. 198.

(٢١) Ibid, p. 199.

(٢٢) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ٥٦ ·

(٢٣) Churchill, C. D. : La Vie de Abd El-Kader traduction par Michel Habart p. 88.

(٢٤) Ibid, pp. 166, 189, 201, 241.

(٢٥) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ٥٦ ·

(٢٦) واحة تقع على بعد ٢٠ كيلو متر جنوب شرق بسكره ·

(٢٧) كانت كل لجنة تتكون من عشرة الى اثنى عشر شخصا وكانت مهمتها عزل القيادة الفرنسية ، وجمع الضرائب ، ومحاكمة الخونة ، وشراء السلاح والخيول والمعدات ، واقامة لجان الأمن والنظام ·

أبو القاسم سعد الله (دكتور) : المصدر السابق ص ص ٦٣ — ٦٤ ·

(٢٨) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٦٤ ·

(٢٩) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١٩٩ ·

(٣٠) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٢٠٠ ·

(٣١) أبو القاسم سعد الله (دكتور) ، نفس المرجع السابق ص ٦٤ ·

(٣٢) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٢٠٠ ·

(٣٣) نفس المرجع ص ٢٠١ ·

(٣٤) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : المرجع السابق ص ٦٨ ·

الفصل الثاني

(١) هو السهل الخصيب المحيط بمدينة الجزائر ·

المدني : كتاب الجزائر ص ٥٦ ·

(٢) نفس المرجع ص ٢١٦ — ٢١٧ ·

(٣) أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ص ٩٧

Bugeaud, in Les Constructeurs de al france d'autremer.
p. 208.
Matthews, Tanaya : war in Algeria, p. 10.
Bugeaud, op .cit., p. 209.

(٧) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ٢١٦ ·

(٨) نفس المرجع ص ٢١٦ — ٢١٧ ·

(٩) صلاح العقاد (دكتور) : السياسة الفرنسية في الجزائر ص ص ١٨ — ٢٠ ·

(١٠) Stephen H. Roberts : History of the french Colonial Policy 1870-1992, Vol 2, p. 197.

(١١) Aron, Raymond : Les Origines de la guerre d'Algérie p. 42.

(١٢) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٢١ — ٢٢٢ ·

(١٣) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ٢٢٢ ·

(١٤) Blet, Henri : Histoire de la Colonisation Française p. 191.

(١٥) Blet, Henri : Ibid, p. 19.

(١٦) كانت هذه المكاتب بمثابة حلقة اتصال بين الادارة الفرنسية وبين الجزائريين ، وكان يرأس كل مكتب ضابط برتبة ملازم ، وقاض يعرف تقاليد البلاد ، وكاتبان أحدهما جزائري ، والآخر فرنسي ، وكانت هذه المكاتب تشرف على تحصيل الضرائب وفض المنازعات بين السكان ·

صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ١٤٨ ·

(١٧) نفس المرجع ·

صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ، ص ١٤٨ ·

(١٨) Ageron Charlos Robert : Les Algeriens musulmans et la France, p. 44.

(١٩) يشترط في سبيل الحصول على حق المواطنة تنازل الراغب عن قانون الأحوال الشخصية الاسلامي ·

(٢٠) Ageron, Charles robert : op. cit., p. 44.

(٢١) Julien Charles Andrew : Histoire de L'Algerie Contemparaine p. 445-446.

(٢٢) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ص ١٥٨ — ١٦٢ ·

(٢٣) نفس المرجع السابق ص ١٦٩ — ١٧٠) ·

(٢٤) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ١٤١ — ١٤٢ ·

(٢٥) Charles Robert Ageron : L'emigration de muslamans Algerian et l'exode de telemcen (1911-1930), p. 1936 (Periodicals).

Algerians et L'exode de telmoen (1911-1930), p. 1036, (Pcirodicals).

(٢٦) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ص ٢٠٥ — ٢٠٧ ·

(٢٧) نفس المرجع ص ص ٢٠٧ — ٢١٢ ·

(٢٨) طالب الوفد في مذكرته : انهاء الاجراءات الاضطهادية ، تمثيل الجزائريين فى جميع المجالس بالجزائر وفرنسا ، التوزيع العادل للضرائب ، التوزيع العادل لمصادر

الميزانية بين الجزائريين والمستوطنون ، تنقيح قانون التجنيد الاجبارى ٠
سعد الله (دكتور) : المرجع السابق ص ٢١٣ ٠

الفصل الثالث

(١) تركي رابح (دكتور) : التعليم القومي والشخصية الجزائرية ص ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢٠
(٢) تركي رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ٠
(٣) علي الشلقامي : ثورة الجزائر ص ١١٨ ٠
(٤) أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص ٢٨٢ ٠
(٥) تركي رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٩٣ ـ ٩٤ ٠
(٦) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ٨٦ ٠
(٧) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ص ٣٤٨ ٠
(٨) أحمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ص ٣٤٩ ٠
(٩) تركي رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ١٩٤ ٠
(١٠) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ص ٢٦ ٠
(١١) عبد الحميد بن باديس : مجلة الشباب ج ٤ مج ١٣ ، يونيو ص ص ١٧٦ ـ١٧٩٠

(١٢) حديثان خاصين مع السيدان : أحمد حماني رئيس المجلس الاسلامى ونائب الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سابقا فى منزله رقم ٣ ش على بومنجل بمدينة الجزائر ، والسيد طاهر حراث تلميذ الشيخ بن باديس ومدير ثانوية بن باديس بمكتبه يوم الخميس ١٩٧٧/٥/١٢ بمدينة قسنطينة بالجزائر

(١٣) حديث خاص مع السيد أبو زيد سماتي مدير ثانوية التعليم الأهلي بدائرة أولاد جلال ولاية بسكره يوم الأربعاء ١٩٧٧/٥/٢٥ ٠ انظر ملحق رقم ٣ ٠

(١٤) حديث خاص مع السيد محمد عبد الهادى حمدادو والمستشار برئاسة الجمهورية الجزائرية فى فندق المنار بسيدى فرج بالعاصمة الجزائرية يوم الأربعاء أول يوليو ١٩٧٧٠

(١٥) تركي رابح (دكتور) : التعليم القومي والشخصية الوطنية ص ٩٣

(١٦) كان القصد من تأليف الكتاب هو تذكير الجزائريين بمآثر اسلافهم فى العلوم والآداب حتى يقتدوا بهم فى الاقبال على العلوم العربيه والاسلامية ، والمحافظة على التراث القومى ٠

تركي رابح : عبد الحميد بن باديس ص ١٠٣ ٠

(١٧) تركي رابح (دكتور) : التعليم القومي والشخصية القومية ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ٠
(١٨) تركي رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٣ ـ ٤ ٠
(١٩) محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ص ٢٤ ـ ٢٥ ٠
(٢٠) محمد الميلي ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٤٨ ٠
(٢١) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص ١١٨ ٠
(٢٢) المرجع السابق ص ٦٥ ـ ٦٦ ٠
(٢٣) محمد البشير الابراهيمي : الفرنسيون يحاربون العروبة فى الجزائر ص ١٠ ـ١١٠
(٢٤) محمد الميلي : المرجع السابق ص ٣٨ ٠
(٢٥) الصراط السوى ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ٩ أكتوبر ١٩٣٣ ٠

(٢٦) من أمثال هؤلاء الكتاب الذين ساعدوا على بعث التاريخ الجزائرى السادة :
أحمد توفيق المدنى مؤلف كتاب الزائر الذى صدر سنة ١٩٣٠ ·
مبارك الميلى مؤلف كتاب تاريخ الجزائر القديم والحديث ، صدر الجزء الأول سنة ١٩٢٩ ، والجزء الثانى سنة ١٩٣٢ ·
عبد الرحمن الجيلالى مؤلف كتاب تاريخ الجزائر فى جزأين ·
أبو القاسم الحفناوى مؤلف كتاب « تعريف الخلف برجال السلف فى جزءين الأول صدر سنة ١٩٠٥ ، الثانى ١٩٠٧ ·
تركى رابح (دكتور) : التعليم القومى والشخصية الجزائرية ص ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ·
(٢٧) محمد على دبوز : نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، جـ ٢ ، ص ٢٨ ·
(٢٨) نفس المرجع ص ٢٨ ·
(٢٩) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١٠٤٨ ·
(٣٠) خطاب خاص أرسله من باريس يوم ١٩٣٩/٢/١٧ الشيخ محمد عبد الله دراز · أحد اقطاب الأزهر · الى الشيخ الفضيل الورتلانى الجزائرى بشأن انشاء الأزهر معهد للدراسات العربية فى الجزائر · انظر ملحق رقم ٥ ·
(٣١) تركى رابح (دكتور) : التعليم القومى والشخصية الوطنية ص ١٢٦ ·
(٣٢) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ص ١١٨٣ — ١١٨٤ ·
(٣٣) محمد على دبوز : المرجع السابق ص ٢٨ ·
(٣٤) انظر ملحق رقم ٣ ·
رقم ٣
(٣٥) صلاح العقاد (دكتور) السياسة والمجتمع فى المغرب العربى ص ١٠

الفصل الرابع

(١) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ص ١٠٤٣ — ١٠٤٤
(٢) Brace Joan and Richard : Ordeal in Algeria, p. 27.
(٣) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٠٤٦ ·
(٤) على الشلقانى : ثورة الجزائر ص ١٥٩ ·
(٥) جلال يحيى (دكتور) : السياسة الفرنسية فى الجزائر (من ١٨٣٠ — ١٩٥٩) ٢٧٦ ·
(٦) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ص ١٠٤٧ — ١٠٤٩ ·
(٧) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ص ٢٦ ·
(٨) جلال يحيى (دكتور) المرجع السابق ص ١٠٤٨ ·
(٩) عبد الحميد بن باديس : مجلة الشهاب جـ١ ، مج١٤ ، مارس ١٩٣٨ ص ص١ — ٧ ·
(١٠) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٠٤٩ ·
(١١) O'ballance, E. : The Algerian Insurrection, p. 16-17.
(١٢) على الشلقانى : المرجع السابق ص ١٧٤ ·
(١٣) Gillespie, J .: Algeria rebellion and Revolution, p. 48.
(١٤) قال فيه :
« نحن اصدقاء الدكتور ابن جلول السياسيين ، سوف نكون قوميين · وليس الاتهام جديدا · ولقد تحدثت مع شخصيات مختلفة عن هذا الموضوع · ورأيى معروف : القومية

هي تلك العاطفة التي تدفع شعبا الى أن يعيش داخل حدوده الاقليمية ، وهي العاطفة التي انشأت هذا العدد من الدول ولو انني اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت قوميا ولما خجلت منها كخجلي من جريمة . ان الذين ماتوا في سبيل الفكرة الوطنية يحترمون ويكرمون يوميا وحياتي ليست أعلى من حياتهم . ومع ذلك فلن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن ليس موجودا ولم أكتشفه لقد سألت التاريخ ، والأحياء ، والأموات وزرت المقابر ولم يحدثني الأشخاص عنه ، ان الانسان لا يبني فوق الهواء . لقد بددنا الى غير رجعة الضباب والخيالات لنربط مستقبلنا نهائيا بمستقبل الانجازات الفرنسية في هذه البلاد ، وفضلا عن هذا ، ليس هناك الآن من يؤمن جديا بقوميتنا ان ما يريد المرء ان يحارب من أجل تحررنا السياسي والاقتصادي .وبدون تحرير الأهالي لن توجد جزائر فرنسية تستطيع البقاء » .

Julien,, CA.. : L'Afrique du Nord en Marche, p. 110.

(١٥) علي الشلقاني : المرجع السابق ص ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ، ١٨٢ ــ ١٨٣ .

(١٦) Jeanson francis et Colette : L'Algerie Hors la loi, p. 115.

(١٧) قال بن باديس : « اننا نرى أن الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة ، على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض ، وهي لا تزال حية ولم تزل ، ولهذه الأمة تاريخها اللامع ، ووحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والقبيحة كمثل سائر أمم الدنيا ، وهذه الأمة الجزائرية ليست فرنسا ، ولا تريد أن تصبح هي فرنسا ، ولو جنسوها » .

(١٨) القرآن الكريم : سورة الشورى آية ٣٧ .

(١٩) Gillespie, J. : op. cit., p. 46.

(٢٠) Oballance, E. : op. cit., p. 16.

(٢١) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٠٥٣ .

(٢٢) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ٤٢٦ .

(٢٣) نفس المرجع ص ٤٣١ .

(٢٤) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ٣٢٢ .

(٢٥) نفس المرجع ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦ .

(٢٦) O'Ballance, E : op. cit., p. 16.

(٢٧) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : نفس المرجع ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠ .

(٢٨) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : نفس المرجع ص ٣٨٠ .

(٢٩) Gillespie, J. : op. cit., p. 59.

(٣٠) علي الشلقاني : المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٣١) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٣٨٥ .

(١) محمد البشير الابراهيمي : أنا مقال بمجلة اللغة العربية ، جـ ٢١ ص ١٤٣ .

(٢) أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص ٦٩ .

Royal, P. : L'expedition d'Alger, p. 98.

(٤) فرحات عباس : حزب الجزائر وثورتها ، جـ ١ ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

(٥) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ص ٦٩ .

(٦) محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة جـ ٢ ، ص ٩٢ .

(٧) يذكر الشيخ البشير ان الشيخ عبد الحميد بن باديس هو الذي كلفه بوضع القانون الأساسي لجمعية العلماء .

سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص ٤٦ .

الباب الثاني : جمعية العلماء

(١) محمد البشير الابراهيمي : أنا مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ، جـ ٢١ ص ١٤٢ .

(٢) أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص ٦٩ .

(٣) Raynal, p. : L'expedition d'Alger, p. 98.

(٤) فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها جـ ١ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٥) أحمد توفيق المدني المرجع السابق ص ٦٩ .

(٦) محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة جـ ٢ ص ٩٢ .

(٧) يذكر الشيخ الابراهيمي : أن الشيخ بن باديس هو الذي كلفه بوضع القانون الأساسي لجمعية العلماء . سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص ٤٦

(٨) حديث خاص مع السيد أحمد توفيق المدني مدير مركز الدراسات التاريخية بالعاصمة الجزائرية بمكتبه بشارع عبد الرحمن الأعلى أمام وزارة الصحة الجزائرية يوم السبت ١٩٧٧/١/٢٢ . انظر ملحق ٦ .

(٩) تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٦٧ .

الفصل الخامس

(١) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ص ٤٤٠ .

(٢) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١٠٤٩ .

(٣) Gillespie, J. : Algeria rebellion and revolution, p. 44.

(٤) انظر ملحق رقم ٦ .

(٥) 20 Anniversaire du declenchement de la Revolution de L'aln Al'Anp, p. 14.

(٦) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ص ٤٦ — ٤٧ .

(٧) انظر ملحق رقم ٦ .

(٨) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص ٤٦ .

(٩) انظر ملحق رقم ٦ .

(١٠) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : المرجع السابق ص ٤٤٣ .

(١١) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص ٥١ .

(١٢) محمد الطاهر فضلاء : قال الشيخ الرئيس ، الامام عبد الحميد بن باديس ص ٣٨ .

(١٣) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص ٥٢ .

(١٤) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : المرجع السابق ص ص ٤٥٠ — ٤٥٢ .

(١٥) Colette, et francis J. : L'Algerie hors La loi, p. 115.

(١٦) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص ٥٢ .

(١٧) حديث خاص مع السيد / محمد ابراهيم الميلي مدير عام وكالة الأنباء الجزائرية بمكتبه بشارع شي جيفارا بالعاصمة الجزائرية يوليو ١٩٧٧ ، ونجل الشيخ مبارك الميلي ، انظر ملحق رقم ٧ .

(١٨) تركي رابح (دكتور) : التعليم القومي والشخصية الجزائرية ص ٢٠٢ .

(١٩) القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص ص ٥ — ٧ انظر ملحق رقم ٨ .

(٢٠) انظر ملحق رقم ٩ .

(٢١) القرآن الكريم : سورة الشورى آية ٣٧ ·

(٢٢) انظر ملحق رقم ٨ ·

(٢٣) المرجع السابق ص ١٦ ·

(٢٤) انظر ملحق رقم ٨ ·

(٢٥) سعد الله (دكتور) : المرجع السابق ص ٤٦١ ·

(٢٦) أفصح الشيخ عبد الحميد عن هذا الهدف سنة ١٩٣٦ فى مجلة الشهاب بقوله : «ان الاستقلال حق طبيعى لكل أمة من أمم الدنيا ، وقد استقلت أمم كانت دوننا فى القوة ، والعلم ، والمنعة ، والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون ان حالة الجزائر الحاضرة ستدوم الى الأبد · فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلبا مع التاريخ ، وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتى يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقى المادى والأدبى ، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية ، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا ، وتعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر » ·

مجلة الشهاب جـ ٣ مج ١٢ يونيو ١٩٣٦ ص ١٤٥ — ١٤٦ ·

(٢٧) تركى رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٠٥ ·

(٢٨) انظر ملحق رقم ٦ ·

(٢٩) تركى رابح (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٢٠٥

(٣٠) خطاب بخط الشيخ عبد الحميد بن باديس مؤرخ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٣٨ · انظر ملحق رقم ١٠ ·

(٣١) تركى رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ·

(٣٢) انظر ملحق رقم (١٠) ·

(٣٣) حديث خاص مع السيد حسنين مسعود البورتلانى نجل الفضيل الورتلانى بمنزله بعمارة المعلمين بحى سيدى مبروك بقسنطينة يوم الجمعة ١٩٧٦/١٢/٣١ · انظر ملحق رقم ١١ ·

(٣٤) رسالة خطية من الشيخ البشير الى الشيخ فرحات العابد أحمد معلمى جمعية العلماء أنظر ملحق رقم ١٢ ٦٨ر

(٣٥) رسالة خطية من الشيخ البشير الى أحد المعلمين بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٤٩ انظر ملحق رقم ١٣ ·

(٣٦) منشور موجه من الشيخ البشير الى مديرى مدارس جمعية العلماء بتاريخ ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ انظر ملحق رقم ١٤ ·

(٣٧) تركى رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٢١٤ ·

(٣٨) حديث خاص مع السيد طاهر حراث مدير ثانوية بن باديس بقسنطينة والمعهد ابن باديس يوم الخميس ١٩٧٧/٥/١٢ انظر ملحق رقم ٣ ·

(٣٩) خطاب موجه من الشيخ البشير الابراهيمى الى الشيخ فرحات العابد مدير مدرسة شامزان أحد مدارس جمعية العلماء بتاريخ ١٣ ذى الحجة ١٣٦٦هـ انظر ملحق رقم ١٥ ·

(٤٠) تركى رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ص ٢١٥ — ٢١٦ ·

(٤١) حديث خاص مع السيدة رقية التبسى نجلة الشيخ العربى التبسى ومديرة مدرسة الأربعين شريف بقسنطينة فى يناير ١٩٧٧ انظر الملحق رقم ١٦ ·

(٤٢) من وصايا أملاها الشيخ العربي التبسي الى رؤساء وفود الجمعيـــة التى قرر المكتب الدائم للجمعية ايفادهم بجلسة ٢٥ يونيو ١٩٥٢ فى جولة بربوع الجزائر انظر ملحق رقم ١٧ .

(٤٣) حديث خاص مع الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الاسلامى ، ونائب الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سابقا بمنزله رقم ٣ ش على بومنجل بمدينة الجزائر يوم الخميس ٢ يونيو ١٩٧٧ . انظر ملحق رقم ١ .

(٤٤) انظر ملحق رقم ١٨ بعثات جمعية العلماء فى الشرق مقال بالبصائر العدد ٢٦٢ انظر ملحق رقم ١٨ .

(٤٥) تركى رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٤٦) تركى رابح (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ص ٢٢٢ – ٢٢٦ .

(٤٧) موجز الدستور الأخلاقى لأعضاء البعثات العلمية لجمعية العلماء .

تركى رابح (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٤٨) محمد البشير الابراهيمى : جمعية العلماء أعمالها ومواقفها

مقال بمجلة البصائر العدد ٢ ، السنة الأولى من السلسلة الثانية ، ١٤ رمضان ١٣٦٦ ، أول أغسطس ١٩٤٧ .

(٤٩) نفس المرجع .

الفصل السادس

(١) جلال يحيى (دكتور) : المغرب العربى ص ص ١٠٤٨ – ١٠٤٩

(٢) انظر ملحق رقم ٨ .

(٣) Jeanson Français et Colette : L'Algerie hors la loi. p. 115.

(٤) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع ص ١٠٥٠ .

(٥) تركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٧٠ .

(٦) صلاح العقاد (دكتور) : تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر ص ٥٩ .

(٧) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٠٤٨ .

(٨) Brace J. Richard : Ordeal in Algeria, p. 29.

(٩) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص ص ٢٦ – ٢٧ .

(١٠) على الشلقانى : ثورة الجزائر ص ١٧٤ .

(١١) صلاح العقاد (دكتور) : تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر ص ٥٩ .

(١٢) انظر ص ٤٩ – ٥٠ .

(١٣) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٠٥٧ .

(١٤) على الشلقانى : المرجع السابق ص ١٧٨ – ١٧٩ .

(١٥) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ١٠٥٧ .

(١٦) تركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٧٣ .

(١٧) تركى رابح : المرجع السابق ص ص ٧٢ – ٧٦ .

(١٨) على الشلقانى : المرجع السابق ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(١٩) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٢٠) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٠٦٢ – ١٠٦٣ .

(٢١) Gillespie, J. : op. cit., p. 65

(٢٢) Ibid., p. 57.

(٢٣) Gillespie, J. : op. cit., p. 58.

(٢٤) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ص ١٠٦٦ ــ ١٠٦٧

(٢٥) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ ·

(٢٦) O'Ballance E. : The Algerian Insurrection, p. 16-17.

(٢٧) Ibid, p. 16-17.

(٢٨) Colette et Francis J. : op. cit., p. 112.

(٢٩) علي الشلقاني : المرجع السابق ص ٢١٢ ·

(٣٠) Colette et Francis, J. : op. cit., p. 116.

(٣١) انظر ملحق رقم ٣ : حديث خاص أبوزيد أسماتي مدير ثانوية التعليم الأصلي بأولاد جلال ولاية بسكره ، وعضو متعاون مع حركة الاخوان المسلمين المصرية يوم الأربعاء الموافق ١٩٧٧/٥/٢٥ ·

(٣٢) انظر ملحق رقم ١٩ ·

(٣٣) حديث خاص مع السيد علي النعيمي أمام مسجد حي الوادي ببسكره يوم الخميس الموافق ٢٦ مايو سنة ١٩٧٧ انظر ملحق رقم ٢٠ ·

(٣٤) حديث خاص مع السيدة عائشة جمعي أرملة الشيخ النعيمي واولادها بحي سيدي مبروك بقسنطينة يوم الخميس ١٩٧٧/٤/٢١ ·

(٣٥) نظر ملحق رقم ٢١ ·

(٣٦) انظر ملحق رقم ٣ ·

(٣٧) خطاب من علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي بالمغرب الأقصى الى لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان ملحق رقم ٢٢ ·

(٣٨) خطاب من علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال بالمغرب الاقصى الى محمد نصر رئيس وزراء أندونيسيا بتاريخ ١٩٥١/٣/٢٤ انظر ملحق رقم ٢٣ ·

(٣٩) خطاب من محمد المكي الناصري رئيس حزب الوحدة المغربية الى لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان انظر ملحق رقم ٢٤ ·

(٤٠) خطاب ترشيح من مؤتمر علماء الاسلام بكراتشي الى الفضيل الورتلاني بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٥٣ انظر ملحق رقم ٢٥ ·

(٤١) انظر ملحق رقم ٢٦ ·

(٤٢) محمد الطاهر فضلاء : قال الشيخ الرئيس ص ٣٨ ·

(٤٣) علي الشلقاني : المرجع السابق ص ١١٤ ·

(٤٤) Glilespie, J. : op. cit., p. 45-46.

(٤٥) أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص ٣٢٨ ·

(٤٦) وثيقة تبرئة وتأييد لجمعية العلماء انظر ملحق رقم ٢٧ ·

(٤٧) محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ٢ ص ٤٢ ــ ٤٣ ·

(٤٨) حديث خاص مع الشيخ محمد علي دبوز أحمد مؤرخي الجزائر ببلدته القرارة ميزاب ولاية الاغواط يناير ١٩٧٧ انظر ملحق رقم ٢٨ ·

الفصل السابع

(١) تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٣ ـ ٤ ·

(٢) محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة ج ٢ ص ص ٥٤ ـ ٥٦ ·

(٣) حمزة بوكوشة : مع عبد الحميد بن باديس في ذكراه ·
مقال بمجلة المعرفة الجزائرية ، العدد ١٠ ، السنة الأولى ، أبريل ١٩٦٤ ص ١٣ ·

(٤) قال بن باديس في ختام تفسيره القرآن الكريم : « ان الفضل في نجاحي يرجع كله لوالدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني الى العلم ، ورد عني ظلم البغاه ، وكفاني ضرورات الحياة فاستطعت أن أعطى نفسي للعلم ·

مجلة الشهاب ، ج ٤ ، مج ١٤ ص ٢٨٩ ·

(٤) قال عبد الحميد في خطاب له في الجامع الأخضر بقسنطينة « ان زغرودة أمي لا زالت ترن في اذني لا أنساها ثم اشار الى أمانيها في أن تراه عالما . لقد حقق الله أملها ، فها أنا عامل والحمد لله » ولم يكد عبد الحميد ينتهي من رواية هذه القصـــة والحديث عن والدته حتى خنقته العبرات فبكي ، وأبكى معه الحشد المجتمع في الجامع الأخضر ·

محمد علي دبوز : المرجع السابق ص ٥٩ ـ ٦٠ ·

(٥) نفس المرجع السابق ص ٥٣ ·

(٦) أحد كبار شيخ الازهر ، وقد تولى عدة مناصب منها مفتي الديار المصرية سنة ١٩١٤ · تركي رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ١٦٧ ·

(٧) الشهاب : ج ١١ ، مج ١١ ، فبراير ، ١٩٣٦ ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٨) سجل ابن باديس قصة هذا اللقاء يوم الاحتفال بافتتاح دار الحديث في تلمسان سنة ١٩٣٧ بقوله : « اذكر انني لما زرت المدينة المنورة ، واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان الونيسي المهاجر الجزائري ، وشيخي حسين احمد الهندي ، أشار علي الأول بالبقاء في المدينة ، وقطع كل علاقة لي بالوطن ، بينما أشار علي الثاني ، وكان عالما حكيما بالعودة الى الوطن ، وخدمة الاسلام فيه ، والعربية بقدر الجهد ، فحقق الله رأى الشيخ الثاني ، ورجعنا الى الوطن بقصد خدمته فنحن لا نهاجر ، نحن حراس الاسلام والقومية في هذا الوطن ·
الشهاب ، ج ٨ ، مج ١٣ ، أكتوبر ١٩٣٧ ص ٣٥٤ ·

(٩) كان من عادة بن باديس ان ينسب كل جهوده الى زملائه واخوانه الذى قال عنهم : ·· اذا كنت استمد القوة والحياة فانما استمدهـــا ممن أولوني شرف الثقافـــة والاخلاص لديني وأمتي وأخص منهم الأسود الكبار ، وهم اخواني الاقوياء من رجال العلم الذى أجدني مهما وقفت موقفا الا وجدتهم معي كالأسود » ·

تركي رابح : نفس المرجع السابق ص ١٧٤ ·

(١٠) شرح بن باديس هذا العامل على النحو التالي :

« ثم لأخواني العلماء الأفاضل الذين آزروني في العمل من فجر النهضة الى الآن فمن حظ الجزائر السعيد ، ومن مفاخرها التى تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلدان الاسلام فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء وافرة الحظ في العلم ، مؤتلفة القصد ، والاتجاه مخلصة النيه ، متينة العزائم ، متحابة في الحق ، مجتمعة القلوب على الاسلام والعربية وقد الف بينهما العلم والعمل قبل ما اجتمع للجزائر في علمائها الابرار

فهؤلاء هم الذين ورى بهم زنادى ، وتأثل بطاردهم تلادى أطال الله فى أعمارهم ورفع أقدارهم .

(١١) عبر بن باديس عن هذا العامل حين قال « ثم لهذه الأمة الكريمة المعوانة على أصول الكمال ذات النسب العريق فى الفضائل ، والحسب الطويل العريض فى المحامد هذه الأمة التى ما عملت يوما ــ علم الله ــ لارضائها لذاتها وانما عملت وما أزال أعمل لارضاء الله بخدمة دينها ولغتها ولكن الله سددها فى الفهم ، وارتدها الى صواب الرأس فتبينت قصدى على وجهه وأعمالى على حقيقتها فاعانت ونشطت بأقوالها وأموالها وبفلذات أكبادها ، فكان لها بذلك كله من الفضل فى تكوينى العملى أضعاف ما كان لتلك العناصر فى تكوينى العلمى .

نفس المرجع السابق ص ١٧٨ .

(١٢) من مذكرات الشيخ نعيم النعيمى ص ٩ .

(١٣) محمود قاسم (دكتور) : الامام عبد الحميد بن باديس ص ١٧٥ .

(١٤) باعدت الطرق الصوفية بين الأمة الجزائرية وقرآنها : فاذا كان الاسلام قد حث على تلاوة القرآن الكريم وهو ستون حزبا ، فان التيجانى وهو أحد رجال الطرق الصوفية قد حض أتباعه ومريديه على قراءة صلاة الفاتح ناصحا مريديه أنها تعادل ستة الآف آية من القرآن، واذا كان القرآن الكريم قد شرع الغزو وهو من أشق الأعمال فان التيجانى مثلا قد أفتى بأن تلاوة صلاة الفاتح تعادل آلاف الغزوات . واذا كان القرآن الكريم قد دعى الى حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، فان التيجانى قد صرح لمريديه من الشعب الجزائرى بأن تلاوة صلاة الفاتح تعادل آلاف المرات من الحج ومئات الألوف من الصلاة ، لقد بلغ تأثير الطرق الصوفية فى الجزائر على الشعب مبلغا كبيرا ، وصنعت الطرق الصوفية بتصرفاتها هذه فجوة عميقة بين الأمة والقرآن الكريم وقد وصل تأثيرهم الى تعويدهم الأمة الجزائرية على الذلة والخضوع للاستعمار وقسموها الى فرق ، ومناطق نفوذ تنافسوا على استغلالها ، وقد فسروا الاخوة التى دعا اليها الاسلام ، على أنها اخوة الشيخ فاذا يفض الشيخ طائفة ما فانه كان يحرض أتباعه على بغضها وقد وصل البغض الى حد عدم الالتقاء مع المسلمين الآخرين فى الصلاة وقراءة القرآن ، كما فسروا الاحسان الذى يدعو اليه الاسلام على أنه حق الشيخ قبل الزوجة ، والأولاد ، والآباء والأجداد ، وبدلا من أن تصرف أموال الشيخ فى الاحسان انفقت فى السيارات والملابس والقصور والفجور .

سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ص ص ٢٤ ــ ٢٦ .

(١٥) أنور الجندى : تراجم الأعلام المعاصرين فى العالم الاسلامى ص ١٩٨ ــ ١٩٩ .

(١٦) محمود قاسم (دكتور) : الامام عبد الحميد بن باديس ص ١٨ ــ ١٩ .

(١٧) تركى رابح (دكتور) : التعليم القومى والشخصية الوطنية ص ١٢٠ .

(١٨) محمد الطاهر فضلاء : قال الشيخ الرئيس ص ٢٦٦ .

(١٩) أشار عبد الحميد الى ذلك فى خطابه الذى القاه يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦ اثر اجتماع جمعية العلماء : ـ « ان ميدان العمل فى هذه الجمعية ميدان واسع وهنالك للعمل ميادين أخرى لا أدخلها باسمها ولكن (ان كان فيها منفعة) ادخلها باسمى ــ ان كان عند قومى قيمة لاسمى ، وأرجو ان يعيننى الله عليها .

حمزة بوكوشه : مع عبد الحميد بن باديس فى ذكراه .

مقال بمجلة المعرفة الجزائرية ، السنة الأولى ، العدد ١٠ ، ابريل ١٩٦٤ ص ٩٧ .

(٢٠) محمود قاسم (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٧ .

(٢٧) عاش في المشرق وعاد الى الجزائر سنة ١٩٢٠ ، وكان من دعاة النهضة العربية في الحجاز ، وكان يهدف بعد عودته من الحجاز الى تجديد الاسلام على أساس المذهب السلفي .
أنور الجندى : الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا ص ٦٨ ــ ٦٩ .

الفصل الثامن

(١) محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ١٢٩ .
(٢) محمود قاسم (دكتور) : الامام عبد الحميد بن باديس ص ١٧ .
(٣) القرآن الكريم : سورة الرعد آية ١١٦ .
(٤) أنور الجندى : تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ص ١٩٨ .
(٥) نفس المرجع ص ١٩٧ .
(٦) يقول الشيخ عبد الحميد في هذا الصدد : ـ ان قوة العرب تنحصر في سلاح اللغة العربية وتوحيد الكلمة .

(٧) عندما يصحب أحد طلابه ابنه أو قريبه فانه كان يثني عليه قائلا : « أنحب من يجيئني بابنه أو أخيه أو أى مسلم ليرفع عليه الجهل .
المصدر : حديث خاص مع السيد أحمد السحردى تلميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ومفتش التعليم بمديرية التربية والتعليم بعنابة الجزائر في ١٩٧٧/٤/١١ انظر ملحق رقم ٣٠ .

(٨) انظر ملحق رقم ٣٠ .
(٩) تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٣٢٥ .
(١٠) المرجع السابق ص ص ٣٢٥ ــ ٣٢٨ .
(١١) نفس المرجع السابق ص ص ٣٢٩ ــ ٣٣٢ .
(١٢) محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ١٢٩ .
(١٣) الشهاب : جـ ٢ ، مج ٧ ، مارس ، ١٩٣١ ص ص ١١٥ ــ ١٢٧ .
(١٤) تركي رابح : المرجع السابق ص ٣١٢ .

(١٤) مما قاله بن باديس في هذا الصدد : « اغلب المعلمين في المعاهد الاسلامية الكبرى كالأزهر لا يتصلون بتلامذتهم الا اتصالا عاما لا يتجاوز أوقات التعليم فيتخرج في العلوم والفنون ولكن بدون تلك الروح الخاصة التي ينفخها المعلم في التلاميذ ــ اذا كانت للمعلم روح ــ ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حياته » .

(١٥) فتح باب التجنس رسميا منذ قانون .Sensatos Consult وازداد وضوحا منذ قوانين فبراير سنة ١٩١٩ . وأصبح في وسع المسلم الجزائرى بحكم هذه القوانين الحصول على الحقوق الفرنسية بسهولة وذلك عندما يلتزم بالخروج عن أحكام الشرع الاسلامي .
أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص ٣٢٧ .
(١٦) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص ص ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١١ ــ ١١٥ ، ١٢٣ .
(١٧) تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٣٣٧ .
(١٨) المرجع السابق ص ٣٦٠ .
(١٩) نفس المرجع السابق ص ٣٦٠ .
(٢٠) تركي رابح : المرجع السابق ص ٣٦٩ .
(٢١) انظر ص ١١١ .

(٢١) أحمد الخطيب : الثورة الجزائرية ص ١٢٥
(٢٢) محمود قاسم (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ٢٨
(٢٣) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١٠٥١ ·
(٢٤) قال عبد الحميد بن باديس « الشعب الجزائرى ليس هو فرنسا ، ولا يرغب في أن يكون فرنسا وحتى لو أراد لما استطاع لأنه شعب بعيد جدا عن فرنسا بلغته وعاداته وأصله ودينه » ·
Gillespie, J. : Algeria rebellion and revolution, p. 45.

(٢٥) يتلخص فى اعطاء حق المواطنة الفرنسية تدريجيا لعدد من الجزائريين على أن يراعى أن تكون الأغلبية للمستوطنين في المجالس ، ويشــترط فى الحصول على المواطنة الفرنسية أن يتوافر فى الجزائريين شروط ثقافية واجتماعية معينة ·
صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ٣١٧ ·

(٢٦) نداء خطى كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس الى رئيس المؤتمر الاسلامى الجزائرى والى اللجنة التنفيذية سنة ١٩٣٦ انظر ملحق رقم ٢٩ ·
(٢٢) أسستها جمعية العلماء فى تلمسان سنة ١٩٣٧ ·
(٢٣) تركى رابح (دكتور) : التعليم القومى والشخصية الوطنية ص ١٧٦
(٢٤) المرجع السابق ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ·
(٢٥) تركى رابح (دكتور) : نفس المرجع السابق ص ١٧١ ــ ١٧٢ ·
(٢٦) المرجع السابق ص ١٧٤ ·

الفصل التاسع

(١) محمود قاسم (دكتور) : الامام عبد الحميد بن باديس ص ٣٢ ·
(٢) Gillespie, J. : Algerie rebellion and revolution, p. 45.
(٣) تركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٧١ ·
(٤) يقضى بمنح الجزائريين حق المواطنة الفرنسية على أن تكون هذه الحقوق قاصرة على من تتوفر فيهم شروط ثقافية واجتماعية معينة · صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ص ٣١٧ ·
(٥) حمزه بوكوشه : مع عبد الحميد بن باديس فى ذكراه ، مقال بمجــــلة المعرفة الجزائرية ، السنة الأولى ، العدد ١٠ ، ابريل ١٩٦٤ ·
(٦) نادى موريس فيوليت Maurce Violette وزير الدولة فى حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية سنة ١٩٣٦ باعطاء الجنسية الفرنسية لعدد محدود من الجزائريين بدون الزامهم بالتخلى عن قانون الأحوال الشخصية الاسلامى ، تركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٦٤ ·
(٧) أسسه مصالى الحاج عام ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ ، وفى سنة ١٩٢٧ ترأس مصالى هـــذه الهيئة التى نادت بوحدة شمال افريقيا ، بينما فضل زعماء تونس ومراكش فصل الجزائر عن الحركات القومية فى تونس ومراكش · صلاح العقاد (دكتور) : تطور الســـياسة الفرنسية فى الجزائر ص ٥٣ ·
(٨) محمود قاسم (دكتور) : المرجع السابق ص ٣٢ ·
(٩) محمد الطاهر فضلاء : قال الشيخ الرئيس ص ص ١١٤ ــ ١١٥ ·

(١٠) أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٣٠ — ١٩٥٤) جـ ٣ ، ص ١٠٨ ·

(١١) حمزه بوكوشه : المرجع السابق ·

(١٢) محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٧٣ ·

(١٣) مجلة مجمع اللغة العربية ، جـ ٢١ ، ص ١٤٣

الباب الرابع : الشيخ البشير الابراهيمي

الباب الرابع : الشيخ البشير الابراهيمي

(١) ولد في عام ١٩٨٩ في قرية أولاد ابراهيم قرب سطيف وتوفي ٢٠ مايو ١٩٦٥ ، محمد الطاهر فضلاء : الامام الرائد الشيخ محمد البشير الابراهيمي ص ٢٠ ·

(٢) عارض دالادى Deladieu وزير الحربية الفرنسي خلال اجتماعه بوفد المؤتمر الاسلامي اعطاء الجزائريين عضوية البرلمان الفرنسي في حالة محافظتهم على أحوالهم الشخصية كمسلمين ·

(٢) محمد البشير الابراهيمي : أنا

مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ، جـ ٢١ ·

الفصل العاشر

(١) محمد مهدى علام (دكتور) : مجمع اللغة في ثلاثين عاما ص ١٥٦ ·

(٢) محمد الطاهر فضلاء : الامام الشيخ محمد البشير الابراهيمي ص ٣٦ ·

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ، جـ ٢١ ، ص ١٣٨ ·

(٤) المرجع السابق ص ١٤١ ·

(٥) نفس المرجع السابق ص ١٤٢ ·

(٦) تركي رابح (دكتور) : التعليم القومي والشخصية الوطنية ص ٦٤ ·

(٧) محمد الطاهر فضلاء : قال الامام عبد الحميد بن باديس ص ١٧٩ — ١٨٠

(٨) يقول الابراهيمي : « ان الأخ الاستاذ قد عهد اليه بوضع القانون الأساسي فوضعه في ليله ، وقرأه عليه في الصباح ، فرضي عنه ورجع الى قسنطينة لترجمة القانون الأساسي وتقديمه للحكومة للموافقة عليه » ·

المصدر : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص ٤٦ — ٤٧ ·

ذكرى المدني : « أنه كلف من قبل : عمر اسماعيل محمد العاصي . محمد عبابسه بتحرير القانون الأساسي للعلماء » ·

المصدر : حديث خاص لى مع المدنى انظر ملحق رقم ٦ .

(٩) تبنى الابراهيمى شعار « كونوا للشعب يكن لكم » أعنى « اخدموه باخلاص يتفهم حقيقة ما تدعونه اليه ، ويستجيب لامالكم فيه ، فيصبح سيد مستقبله ، وليس ذيلا ، أو رعيه « لفرنسا » .

أحمد بن ذياب : نضال الابراهيمى .

مقال بمجلة الثقافة الجزائرية ، العدد ٣٣ ، السنة السادسه يونيو – يوليو ١٩٧٦ ص ص ٦١ – ٦٣ .

(١٠) « أنا » مقال الابراهيمى بمجلة اللغة العربية ، جـ ٢١ ، ١٩٦٦ ص ١٤٧ .

(١١) نفس المرجع السابق ص ص ١٤٧ – ١٤٩ .

(١٢) انظر ملحق رقم (١) .

(١٣) خطاب خاص من الشيخ البشير الابراهيمى الى الشيخ العربى التبسى مرسل من بسكره بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٣٦٩ هـ انظر ملحق ٣١ .

(١٤) انظر ملحق رقم ١ ، وملحق رقم ١٨ .

(١٥) أحد رؤساء وزراء فرنسا .

الابراهيمى : عيون البصائر ص ٢٧ .

(١٦) حدد الابراهيمى الأهداف التى يحققها الشباب من وراء الزواج اذ سيصبح عنده عرض يدافع عنه ، وأولاد يرى فيهم آماله ، وطالما برزت الآمال سيتدرب الشباب على المسئولية وتكبر الحياه فى أعينهم . وتزداد القومية فى نفوسهم ، لأن الزواج فيه ارتباط بالوطن ، والاعراض عن الزواج فرار من مسئولية الحياة . وقد ذكر الابراهيمى شباب بلاده بجدوده العرب الذين حملوا أولادهم ونساءهم خلف ظهورهم أثناء الحرب حتى لا يفروا من القتال .

محمد البشير الابراهيمى : عيون البصائر ص ٣٢٧ .

(١٧) باعزيز عمر : مجلة العربى ، العدد ١٢٠ ، نوفمبر ١٩٦٨ ص ١٢٨ .

(١٨) نفس المرجع ص ٣٣١ .

(١٩) البصائر ، العدد ١٠ ، سنة ١٩٤٧ .

(٢٠) البصائر ، العدد ١٥ ، سنة ١٩٤٧ .

(٢١) البصائر ، العدد الثالث ، ١٩٤٧ .

(٢٢) تركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ص ٧٦

(٢٣) محمد البشير الابراهيمى : المرجع السابق ص ١٥٠ – ١٥١

الفصل الحادى عشر

(١) ارسل الابراهيمى مع فرحات عباس ، وابراهيم بيوض ، والشيخ العقبى الى عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية البرقية التالية :

« يسعدنا اعلامكم انه قد تألفت بالجزائر لجنة لاعانة فلسطين ، مؤلفة من كل الهيئات والشخصيات التى تمثل الاتجاه الاسلامى الجزائرى ... اننا بلسان هذه اللجنة نؤكد لسعادتكم تضامن الشعب المسلم الجزائرى مع كل الدول العربية المكافحة ضد الامبريالية الصهيونية ونأمل انتصار القضية العربية العادلة » .

وقد رد عبد الرحمن عزام على هذه اللجنة بالبرقية التالية :
لقد اتصلنا ببرقيتكم يوم ٢٦ الجارى نطلب منكم ان تبلغوا اللجنة تشكراتنا الحارة .
أحمد توفيق المدنى : حياة كفاح ، جـ ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٢) عيون البصائر ص ٤٩٩ .

(٣) أحمد توفيق المدنى : المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٤) محمد البشير الابراهيمى : عيون البصائر ص ٥٢٣ .

(٥) بعث الابراهيمى مع زملائه فرحات عباس ، الطيب العقبى ، ابراهيم بيوض البرقية التالية الى تريجفى لى Tregfelee سكرتير عام الأمم المتحدة .

السيد تريجفى لى سكرتير عام الأمم المتحدة — نيويورك « ان لجنة اعانة فلسطين التى تشمل كل المنظمات والشخصيات الممثلة للشعب المسلم الجزائرى ، تحتج على ما مس العالم الاسلامى من عدوان صريح قامت به الصهيونية وهى تحاول اقامة دولة يهودية فوق أرض فلسطين — اللجنة تعتقد أن هذه المحاولة تناقض ميثاق هيئة الأمم المتحدة وتمثل تهديدا صريحا للسلام العالمى — واللجنة تؤكد تضامن المسلمين مع الشعب العربى الفلسطينى فى حربه مع الصهيونية الامبريالية الاستعمارية احتراماتنا » أحمد توفيق مدنى : نفس المرجع السابق ص ٣٨٩ .

(٦) البصائر ، العدد ٣٨ ، ١٩٤٨ .

(٧) وجه الشيخ الابراهيمى مع رفاقه عباس فرحات ، العقبى ، بيوض البرقية التالية للحكومة الفرنسية : « ان لجنة اعانة فلسطين التى تمثل كل التشكيلات الدينية والسياسية بالجزائر ، وتشمل الشخصيات الممثلة للاتجاهات الجزائرية ، وقد تأثرت بصفة مؤلمة من القرار الذى اتخذه المجلس الوطنى الفرنسى فى ارسال التحية المخلصة لدولة اسرائيل المزعومة ان هذا القرار يعتبر عملا عدائيا ضد العالم الاسلامى واللجنة تحتج بشدة على هذه الحرية التى تتمتع بها وسائل الدعاية الصهيونية ومنظماتها وجميعها يعمل لفائدة الامبريالية وضد الديمقراطية واللجنة تلفت نظر حكومتهم لما فى اعترافها بدولة اسرائيل من جرح لعواطف خمسة وعشرين مليونا من المسلمين من سكان المغرب العربى المتضامنين تضامنا فعالا مع اخوانهم أهل فلسطين ومن اساءة عميقة للعلاقات بين فرنسا والعرب .
المدنى : نفس المرجع السابق ص ٣٨٨ .

(٨) وصفها الابراهيمى بأنها عماد العروبة ، وممسكة الدين أن يزول ، ولأن لها الكتابة والعلم والأدب ، ومع الأدب التاريخ ، ومع كل ذلك البقاء والخلود ، وكل ذلك مما يفضى مضجعه ، ويطير منامه ، ويصبغ مسمعه ، ويقصر مقامه » .

(٩) تتلخص فى الصدام الذى حدث بين السلطان محمد الخامس والجنرال جوان Joan المقيم العام ، وكان الأول قد رفض انذار الثانى فى اصدار بيان يستنكر أعمال حزب الاستقلال ، وقد تطورت أبعاد المؤامرة التى شارك فيها بعض المغاربة كالجلاوى الى حد الضغط على السلطان محمد الخامس الذى قبل توقيع الاستنكار فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ ، دون ذكر اسم حزب الاستقلال ، وترك استنكار تصرف حزب الاستقلال للوزير الأعظم وكان لحوادث سنة ١٩٥١ صدى بعيد فى العالم العربى أدى الى رفع المشكلة المراكشية الى هيئة الأمم المتحدة .
صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ص ٤٠٩ .

(١٠) أعلن الشيخ الابراهيمى : « ان الشعب الجزائرى حين يظهر بهذا الاحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصرى — انما يقدم جهد المقل — من قلوب ملؤها الحب

لمصر ، والاعتزاز بأخوة مصر ، والاعجاب بما صنعت مصر ، وانه يعتقد أن كل مصرى يخرج عن اجماع مصر فهو مدخول العقيدة ، مغمور النسب ، وان كل عربى لا يؤيد مصر فهو عاق للعروبة ، ناكث لعهدها ، وان كل مسلم لا يعين مصر بما يملك فهو مارق عن الاخوة الاسلامية الشاملة » .

البصائر ، العدد ١٧٤ ، سنة ١٩٥١ .

(١١) الابراهيمى : عيون البصائر ص ٥٦٠ .

(١٢) المرجع السابق ص ٥٦٤ .

(١٣) O'ballance, E. : The Algerian Insurrection, P. 16.

(١٤) البصائر ، العدد (١١٢) سنة ١٩٥٠ .

(١٥) تواجدت فى ليبيا قبل الاستقلال ثلاث قوات : القوات البريطانية فى اقليم برقة وكانت بريطانيا ترحب بفكرة توحيد أقاليم ليبيا الثلاثة تحت حكم السنوسى ، والقوات الفرنسية التى كانت تحتل فزان وتطمع فى الاستيلاء على غات وغدامس حيث المناطــق العسكرية الجنوبية لتونس والجزائر ، والقوات الأمريكية التى تواجدت فى طرابلس وقد ظهر التعارض بين القوات الثلاثة فى الجلاء ، فبينما أيدت بريطانيا الاستقلال تحت امارة السنوسى ، عارضت ذلك فرنسا والولايات المتحدة ، كما ظهر اتجاه جديد يتعــاطف مع الايطاليين لارجاعهم الى ليبيا ولكنه صفى امام وقوف الدول العربية مع استقلال ليبيا فى مؤتمرى أنشاص ١٩٤٦ ، وبلودان ، وتمكنت ليبيا بعد زيارة لجنة التحقيق الرباعية التى شاركت فيها الولايات المتحدة الامريكية وروسيا ، وبريطانيا وفرنسا — من اعلان استقلالها جلال يحيى (دكتور) : المغرب العربى ص ص ١١٢٠ — ١١٢٢ .

(١٦) لابراهيمى : المرجع السابق ص ٤٥٦ .

(١٧) الأصالة ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، ١٩٧٢ ص ٢٧٠ .

(١٨) نشرها الابراهيمى فى مجلة الهلال ، عدد يناير ، ١٩٥٧ .

(١٩) تركى رابح (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٢٦٤ .

(٢١) أبو الأعلى المودودى هو أمير الجماعة الاسلامية فى الباكستان التى قادتــه آرائه السياسية للمحاكمة سنة ١٩٥٣ الابراهيمى : عيون البصائر ص ص ٦٩١ — ٦٩٦ .

(٢٢) المرجع السابق ص ٦٩٨ .

(٢٣) عمر الحكيم : رجل فقدناه .

مقال بمجلة الحضارة السورية ، العدد الثانى ، السلسلة السادسة ، أغسطس ١٩٦٥ .

(٢٤) نفس المرجع .

(٢٥) من مذكرة سفارة المملكة العربية السعودية بمصر مؤرخة بتاريخ ٨ يناير ١٩٥٥ موجهة الى الصحف المصرية انظر ملحق رقم ٣٣ .

(٢٦) حمدى حافظ ومحمود الشرقاوى : الجزائر بين الأمس والغد ص ١٠٩ .

(٢٧) 20 Anniversaire du declenchement de la revolution, p. 88.

(٢٨) Brace, J. and Richard : Ordeal in Algeria, p. 92.

(٢٩) انظر ملحق رقم ١ .

الفصل الثاني عشر

الباب الخامس : الاتجاه العربى والاسلامى داخل جبهة التحرير الوطنية الجزائرية

(١) **20 Anniyersaire du declenchement de la revolution, p. 88.**

(٢) حديث خاص مع الشيخ أحمد حمانى رئيس المجلس الاسلامى الأعلى بالجزائر ونائب الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمنزله رقم ٣ شارع على بومنجل مدينة الجزائر يوم الخميس ٢ يونيو ١٩٧٧ انظر ملحق رقم ١ ٠

(٣) **Brace, J. and Richard : Ordeal in Algeria, p. 92.**

(١) عبد الحميد مهرى : أحداث مهدت لفاتح نوفمبر ١٩٥٤ ٠

مقال بالأصالة ، العدد ٢٢ ، السنة الثالثة ، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٧٤ ٠

(٢) المرجع السابق ٠

(٣) نفس المرجع السابق ٠

(٤) أحد أقطاب حزب الشعب الجزائرى أسس المنظمة الخاصة التى اكتشفت سنة ١٩٥٠ ، عضو للجبهة منذ أكتوبر ١٩٥٤ ، واختطفه الفرنسيون فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ رأودع فى سجن الصحة فى باريس ، اختير عضو المجلس الوطنى للثورة الجزائرية منذ ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦ وعضوا شرفيا للجنة التنسيق والتنفيذ منذ مؤتمر القاهرة أغسطس ١٩٥٧ ٠

El-Moudjahid : Vol. 2, p. 6-7.

(٥) **Oballance, E. : The Algerian Insurrection, p. 16.**

(٦) ولد فى ١٣ يوليو سنة ١٩٢٧ بمدينة الجزائر ، انضم الى حزب الشعب الجزائرى سنة ١٩٤٣ ، عضو المنظمة الخاصة ، عضو اللجنة الثورية للوحدة والعمل استشهد فى ٢٨ يناير ١٩٥٥ أثناء مواجهة مع القوات الفرنسية قرب السمندو

20 Anniversaire du declenchement de la Revolution, p. 94-95.

(٧) عبد الحميد مهرى : المرجع السابق ٠

(٨) **Cahliand, G :. L'algerie est-elle Socialiste, p. 81.**

(٩) أحمد الخطيب : الثورة الجزائرية ص ١٧٥ ــ ١٧٦ ٠

(١٠) فى هذا اليوم احتفـــل العالم « الحر » بانتهـــاء الحرب مع ألمانيا ، ورغب الجزائريون فى المشاركة فى هذا الاحتفال ، واتخذوا من هذا الاحتفال وسيلة لتحقيـــق أهدافهم فما كادت مظاهره تحدث فى مدينة سطيف ، حتى تصدى لها البوليس الفرنسى وقتل غلاما جزائريا كان يرفع العلم الجزائرى ، وكان الحادث ايذانا بمذبحة رهيبة فى سطيف راح ضحيتها ٤٥ الف جزائرى ، هذا بالاضافة الى الدمار والخراب الذى حل بالقرى والجهات الجزائرية ٠ أحمد توفيق المدنى : هذه هى الجزائر ص ١٨٧ ــ ١٨٨ ٠

(١١) أحمد الخطيب : الثورة الجزائرية ص ١٧٧ ٠

(١٢) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١١٨٦ ٠

(١٣) **Chaliand, G. : Op. cit., p. 33.**

(١٤) **O'ballance, E. : op. cit., p. 16.**

(١٥) **Gillespie, J. : Algeria rebellion and revolution, p. 95.**

(١٦) هم : ابن بلعيد مصطفى (الاوراس) ، ابن مهيدى (عين مليلة) ، بيطاط رابح) عين الكرمة عمالة قسنطينة (بوضياف محمد (مسيله) ، ديدوش مراد (ضواحى الجزائر العاصمة) ، كريم بلقاسم (جبال القبائل الكبرى) وكانوا على اتصال بزملاء

آخرين في القاهرة يمارسون أعمال أخرى هم : آيت أحمد (القبائل) بن بلة (مغنية)، وخيضر نائب برلماني سابق ٠

فرحات عباس : حزب الجزائر وثورتها ص ٢٣٩ ــ ٢٤٠

(١٧) حديث خاص مع الكولونيل عمر عمران قائد للولاية الرابعة (الجزائر) عامى ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ بالجزائر العاصمة يوم الأحد ١٩٧٧/١/٢٣ انظر ملحق رقم ٣٤ ٠

(١٨) Matthews, T. : War in Algeria p. 42.

(١٩) صلاح العقاد (دكتور) : السياسة والمجتمع فى المغرب العربى ص ١٠ ٠ انظر الأصالة الجزائرية ، السنة الثالثة ، العدد ٢٢ ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٧٤ ٠ ص ١٦ صلاح نصر : مقال بمجلة روز اليوسف ، العدد ٢٥٥٠ ، السنة الثانية والخمسون ١٩٧٧ ٠

(٢٠) فرحات عباس : المرجع السابق ص ٢٦٥ ٠

(٢١) سافارى ، آلان : ثورة الجزائر ، ترجمة نخلة كلاس ص ٦٣ ٠

(٢٢) صلاح العقاد (دكتور) : المرجع السابق ص ص ١١ ــ ١٣ ٠

(٢٣) Gillespie, J. : Op. cit., p. 94.

(٢٤) Matthews, T. : op. cit., p. 43.

(٢٥) Mandouze, A. : La Revolution Algérienne par les textes, ص. 22

(٢٦) عيد جميع القديسين عيد دينى يحتفل به الكاثوليك فى أول نوفمبر تمجيدا لجميع القديسين الشهداء ، ومنذ نشأة الكنيسة وعيد القديسين يتوافق مع أول نوفمبر ، وأصل هذا العيد هو اهداء البابا جريجوار الرابع جزء من كنيسة الفاتيكان لتقام فيها الشعائر الدينية وفى سنة ١٨٤٠ أدخل البابا تقليدا جديدا على العيد هو منح عطلة بمناسبة هذا العيد حتى فى فرنسا ونظرا لسوء التصرف فانهم جعلوا من أول نوفمبر يوما للموتى والمفروض ان يحتفل بعيد الموتى فى ٢ نوفمبر
Grand Larousse Encyclopédique, p. 418-419.

(٢٧) من وثائق جبهة التحرير : الجزائر المجاهدة ص ١٦ ٠

(٢٨) جبهة التحرير الوطنى : نداء الى الشعب الجزائرى ٠

(٢٩) بن عيسى صاحب محلات جمال شوقى للملابس الجاهزة
C 43 شـــــــارع الأمـــير عبد القادر عنابه ــ الجزائر

(٣٠) O'ballance, E. : op. cit., p. 16

(٣١) حسين تريكى : هذه هى الجزائر ص ٦٩ ٠

(٣٢) ملفات ٢٤ وثائقية ، نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطنى ص ٥٥

(٣٣) Mandouze, A. : Op. cit., p. 38.

(٣٤) من وثائق الجبهه : نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر ١٩٥٤ ٠

(٣٥) نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ٠

(٣٦) المجاهد فى نشرة خاصة بلسان جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، ط ٢ المقاومة الجزائرية ص ٦ ٠

(٣٧) نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ٠

(٣٨) محمد البجاوى (دكتور) : الثورة الجزائرية والقانون ص ١٣٧ ــ ١٣٨ ٠

(٣٩) المواد من : ١ ــ ٤ من قوانين جبهة التحرير ملفات ٢٤ وثائقية ٠

(٤٠) المواد من : ٥ ــ ١٠ المرجع السابق ٠

(٤١) حديث خاص مع السيد طاهر الأعجل المحافظ السياسى لجبهة التحرير بمدينة قسنطينة بمكتبه ومنزله يوم الثلاثاء ١٩٧٧/٤/٥ انظر ملحق رقم ٢٧ .

(٤٢) المواد من ١١ ــ ٢٠ نفس المرجع السابق .

(٤٣) حمدى حافظ ومحمود الشرقاوى : الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

(٤٤) المجاهد : نشرة بلسان حال جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ص ٧ .

(٤٥) المرجع السابق ص ٧ .

(٤٦) Gillespie, J. : op. cit., p. 101.

(٤٧) انظر ملحق رقم ٣٤ .

(٤٨) O'ballance, E. : op. cit., p. 15.

(٤٩) O'ballance, E. : op. cit., p. 15.

الفصل الثالث عشر

(١) بيان الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

(٢) انظر ملحق رقم ٦ .

(٣) انظر ملحق رقم ٣٥ .

(٤) المجاهد : لسان حال جبهة التحرير ص ٨ .

(٥) حديث مع السيدة رقية العربى التبسى ناظرة مدرسة الأربعين شريف قسنطينة وابنة الشيخ العربى التبسى فى يناير ١٩٧٧ انظر ملحق رقم ١٦ .

(٦) حديث خاص مع السيد أحمد توفيق المدنى وزير الأوقاف سابقا ، ووزير الثقافة سابقا . ومدير مركز الدراسات التاريخية بمكتبه س عبد الرحمن الأعلى أمام وزارة الصحة الجزائرية يوم السبت ١٩٧٧/١/٢٢ انظر ملحق رقم ٦ .

(٧) نفس المرجع .

(٨) 20 Anniversaire du declenchement de La revolution, p 88.

(٩) انظر ملحق رقم ٦ .

(١٠) انظر ملحق رقم ٣٦ .

(١١) مذكرات الشيخ نعيم النعيمى .

(١٢) ثورة نوفمبر الخالدة ، منشورات المحافظة السياسية للجيش الوطنى الشعبى ص ٤٦ .

(١٣) ثورة نوفمبر الخالدة ، منشورات المحافظة السياسية للجيش الوطنى الشعبى ص ٤٦ .

(١٤) المرجع السابق ص ٤٧ ــ ٤٨ .

الفصل الرابع عشر

(١) نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

(٢) يوسف يعلاوى : الجانب الروحى لثورة التحرير .
مقال بمجلة الاصالة عدد خاص بمناسبة الذكرى ٢٠ لثورة الفاتح من نوفمبر .

(٣) المرجع السابق ٠

(٤) انظر ملحق رقم ٣٧ ٠

(٥) حديث خاص مع الكولونيل الحاج الأخضر قائد الولاية الأولى ابتداء من سنة ١٩٥٦ حتى نهاية الحرب ـ انظر ملحق رقم ٣٨ ٠

(٦) حديث خاص مع العقيد الهاشمي حجرس قائد الناحية العسكرية الخامسة بمقر قيادته بمدينة قسنطينة وعضو مجلس قيادة الثورة الجزائرى يوم الأربعاء ١٩٧٧/٤/٦ انظر ملحق ٣٩ ٠

(٧) انظر ملحق رقم ٤٠ ٠

(٨) انظر ملحق رقم ٣٧ ٠

(٩) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رســـــــول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » ٠ محمد محيى الدين عبد الحميد (محقق). فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى جـ ١ ، ص ص ٨٦ ـ ٨٨ ٠

(١٠) يوسف يعلاوى : المرجع السابق ٠

(١١) انظر ملحق رقم ١١ ٠

(١٢) انظر ملحق رقم ١ ٠

(١٣) انظر ملحق رقم ٣٩ ٠

(١٤) انظر ملحق رقم ٦ ٠

(١٥) المرجع السابق ٠

(١٦) سورة الانفال ، جـ ١٠ ، آية ٥٩ ٠

(١٧) Chaliand, G. : op. cit., p. 38.

(١٨) محمد البجاوى : حقائق عن الثورة الجزائرية ص ٢٩٦ ٠

(١٩) تحركت المجموعة الجزائرية المرافقـــــة للمركب آتوس من قصر راس التين بالاسكندرية ـ حيث كانت تنتظرهم سيارة لورى كبيرة مغطاة وبها مجموعة من لفدائيين وسيارة صغيرة بداخلها الدكتور تيجانى هدام ويعمل الآن طبيب بمستشفى مصطفى باشا بمدينة الجزائر وفتحى الديب من المخابرات العامة المصرية ، وكان الدكتور هدام قد أوصى قبطان آتوس ابراهيم النيال السودانى ان يزود الفدائيين الجزائريين بأسلحة دفـــاع شخصية ولكن النيال لم يفعل ذلك ، وفى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٦ فوجئت المجموعة الجزائرية المرافقة لشحنة السلاح على الآتوس ـ بطائرة عسكرية فرنسية تحلق مدة طويلة وتصــور الباخرة مما أدى الى قلق المجموعة الجزائرية التى حاولت نسف المركب الا أن النيال حال بينهم وبين ذلك وقد توالت الأمور بعد ذلك اذ لاحظت المجموعة تتبع مركب فرنسى لهــم وكررت المجموعة نفس محاولتها السابقة وهددهم النيال حتى وصولهم ليلة ١٦ أكتوبر ١٩٥٦ قرب ناضور وهناك فوجئت المجموعة الجزائرية بمركب حربى فرنسى يرسل الى الآتوس اشارات التوقف الضوئية وطلب حمدادو ـ وهو أحد الفدائيين ـ من ميكانيكى المركب الألمانى روبرت هوبرت الاستمرار وتجاهل اشارات المركب الفرنسى بالتوقف ولكن النيال طلب منه الاذعان رغم تهديد المجموعة الجزائرية له بالقتل وقد نزلت ثلة من الجنود من المركب الفرنسى الى السفينة المحملة بشحنة الاسلحة وسحبوا المركب الى ميناء الغزوات.

وفي الطريق تمكنت المجموعة الجزائرية من التخلص من أوراقها بالقائها في البحر ولدى وصول المجموعة الجزائرية الى ميناء الغزوات كتبوا على الباخره Athos 2 واسمها الحقيقي Saint Perpurz واشتهرت الباخرة باسم آلاتوس ، ويجمع حمدادو وفتحي الديب أحد أعضاء المخابرات العامة المصرية والمسئول عن الحركات الوطنية في شمال أفريقيا على حيانة ابراهيم النيال والذى أوضحها بالتفصيل الديب فطبقا لروايته : أفرجت فرنسا عن النيال سرا وعادر فرنسا – بعد سلمه مبلغ خمسين ألف جنيه – الى الخرطوم . وانضم النيال الى حزب الأمة . وموّل بعض نشاطات الحزب ليصبح شخصيه كبيره من شخصيات حزب الامة .

المصدر : محمد الهادي حمدادو وأحد أفراد آلاتوس والمستشار برئاسة الجمهورية الجزائرية انظر ملحق ٤ . انظر أيضـــا فتحي الديب : عبد النـــــاصر وثورة الجزائر ص ص ٢٥٢ – ٢٥٩ .

(٢٠) محمد البجاوى : المرجع السابق ص ١٦٣ .

(٢١) المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٢٢) الجنديه رسالة وطنية ، منشور المحافظة السياسية للجيش الوطـــنى الشعبى ص ٣١ .

(٢٣) المرجع السابق .

(٢٤) سعد زغلول فؤاد : الجزائر في معركة التحرير ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٢٥) المرجع السابق ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢٦) نفس المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٢٧) مصلحة الدعاية والأنباء لجبهه التحرير : الجزائر ص ص ٢٢ – ٢٤ .

(٢٨) 20 Anniversaire du declenchement, p. 62, 65.

(٢٩) أحمد توفيق المدنى : هذه هى الجزائر ص ص ٢١٨ – ٢٢٠ .

(٣٠) تمكن ماصدو من اخماد الارهاب الذى مارسته الجبهة لمده بضع شهور في مدينة الجزائر وذلك في يناير ١٩٥٧ .

(٣١) هيئة التحرير الوطنى في الجزائر

مقال عن الجزائر بمجلة الثقافة العربية ، السنة الثانية ، العدد الأول ، ١٩٥٨ ص ٥٢ .

(٣٢) أحمد الخطيب : الثورة الجزائريه ص ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٣٣) Bencherfi A. : L'Aurore de Mechars, p. 77.

(٣٤) Ibid,, p. 78.

(٣٥) هيئة التحرير الوطنى في الجزائر ص ٤٩ .

(٣٦) المستشفيات السرية .

مقال بمجلة المجاهد الجزائرية ، العدد ٧٤٢ ، نوفمبر ١٩٧٤ .

(٣٧) المرجع السابق .

(٣٨) حديث خاص مع الدكتور محمد دردور الذى خدم بالقاعدة الشرقية المركـــز الرئيسى بعيادته ٢ شارع بن خلدون يوم ١٩٧٧/٦/١٩ انظر ملحق رقم ٤١ .

(٣٩) انظر ملحق رقم ٣٨ . حديث خاص يوم الجمعة ١١ مارس ١٩٧٧ فى عنابة بالجزائر مع الكولونيل عبيدى محمد الطاهر الشـــــهير بالحاج الأخضر قائد الولاية الأولى (الأوراس) من ١٩٥٦ – ١٩٦٢ .

(٤٠) حديث خاص مع الممرضة المتقاعدة زليخة سيلال والمقيمة — ٩٩ شاطىء فابر بولاية عنابة يوم السبت ١٩٧٧/٥/١٤ انظر ملحق رقم ٤٢ ٠

الباب السادس انتصار الاتجاه العربي والاسلامي

الفصل الخامس عشر

(١) نداء الى الشعب الجزائري ٠

(٢) انظر ملحق رقم ٣٤ ، وملحق رقم ٣٧ ٠

(٣) تقرير الأمين العام الى مجلس الجامعة العربية ، الدورة ٢٨ ، أكتوبر ١٩٥٧ ص ١٤٥

(٤) انظر ملحق رقم ٣٤ ٠

(٥) تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الرابعة والعشرون ، أكتوبر ١٩٥٥ ص ١٩ ٠

(٦) تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الثامنة والعشرين ، أكتوبر ١٩٥٧ ص ١٣٠ ٠

(٧) أصدر مؤتمر باندونج قرار يؤيد فيه حقوق شعوب الجزائر ومراكش وتونس في تقرير مصيرها بنفسها ، ونيل استقلالها ، كما تلتزم الدول المساهمة في المؤتمر بتقديم مساعدتها الى الشعوب المكافحة من أجل استقلالها ٠

علي بلحاتم : طرح القضية الجزائرية على المسرح الدولي ٠

مقال بمجلة الاصالة الجزائرية ، العدد ٢٢ ٠

(٨) تقرير الأمين العام ، الدورة الخامسة والعشرون ، ١٩٥٦ ص ١٧ — ١٨ ٠

(٩) تقرير الأمين العام ، الدورة السابعة والعشرين ، مارس ، ١٩٥٧ ص ٢٩ ٠

(١٠) تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الثانية والثلاثين ، الدار البيضاء سبتمبر ١٩٥٩ ص ٤١ ٠

(١١) تقرير الأمين العام ، الدورة الثامنة والعشرين ، مارس ، ١٩٥٨ ص ١٨٩ ٠

(١٠) تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الثانية والثلاثين ، الـــدار البيضاء ، سبتمبر ١٩٥٩ ص ٤١ ٠

(١٢) تقرير الأمين العام ، الدورة الثالثة والثلاثين ، مارس ١٩٦٠ ، ص ٥ ٠

(١٣) تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة السابعة والثلاثين ، مارس ١٩٦٢ ص ٢٧ ٠

(١٤) من خطاب كريم بلقاسم نائب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الخارجية الجزائري في مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد في بغداد في ٣٠ يناير سنة ١٩٦١ ٠

(١٥) تقرير الأمين العام الى مجلس الجامعة العربية ، الدورة السادسة والثلاثين ص ٥٥ ٠

(١٦) نفس المرجع ٠

(١٧) تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربية ، الدورة السابعة والثلاثين مارس ١٩٦٢ ص ٢٧ ٠

(١٨) محمد البجاوي : حقائق عن الثورة الجزائرية ص ٢٧٠ ٠

(١٩) أنظر ص ١٧٥ — ١٧٦ ٠

(٢٠) يتلخص هذا المشروع في تأكيد تصريح ٣١ أكتوبر بخصوص الحكم الذاتي مع النص على احتفاظ فرنسا بالشئون الخارجية والدفاع ٠

صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربي ص ٣٨٢ ٠

(٢١) نفس المرجع ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .
(٢٢) نفس المرجع السابق ص ٣٨٢ .
(٢٣) Gillespie, J. : op. cit., p. 142.
(٢٤) ذهبت الى داره في بلدة العلمه مركز سطيف ويقيم في ١١٩ س عبد العزيز خالد تليفون ١٤١ فوجدته متغيبا فتركت له رسالة بانى سأعود في اليوم التالى لأن رواية جارته أكدت لى انه سيعود في المساء . ورجعت اليه في اليوم التالى الذى حددته له فاپلغتنى خادمته العجوز بأنه لم يحضر بعد وتركت معها رسالة ثانية له بمهمتى . معرفا بنفسى ، وتركت عنوانى فلم يرد ، وأخيرا اتصلت به هاتفيا من قسنطينة بعدها بحوالى شــهر ، فأجابنى بأنه لا يحب التاريخ ، ولا يرغب في الحديث مع أساتذته وألقى بســماعة الهاتف في وجهى بشده . ويبدو أن الدكتور دباغين كان يخشى ــ لو تم اللقاء معــه ــ من تطرق الحديث الى ذكرياته كوزيرا للخارجية في حكومة فرحات عباس ، وتمارضه عن حضور الكثير من اجتماعاتها ووصلت تلك العلاقة ــ بعد حادث مصرع عميره في القاهرة ــ الى اتهام دباغين فرحات عباس بقتل عميره ، وعبر عن احتجاجه بتقديم استقالته .

(٢٥) Gillespie : op. cit., p. 147.
(٢٦) Gillespie, op. cit., p. 160.

(٢٧) تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الثلاثين ، أكتوبر ١٩٥٨ ، ص ١٩٤ .

(٢٨) انظر ملحق رقم ٤ .
(٢٩) أحمد توفيق المدنى : من سجل الجهاد الجزائرى في الخارج .
(٣٠) مقال بمجلة الاصالة الجزائرية ، العدد ٢٢ ، السنة الثالثة ، ١٩٧٤ .
(٣١) نفس المرجع ص ٣٠ .
(٣٢) نفس المرجع السابق ص ٣١ .
(٣٣) انظر ص ١٩٧ .
(٣٤) محمد البجاوى : حقائق عن الثورة الجزائرية ص ٢٧٠ .
(٣٥) انظر ملحق رقم ٤ .
(٣٦) مجلة الاصالة الجزائرية ، العدد ٢٢ ، السنة الثالثة ، ١٩٧٤ ص ٣٦ .
(٣٧) المرجع السابق ص ٢٧ .
(٣٨) نفس المرجع السابق ص ٢٧ .
(٣٩) محمد البجاوى : المرجع السابق ص ص ١٦٦ ــ ١٦٩ .
(٤٠) جاء في نداء الوفد السعودى في مجلس الأمن :
« أن حكومة وشعب البلاد العربية السعودية ينظرون الى الحالة الحاضرة في الجزائر بشعور الفزع لكبير والاهتمام العميق كما انه في اعتقادنا بأن هذه الحالة لن تخفق في اثارة فزع العالمين العربى والاسلامى ، ونحن نذكر بفزع واشمئزاز مذابح عام ١٩٤٥ عندما قامت القوات وقاذفات القنابل الفرنسية بقذف القرى في اقليم الجزائر ، وذبحت بذلك أكثر من أربعين ألفا من الرجال والنساء والأطفال بدون سبب أو مبرر .

أن رأى حكومتى ان الحالة في الجزائر هى حالة قد تؤدى الى احتكاك دولى وبذلك فانها تهدد حالة الأمن والسلام الدولى ، أن حكومتى وشعب بلادى كانا يرقبان منذ مدة

طويلة بجزع عميق محاولة فرنسا لمحو المميزات الوطنية والثقافية والدينية للجزائر ، وأن الحكومة الفرنسية تسعى جاهدة فى اتباع هذه السياسة الكريهة فى محق بلد عربى اسلامى تحت ستار حالة هى التى فرضتها على ذلك البلد الا أن هذه الحالة المصطنعة لا تبرر قيام العمليات العسكرية القاسية المدبرة فى هذا الوقت بالقضاء على النهضـــة الوطنية ضـد الاستعمار الفرنسى الذى يتحكم فى الجزائر) .

انظر ملحق رقم ٣٣ .

(٤١) المدني : المرجع السابق ص ٣١ .

(٤٢) نفس المرجع السابق ص ٣٤ .

(٤٣) انظر ملحق رقم ٦ .

محمد البجاوى (دكتور) : الثورة الجزائرية والقانون ص ٢١٠ .

الفصل السادس عشر

(١) عقد بين الرؤساء : عبد الناصر ، وتيتو ، ونهرو في شهر يوليو سنة ١٩٥٦ .

(٢) Gillespie J. : Algeria rebellion and revolutions, p .143.

(٣) انظر ملحق رقم ٦ .

(٤) انظر ملحق رقم ٣٤ .

(٥) Gillespie, J. : op. cit., p. 163.

(٦) Mandouze, A. : La Revolution Algerienne Par Les textes, p. 23.

(٧) ليجوم ، كولين : الجامعة الافريقية ص ٢١٧ .

(٨) نفس المرجع ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .

(٩) El. Moudjahid , No 22. 1958.

(١٠) Op. cit., No 23, 1958.

(١١) El-Moudjahid No. 23, 1958.

(١٢) Gillespie, J. : op. cit., p. 163.

(١٣) Gillespie, Ibid.

(١٤) El Moudjahid : op. cit.

(١٥) Mandouze, A. : op. cit., p. 23.

(١٦) Gillespie, J. : op. cit. ,p. 163.

(١٧) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ٢١ ١٠ .

(١٨) لم يلبث ديجول ان أخرج سالان احد زعماء الانقلاب ، وبعض الضباط الذين اشتركوا فى الانقلاب من الجيش ومنع جميع العسكريين من الاشتراك فى لجان الأمن العام.

صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ص ٤٥٢ .

(١٩) تقرير الأمين العام للجامعة العمومية ، الدورة الحادية والثلاثين ، اكتوبر ١٩٥٨. ص ٤٧ .

(٢٠) من بين ٩٠٠٩ر٣٣٥ر٤ من الناخبين المقيدين ، أدلى ٠٦٠ر٤٤٥ر٣ بأصواتهم كان منهم ٠٨٨ر٣١٦ر٣ صوتا صحيحا ، قال ٩٠٨ر٢٩٩ر٣ منهم « نعم » ، ١١٥ر٧٩١ « لا » ومن رقم المقيدين الذين يشمل دون تمسك المستوطنين والجند الفرنسي الذين لهم حق التصويت ، ويبدو ان كثيرا من الجزائريين لم يقيدوا اسماءهم رغم زيارات الجند الفرنسي للقرى الجزائرى للحصول على أسماء الناخبين ، ولا يشـــمل غير المقيدين من المسلمين الجزائريين ومقاتلى الجبهة فحسب ، بل يمتد أيضا الى المسلمين الذين يعارضون بشده الحكم الفرنسى .

أذكر اسم المرجع كما كتبته لك Gillespie, J. : op. cit., p. 166.

(٢١) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ص ٤٥٢ .

(٢٢) Gillespie. : Ibid, p 166.

(٢٢) قسمت جبهة التحرير الوطنى الجزائرى فرنسا ـ التى كان يقيم بها وقت الثورة خمسمائة ألف جزائرى ـ الى مناطق طبقا لسياسة الجبهة التى ترمى الى اقامة خلايا حيثما يقيم مواطنون الجزائريون وفى منتصف سنة ١٩٥٧ شكلت الجبهة مجلس قيادة لخلاياها فى فرنسا استندت رئاسته الى مسئول مغربى هو عمر بوداود الذى استمر رئيسا له حتى الاستقلال وكان يساعده لفرق الهجوم سعيد بوعزيز ، ولشئون الاعلام على هارون ، ولشئون التنظيم على عدنانى (بدرو) ، وللشئون المالية عبد الكريم سنويسى . محمد البجاوى : المرجع السابق ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٢٣) جلال يحيى (دكتور) : المرجع السابق ص ١٢٢١ .

(٢٤) Mandouze, A. : op. cit., p. 23.

(٢٥) محمد البجاوى : المرجع السابق ص ١٩٠ ـ ١٩١

(٢٦) صلاح العقاد (دكتور) : المرجع السابق ص ٤٣٦ .

(٢٧) محمد البجاوى : نفس المرجع السابق .

(٢٨) El-Moudjahid, Vol. 2, p. 6-7.

(٢٩) Gillespie, J. : op. cit., p. 167.

(٣٠) El-Moudjahid, No. 30, 1958

(٣١) Ibid.

(٣٢) Mondouze ,A : op. cit., p. 23.

الفصل السابع عشر

(١) نداء الى الشعب الجزائرى .

(٢) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ص ١٢٤٤ .

(٣) Gillespie, J. : Algeria rebellion and Revolution, p. 143.

(٤) Gillespie, J. : Ibid, p. 143.

(٥) Ibid, p. 143.

(٦) op. cit., p. 155-156.

(٧) نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر ١٩٥٤ .

(٨) نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ أول نوفمبر ١٩٥٤ .

(٩) Gillespie, J. : op. cit., p. 157-158.

(١٠) Ibid, p. 163.

(١١) أعلن الجنرال ديجول فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٨ • « أنه اذا كانت الوفود على استعداد لانهاء النزاع مع السلطة فعليهم التوجه الى السفارة الفرنسية فى تونس أو الرباط حيث ضمن ديجول سلامة دخولهم الى فرنسا ، كما ضمن سلامتهم الشخصية لدى مغادرتهم البلاد ، اما بالنسبة للقادة العسكريين للثورة فان عليهم استعمال العلم الأبيض ، أما المستقبل السياسى للجزائر فقد قرره استفتاء ٢٨ سبتمبر »•

(١٢) « أعرف ديجول » وأعرف أنه وطنى عظيم •• ورجل ذو ارادة طيبة ـ هو وعد باستقلال كل الأفريقيين لأى سبب يعامل الجزائريين بسوء ؟ لسنا اعداء لفرنسا ، ونأمل العكس التفاوض مع فرنسا على أساس علاقات جديدة حينما نحصل على الاستقلال وأن وزراء الجزائر لا يمكن أن يذهبوا الى فرنسا وحبل المشنقة حول رقابهم »

Richard and Joan Brace : Ordeal in Algeria, p. 288-289.

(١٣) أعد برنامج يقوم على عزل جيش التحرير الجزائرى عن الشعب الجزائرى بحشد الأهالى فى مراكز التجميع وفصلهم عن جيش التحرير ، واقامة الحواجز المكهربة على حدود الجزائر ، وتحطيم تنظيم جيش التحرير العسكرى والسياسى •

بيان الأمين العام المساعد لوزارة الشئون الخارجية الجزائرية فى المؤتمر الذى عقد فى القاهرة فى ١٣/١٢/١٩٦٠ •

(١٤) السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية ص ٢٣ •

(١٥) خير ديجول الناخبون الجزائريون بين ثلاثة أمور : الحكم الذاتى الداخلى حتى يمكن أن يبدأ عهد اخاء جديد يسمح لفرنسا بتنمية البلاد التى خربتها الحرب ، أو الاندماج مع فرنسا وأشار ديجول ان ذلك يصعب تنفيذه ، أما الأمر الثالث فقد عرض ديجول على الجزائريين الاستقلال التام ولكنه قرن ذلك الأمر بابقاء فرنسا اشرافها على مناطق الصحراء •

(١٦) Hahn, Lorna : Algeria rebelilon and revolution, p. 182.
Gillespie, J. : op. cit., p. 171-172

(١٧) حمدى حافظ وآخر / نفس المرجع ص ٢٠٢ •

(١٨) حمدى حافظ وآخر / نفس المرجع ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ •

(١٩) خطاب كريم بلقاسم نائب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الخارجية فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب ببغداد فى ٣٠ يناير ١٩٦١ •

(٢٠)

(٢١) محمود مرتضى : الجزائر المنتصرة ص ٦٧

(٢٢) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ص ٤٥٨

(٢٣) الجزائر منشورات المحافظة السياسية للجيش الوطنى الشعبى ص ٣٢ :

(٢٤) جاء فى نداء أوربيو الجزائر « أن الجزائر للجزائريين أى لجميع الجزائريين مهما كان أصلهم ان هذه الكلمة ليست وليست دعاية وانما هى تعبير عن حقيقة حية قائمة على الحياة المشتركة ، أن الجمهورية الجزائرية التى سنبنيها معا سيكون فيها مكان للجميع والعمل للجميع ولن تكون فيها حواجز عنصرية ، ولا احقاد دينية انها ستخدم كل القيم وكل المصالح المشروعة • بيانات وتصريحات الرئيس فرحات عباس (يناير ـ ابريل ١٩٦٠ ص ١٧) »•

(٢٥) صلاح العقاد (دكتور) : نفس المرجع ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ •

(٢٦) عندما تولى ديجول السلطة لم يكن لديه سياسة محدودة ، وقد تطورت آرائه ازاء ضغط الظروف من : سياسة الجزائر فرنسية على أساس استفتاء ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، الى سياسة اقامة جمهورية جزائرية تختار نوع الارتباط مع فرنسا الى قبول التفاوض مع الجبهة في ابريل ١٩٦١ مع ما سبقها من اتصالات سرية للتمهيد للمفاوضات في المرحلة الثالثة للسياسة الديجولية حيال الجزائر صلاح العقاد (دكتور) : المرجع السابق ص ص ٤٥٤ ــ ٤٥٩ .

(٢٧) طرحت الجبهة ثقة الجماهير الجزائرية بها في مناسبات عديدة ، ومن هذه المناسبات اضراب ١٩٥٧ التي دعت اليه الجبهة ، والذى أدهش الرأى العام الدولى لنجاحه وسعة نطاقه ، ومدته والوسائل الاستثنائية التي لجأت اليها السلطات الفرنسية لمحاولة احباطه ، ودعوتها لمظاهرات الشعب الجزائرى في ديسمبر ١٩٦٠ والتى حدثت فى الفترة من ١٣ ــ ١٥ ديسمبر ١٩٦٠ وتلاحقت خلال شهر ديسمبر ١٩٦٠ ، وطوال شهر يناير ١٩٦١ ، والتى رددت استقلال الجزائر المسلمة وحريتها ، وحرية بن بله .

محمد البجاوى (دكتور) : المرجع السابق ص ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٢ ــ ١١٥ .

(٢٨) بلاغ للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية صادر في تونس بتاريخ ١٩٦١/٥/٢١.

(٢٩) كشفت الجبهة في بيان لها من تونس نوايا قادة المتمردين الذين جلبوا للجزائر تيارا يرفض الحل السلمى ، واستبدال السيطرة الفرنسية بسيطرة غلاه المستعمرين التى أصبحت تهدد الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، كما أظهر البيان عزم الجبهة على الوقوف فى وجه مغامرة الجنرالات معتمدة على تأييد الشعوب الصديقة .

بيان الحكومة المؤقتة بتونس فى ٢٤ أبريل ١٩٦١ .

(٣٠) بن بله ورفاقه سجناء حادث الطائرة المغربية التى أجبرت على الهبوط فى مطار الدار البيضاء بالجزائر في ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٣١) حديث مع يزيد وزير الاستعلامات لوكالـــة يونايتدبرس انترناشيونال فى ١٩٦١/١٠/١٣ .

(٣٢) نداء الرئيس فرحات عباس الى الشعب الجزائرى بتاريخ ١٩٦١/٣/٢٤ .

(٣٣) بيان فرحات عباس بشأن الصحراء ، صدر بتونس فى ١٩٦١/٦/٣٠ .

(٣٤) نفس المرجع .

(٣٥) بيان وزارة الخارجية الصادر في تونس فى ١٩٦١/٦/٢٨ .

(٣٦) نص البلاغ المشترك الجزائرى المغربى الذى صدر بالرباط فى ١٩٦١/٧/٧

(٣٧) تصريح المتحدث الرسمي بلسان الوفد الجزائرى فى ايفيان بتاريخ ١٩٦١/٦/٦

(٣٨) تدرج يوسف بن خده فى المناصب الحزبية لحزب حركة الانتصار للحريـات الديمقراطية حتى وصل الى منصب الأمين العام للحزب ثم انفصل عنه عند تأسيس اللجنة المركزية سنة ١٩٥٣ ، وكان مسئول عسكريا فى الجزائر العاصمة فى احدى فترات الكفاح المسلح . صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ص ٤٦٦ .

(٣٩) نفس المرجع ص ١٧٥ .

(٤٠) منظمة ارهابية تهدف الى : ابقاء الجزائر مستعمرة فرنسية تحكمها الرأسمالية الفرنسية ، وتزعمها الجنرال سالان احد زعماء انقلاب ١٣ مايو ، وقد وضعت هذه المنظمة برنامجا لتشرع فورا فى تنفيذه بعد اعلان وقف اطلاق النار والاعداد لاجراء الاستفتـــاء

فهناك مثلا « العملية الزرقاء » وهي تعني الاضراب العام بعد وقف اطلاق النار ـ لشل المرافق العامة ، والعملية البيضاء ، وهي الهجوم بالقنابل . والعملية الحمراء وتعني اراقة الدماء ، وكانت المنظمة تأمل من وراء ، استفزاز الجزائريين دفعهم للقيام باعمال انتقامية ضد الأوروبيين ، وفي هذه الحالة تستطيع منظمة الجيش السرى الاستيلاء على منطقة وهران والجزائر العاصمة ، وقد تنبه الجزائريون الى خطورتها فأعدوا في مواجهتها خطة خاصة أطلق عليها « خطة بوصوف » نسبة الى وزير التسليح والمواصلات ، وتتلخص هذه الخطة في اتخاذ مجموعة من الاجراءات والتدابير لمواجهة تحركات المنظمة وقد طرحت خطة بوصوف على الجانب الفرنسي في مفاوضات ايفيان للمطالبة بوضع سلطات قوية حقيقية تحت تصرف الحكومة المؤقتة بمجرد وقف اطلاق النار .

محمود مرتضى : المرجع السابق ص ص ١٠٨ ـ ١١٢ .

(٤١) محمود مرتضى : نفس المرجع السابق ص ص ٩٣ ـ ٩٧ .

(٤٢) مهمتها : اقرار الأمن بتعاون قوات فرنسية جزائرية ، واجراء استفتاء بين الجزائريين والأوروبيين بشأن استقلال الجزائر والتعاون مع فرنسا .

محمود مرتضى : نفس المرجع السابق ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٤٣) بيان يوسف بن خده رئيس وزراء الحكومة المؤقتة الجزائرية الى الشعب الجزائريين والأوروبيين بشأن استقلال الجزائر والتعاون مع فرنسا .

(٤٣) بيان يوسف بن خده رئيس وزراء الحكومة المؤقتة الجزائرية الى الشعب الجزائرى بمناسبة توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار بين الجزائر وفرنسا .

(٤٤) وافق على اتفاقات ايفيان غالبية أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية باستثناء بومدين ، منجلي ، قائد أحمد واشترك الأخيران في المرحلة الأولى من المفاوضات ثم انسحبا منها برفضهما نصا لم يعجبهما ، وقد عبر القادة الثلاثة عن راى جيش التحرير الذى كان يرى استمرار القتال حتى ينتزع الاستقلال ، بينما أيدت جماهير الشعب التي سئمت ويلات الحرب ـ اتفاقات ايفيان .

محمد البجاوى : حقائق عن الثورة الجزائرية ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٤٥) انظر ملحق رقم ٦ .

(٤٦) Churchill, C. H. : La vie de Abd El-Kader pp. 88-166, 189, 201, 241.

(٤٧) أحمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص ٤٢٦ .

(٤٨) الدليل على ذلك تطلعات عبد الحميد بن باديس « أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقى المادى والأدبى ، وتتغير السياسة الاستعمارية وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا ، وتعتمد على فرنسا اعتماد الحر على الحر » .

مجلة الشهاب ج ٣ ، مج ١٢ يوليو ١٩٣٦ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٤٩) أنور الجندى : تراجم الاعلام المعاصرين فى العالم الاسلامى ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٥٠) تشرشل ، شارل هنرى ، حياة الامير عبد القادر ص ٤٥ .

(٥١) تركى رابح : الشيخ عبد الحميد باديس ص ١٦٧ .

(٥٢) تركى رابح (دكتور) : الشيخ الابراهيمى فى المشرق العربى .

مقال بالاصالة ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، ١٩٧٢ ص ٢٥٧ ٠

(٥٣) انظر ملحق رقم ١١ ، رأيت فى منزل نجله حسنين صور لوالده مع الدكتور طه حسين والرؤساء عبد الناصر ، والسادات ٠

(٥٤) محمد علي دبوز : نهضة الجزائر وثورتها المباركة ص ٢٨ ٠

(٥٥) صلاح العقاد (دكتور) : السياسة والمجتمع فى المغرب العربى ص ١٠ ٠

(٥٦) Gillespie, J. : Algeria rebillion and Revolution, p. 112-113.

(٥٧) 20 Anniversaire du declanchement de la revolution, p. 88.

(٥٨) انظر ملحق رقم ٦ ٠

(٥٩) يوسف يعلاوى : الجانب الروحى لثورة التحرير ٠
مقال بالاصالة ، عدد خاص بمناسبة الذكرى ٢٠ لثورة نوفمبر ٠

(٦٠) انظر ملحق رقم ٦ ٠

(٦١) Gillespie, J. : Ibid, p. 141.

(٦٢) طالب البيان : بالاعتراف بالقومية الجزائرية فى بيان يلغى آثار التبعية لفرنسا الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة ، تحقيق جو من الثقة باطلاق سراح المعتقلين السياسيين ٠ نداء الى الشعب الجزائرى بتاريخ الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ٠

(٦٣) J. Brace and Richard : Ordeal in Algeria, p. 288-289.

(٦٤) وافق على اتفاقات ايفيان غالبية أعضاء المجلس الوطنى للثورة الجزائرية باستثناء بومدين ، منجلى ، قائد أحمد ٠

محمد البجاوى : حقائق عن الثورة الجزائرية ص ١٩٨ ٠

ثبت المصـــادر والمراجـــع

أولا ـ القرآن الكريم : سورة الشورى آية ٣٧ ، سورة الرعد آية ١١١ ، سورة الأنفال ، آية ٥٩ .

ثانيا ـ وثائق خطية : (منشورة لأول مرة بالتصـــوير فى ملحق خاص بالرسالة) .

١ ـ رسالة خطية للشيخ عبد الحميـــــد بن باديس مؤرخة بتـاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٣٨ .

٢ ـ رسالة خطية من الشيخ البشير الابراهيمى الى الشـــيخ فرحات العابد أحد معلمى جمعية العلماء بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٤٧ .

٣ ـ رسالة خطية من الشيخ البشير الابراهيمى الى أحد معلمى جمعية العلماء مؤرخة بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٤٩ .

٤ ـ منشور موجه من الشيخ البشـــير الإبراهيمى الى مديرى مدارس جمعية العلماء بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٣٦٦هـ .

٥ ـ رسالة خطية من الشيخ البشير الابراهيمى الى أحد معلمى جمعية العلماء .

٦ ـ رسالة من الشيخ الابراهيمى الى الشيخ فرحات العابد مدير مدرسة غليزان أحد مدارس العـــلماء فى الغرب الجزائرى بتاريخ ١٣ ذى الحجة ١٣٦٦هـ .

١٧ ـ وصايا أملاها الشيخ العربى التبسى ـ الى رؤساء وفود الجمعيـة التى قرر المكتب الدائم ايفادهم فى جولة بربوع الجزائر ـ بجلسة ٢٥ يونيو ١٩٥٣

٨ ـ ملحق جريدة البصائر الجزائرية الخاص ببعثات العلماء الى الشرق العدد ٢٦٢ .

٩ ـ خطاب من علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي الى لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان مؤرخ في طنجة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٥١ ٠

١٠ ـ خطاب من علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي الى محمد نصر رئيس وزراء اندونيسيا مؤرخ بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥١ ٠

١١ ـ رسالة خطية من المكي الناصري رئيس حزب الوحدة المغربية الى لياقت علي خان مؤرخة في طنجة بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ ٠

١٢ ـ خطاب ترشيح رئيس مؤتمر علماء باكستان الى الفضيل الورتلاني ـ أحد العلماء كمندوبا عن المؤتمر الى العالم الاسلامي بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٥٣ ٠

١٣ ـ رسالة خطية من أبو القاسم الحسيني الكاشاني أحد زعماء الشيعه الايرانيين الى الفضيل الورتلاني مؤرخة في طهران بتاريخ ١٩٥٣/٨/٢٣ ٠

١٤ ـ وثيقة تبرئة وتأييد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مذيلة بتوقيعات ، وصفه بعض الأشخاص ذوى المكانة الاجتماعية من أنصار العلماء ٠

١٥ ـ رسالة خطية من الفضيل الورتلاني الى عبد الرحمن بك عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بتاريخ ٢٧ يوليو ١٩٤٥ ٠

١٦ ـ رسالة خطية من الشيخ البشير الابراهيمي ، الى الشيخ العربي التبسي مؤرخة في بسكره بتاريخ ٢٠ جمادى الاولى ١٣٦٩ ٠

١٧ ـ رسالة خطية من الشيخ عبد الله دراز ـ أحد شيوخ الأزهر ـ الى الشيخ الفضيل الورتلاني بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٣٩ ٠

ثالثا ـ أحاديث خاصة مع شخصيات مسئولة : (منشورة لأول مرة بالتصوير في الملحق الخاص بالرسالة ـ وأغلبها موقع عليه بتوقيع المسئول) ٠

١ ـ حديث خاص مع السيد ابراهيم مزهودي سفير الجزائر السابق بالقاهرة وعضو جمعية العلماء ، وهمزة الوصل بين جمعية العلماء وجبهة التحرير ، وعضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية بمنزله ٥١ ش محمد الخامس مدينة الجزائر يوم الجمعة ١٩٧٧/٦/٣ ٠

٢ ــ حديث خاص مع السيد أحمد حماني رئيس المجلس الاسلامى الأعلى ونائب الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سابقا بمنزله ٣ ش على بومنجل بالجزائر يوم الخميس ١٩٧٧/٦/٢٣ ٠

٣ ــ حديث خاص مع المرحوم أحمد توفيق المدنى مدير مركز الدراسات التاريخية سابقا بمدينة الجزائر بمكتبه ش عبد الرحمن الأعلى أمام وزارة الصحة الجزائرية يوم السبت ١٩٧٧/١/٢٢

٤ ــ حديث خاص مع السيد حسنين مسعود الورتلانى نجل الشيخ الفضيل بمنزله بعمارة المعلمين ــ حى سيدى مبروك بمدينة قسنطينة يوم الجمعة ١٩٧٦/١٢/٣١ ٠

٥ ــ حديث خاص مع السيدة رقية التبسى بنت الشيخ العربى التبسى ومديرة مدرسة الأربعين شريف بقسنطينة فى يناير ١٩٧٧ ٠

٦ ــ حديث خاص مع السيد طاهر الأعجل محافظ جبهة التحرير الوطنى الجزائرى بمدينة قسنطينة فى مكتبه ، وداره بقسنطينة يوم الاثنين والثلاثاء ٤ ، ٥ سنة ١٩٧٧ ٠

٧ ــ حديث خاص مع المرحوم طاهر حراث مدير ثانوية بن باديس بقسنطينة وتلميذ الشيخ بن باديس يوم الخميس ١٩٧٧/٥/١٢ ٠

٨ ــ حديث خاص مع العقيد عبيدى محمد الطاهر الشهير بالحاج الأخضر قائد الولاية الأولى ابتداء من عام ١٩٥٦ حتى نهاية حرب التحرير الجزائرية يوم الجمعة ١١ مارس سنة ١٩٧٧ ٠

٩ ــ حديث خاص مع الكولونيل عمر عمران قائد الولاية الرابعة (الجزائر) عامى ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ يوم الأحد ١٩٧٧/١/٢٣ بمدينة الجزائر ٠

١٠ ــ حديث خاص مع السيد محمد ابراهيمى الميلى مدير عام وكالة الأنباء الجزائرية ونجل الشيخ مبارك الميلى بمكتبه شارع شى جيفارا بمدينة الجزائر ، يونيو ١٩٧٧ ٠

١١ ــ حديث خاص مع الطبيب محمد دردور ١٩٧٧/٦/١٩ بعيادته ٢ شارع ابن خلدون ــ عنابة ٠

١٢ ــ حديث خاص مع المؤرخ الجزائرى الشيخ محمد على دبوز بالقرارة ــ ميزاب ولاية الأغواط ٠

١٣ ـ حديث خاص مع السيد محمد الهادى حمدادو والمستشار برئاسة الجمهورية الجزائرية بفندق المنار بسيدى عيمور احدى ضواحى مدينة الجزائر أول يونيو ١٩٧٧ ٠

١٤ ـ التقيت بالدكتور محى الدين عيمور المستشار الصحفى للرئيس هوارى بومدين بمكتبه برئاسة الجمهورية الجزائرية يوم ٣ يونيو ١٩٧٧ وقد مهد لى مقابلة مع السيد محمد الشريف مساعدية مسئول جبهة التحرير الوطنى الجزائرى لشئون التوجيه والاعلام لم تتم ٠

١٥ ـ حديث خاص مع العقيد الهاشمى هجرس عضو مجلس قيادة الثورة الجزائرية وقائد الناحية العسكرية الخامسة بمقر قيادته العسكرية بسيطح المنصورة بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء ١٩٧٧/٤/٦ ٠

رابعا ـ (بعض وثائق غير منشورة للحكومة المؤقتة الجزائرية) :

١ ـ خطاب كريم بلقاسم نائب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الخارجية فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب ببغداد فى ٣٠ يناير ١٩٦١ ٠

٢ ـ بيانات وتصريحات الرئيس فرحات عباس (يناير ـ ابريل ١٩٦٠) ٠

٣ ـ نص البلاغ المشترك الجزائرى المغربى الذى صدر بالرباط فى ١٩٦١/٧/٧ ٠

٤ ـ بيان وزارة الخارجية الجزائرية الصادر بتونس فى ١٩٦١/٦/٢٨ ٠

٥ ـ بيان فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية الصادر بتونس فى ١٩٦١/٦/٣٠ ٠

٦ ـ بيان فرحات عباس بشأن الصحراء صدر بتونس في ١٩٦١/٦/٣٠ ٠

٧ ـ بيان للحكومة المؤقتة بتونس فى ٢٤ أبريل ١٩٦١ ٠

٨ ـ نداء الرئيس فرحات عباس الى الشعب الجزائرى في ١٩٦١/٣/٢٤

٩ ـ تصريح المتحدث الرسمى بلسان الوفد الجزائرى فى ايفيان بتاريخ ١٩٦١/٦/٦ ٠

١٠ ـ بيان يوسف بن خده رئيس وزراء الحكومة المؤقتة الجزائرية الى الشعب الجزائرى بمناسبة توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار بين الجزائر وفرنسا فى مساء الثامن عشر من شهر مارس ١٩٦٢ ٠

خامسا — بعض تقارير للأمين العام لجامعة الدول العربية الى مجلس جامعة الدول العربية :

(وثائق غير منشورة وغير مصرح بالاطلاع عليها الا باذن خاص — سرى للغاية)

١ — تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الرابعة والعشرون ، الأمانة العامة ، القاهرة ، أكتوبر سنة ١٩٥٥ .

٢ — تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة الخامسة والعشرين الأمانة العامة ، القاهرة مارس ١٩٥٦

٣ — تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الدورة السابعة والعشرين ، القاهرة ، الأمانة العامة ، مارس ١٩٥٧ .

٤ — تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربيه ، الدورة الثامنة والعشرين ، القاهرة ، الأمانة العامة ، أكتوبر ١٩٥٧ .

٥ — تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربية ، الدورة التاسعة والعشرين ، القاهرة ، الأمانة العامة ، مارس ١٩٥٨ .

٦ — تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربية الدورة الثانية والثلاثين بمدينة الدار البيضاء ، سبتمبر ١٩٥٩

٧ — تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربية ، الدورة الثالثة والثلاثين ، الأمانة العامة ، ٣٠ مارس ، ١٩٦٠

٨ — تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربية ، الدورة الرابعة والثلاثين بمدينة بيروت ، الأمانة العامة ، ٢٥ أغسطس سنة ١٩٦٠

٩ — تقرير الأمين العام الى مجلس الجامعة العربية الدورة الخامسة والثلاثين الأمانة العامة ، القاهرة ، ٢١ مارس ١٩٦١ .

١٠— تقرير الأمين العام الى مجلس الجامعة العربية ، الدورة السادسة والثلاثين ، القاهرة ، الأمانة العامة ، سبتمبر ١٩٦١

١١— تقرير الأمين العام الى مجلس الجامعة العربيـــة ، الدورة السابعة والثلاثين ، الرياض ، الأمانة العامة ، ٣١ مارس سنة ١٩٦٢ .

سادسا — المصادر العربية :

١ — ابراهيم أحمد العدوى (دكتور) : بلاد الجزائر تكوينها الاسلامى والعربى ، القاهرة ، الانجلو ، ١٩٧٠

٢ ـ أبو القاسم سعد الله (دكتور) : تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٧٠ ٠

٣ ـ أبو القاسم سعد الله (دكتور) : الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٠٠ ـ ١٩٣٠ ، بيروت ، الآداب ، ١٩٥٩ ٠

٤ ـ أحمد البديوى : الأمير عبد القادر ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، معهد الدراسات الافريقية) ١٩٦٤ ٠

٥ ـ أحمد توفيق المدنى حياة كفاح (مذكرات) ، القسم الثانى فى الجزائر ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ٠ ت ٠

٦ ـ أحمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر ، البليدة ، ط ٢ ، دار الكتاب ١٩٦٣ ٠

٧ ـ أحمد توفيق المدنى : هذه هى الجزائر ٠ القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥٦ ٠

٨ ـ العيد مسعود سعيد : المجتمع الجزائرى فى العهد العثمانى (رسالة ماجستير غير منشورة) القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٧٥ ٠

٩ ـ أنور الجندى : تراجم الاعلام المعاصرين فى العالم الاسلامى ، القاهرة ، الانجلو ١٩٧٠

١٠ ـ أنور الرفاعى : فتح الجزائر وجهاد الأمير عبد القادر ، دمشق ، الترقى ، د ٠ ت

١١ ـ تركى رابح (دكتور) : التعليم القومى والشخصية الوطنية (١٩٣١ ـ ١٩٥٦) ، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥

١٢ ـ تركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم (١٩٠٠ ـ ١٩٤٠) الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٦٥

١٣ ـ جلال يحيى (دكتور) : السياسة الفرنسية فى الجزائر من ١٨٣٠ ـ ١٩٥٩ ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ ٠

١٤ ـ جلال يحيى (دكتور) : العالم العربى الحديث ، جـ ١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٤

١٥ ـ جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ، الفترة المعاصرة وحركات الاستقلال ، القاهرة ، حـ ٣ ، القومية ، ١٩٦٦ ٠

١٦ ـ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الجزائر ، المجلس الادارى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ١٣٥٤هـ ٠

١٧ ـ سعد زغلول فؤاد : الجزائر فى معركة التحرير ٠ تونس ، دار الكتب الشرقية ، ١٩٥٧ ٠

١٨ ـ سعد زغلول فؤاد : عشت مع ثوار الجزائر ٠ بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٦ ٠

١٩ ـ شارل هنرى تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة أبو القاسم سعد الله (دكتور) ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧١ ٠

٢٠ ـ صلاح العقاد (دكتور) : تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر من ١٨٣٠ ـ ١٩٥٩ ٠ القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ ٠

٢١ ـ صلاح العقاد (دكتور) : السياسة والمجتمع فى المغرب العربى ٠ القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧١ ٠

٢٢ ـ صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ، دراسة فى تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة ، ط ٢ ، مزيدة ومنقحة ، الانجلو ، ١٩٦٦ ٠

٢٣ ـ على الشلقانى : ثورة الجزائر ٠ القاهرة ، دار النديم ، ١٩٥٦ ٠

٢٤ ـ علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى ٠ القاهرة لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال ، ١٩٤٨ ٠

٢٥ ـ فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها ، جـ ١ ليل الاستعمار ، ترجمة أبو بكر رحال ٠ فضالة المحمدية ، د٠ت ٠

٢٦ ـ كولين ليجوم : الجامعة الافريقية ، دليل سياسى موجز ، مراجعة عبد الملك عودة (دكتور) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦١ ٠ (سلسلة دراسات افريقية) ٠

٢٧ ـ ملفات ٢٤ وثائقية ، نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطنى (١٩٥٤ ـ ١٩٦٢) ، الجزائر ، وزارة الاعلام والثقافة الجزائرية ، ١٩٧٦ ٠

٢٨ ــ محمد البجاوى (دكتور) : الثورة الجزائرية والقانون • ترجمة على الخش ، دمشق . اليقظة العربية ، ١٩٥٦ •

٢٩ ــ محمد البجاوى : حقائق عن الثورة الجزائرية • بيروت ، دار الفكر الحديث ، ١٩٧١ •

٣٠ ــ محمد البشير الابراهيمى : عيون البصائر ٢ ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٠ •

٣١ ــ محمد الطاهر فضلاء : قال الشيخ الرئيس ، الامام عبد الحميد بن باديس ، قسنطينة مطبعة البعث ، ١٩٦٨ •

(سلسلة أعلام الجزائر)

٣٢ ــ محمد على دبوز : نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، ج ٣ ، الجزائر المطبعة العربية ، ١٩٧١ •

٣٣ ــ محمد الميلى : ابن باديس وعروبة الجزائر • الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٣ •

٣٤ ــ محمود عبد المنعم مرتضى : الجزائر المنتصرة • القاهرة ، الدار القومية ، د • ت • (كتب قومية العدد ١٧١)

٣٥ ــ محمود قاسم (دكتور) : الامام عبد الحميد بن باديس ، الزعيم الروحى لحرب التحرير • الجزائر • القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ •

سابعا ــ دوريات باللغة العربية :

(أ)

١ ــ أحمد ذياب : نضال الابراهيمى ، مقال بمجلة الثقافة الجزائرية ، العدد ٣٣ يونيو ــ يوليو ١٩٧٦ •

٢ ــ تركى رابح (دكتور) : البشير الابراهيمى فى المشرق العربى مقال بمجلة الأصالة الجزائرية ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، ١٩٧٢ •

٣ ــ عبد الحميد مهرى : أحداث مهدت لفاتح نوفمبر ١٩٥٤ ، مقال بالأصالة ، العدد ٢٢ ، أكتوبر ــ ديسمبر سنة ١٩٧٤ •

٤ ــ محمد البشير الابراهيمى : جمعية العلماء ، أعمالها ، مواقفها ، مقال بالبصائر ، العدد ٢ ، السنة الأولى من السلسلة الثانية ، ١٤ رمضان ١٣٦٦هـ ، أول اغسطس ١٩٤٧ •

٥ ـ محمد البشير الابراهيمي : الفرنسيون يحاربون العروبة في الجزائر ، مقال بمجلة الهلال ، القاهرة ، ج ١ ، مج ٦٥ ، يناير ١٩٥٧ .

٦ ـ محمد البشير الابراهيمي : أنا مقال بمجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ، ج ٢١ ، ١٩٦٦ .

(دورية رقم ٢٣٢١٢) .

٧ ـ محمد مهدي علام (دكتور) المجمعيون أو مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٨ ـ يوسف يعلاوي : الجانب الروحي لثورة التحرير ، الأصالة ، عدد خاص بمناسبة الذكرى ٢٠ لثورة الفاتح من نوفمبر .

٩ ـ مجلة المعرفة : مجلة شهرية للدراسات الاسلامية والثقافة العامة ، الجزائر ، السنة الأولى ، العدد ١٠ ، ذي الحجة ١٣٨٣ ، ابريل ١٩٦٤ .

١٠ ـ المجاهد : نشرة بلسان حال جبهة التحرير الوطني الجزائري ، طبعة المقاومة الجزائرية ، د.ت

١١ ـ مجلة المجاهد الجزائرية ، العدد ٧٤٢ نوفمبر ، ١٩٧٤ .

١٢ ـ مجلة روز اليوسف ، القاهرة العدد ٢٥٥٠ ، السنة الثانية والخمسون ، ابريل ، ١٩٧٧ .

(ب) أعداد من مجلة الشهاب الجزائرية :

١ ـ ج ١ ، مج ١٤ ، مارس ، ١٩٢٨

٢ ـ ج ٤ ، مج ١٣ ، يونيو ، ١٩٢٨ .

٣ ـ ج ٢ ، مج ٧ ، مارس ، ١٩٣١ .

٤ ـ ج ١ ، مج ١١ ، فبراير ، ١٩٣٦ .

٥ ـ ج ٣ ، مج ١٢ ، يونيو ، ١٩٣٦ .

٦ ـ ج ٨ ، مج ١٣ ، أكتوبر ، ١٩٣٧ .

ثامنا ـ المراجع الأجنبية :

1. AGERON, Charles Robert :

Les Algeriens Musulmans et La France (1871-1919). Paris, press Universitaires de France, 1968.

2. AGERON, Charles Robert.

L'émigration des Musulmans Algeriens lt L'exode de Telcmeen (1830-1922). Annales, Economies, Societés, Civilisation, XXII (July-December, 1967) 1047-1066.

3. Ahmed Bencherif :

L'Aurore de Mechats quelques episodes de la guerre de 'Algérie. Alger, Société Nationale, 1969.

4. Aron, Raymond :

Les Origines de la guerre d'Algérie. Paris, Fayard 1962.

5. Azan, Paul :

L'Emir Abd El-Kader 1808-1883, du Fanatisme Musulman au patristisme Français. Paris, Hachette, N.d.

6. BARBOUR, Nevil :

A survey Of Northwest Africa. New York, Oxford, University Press, 1962.

7. BLET, Henri :

Histoire de la Colonisation française, Les étapes d'une renaissance Coloniale, 1789-1870. Paris, B. Arthaud, 1947.

8. BRACE RICHARD and JOAN :

Ordeal in Algeria. New York, N. van, Dvan, Nastrand Comp, 1960.

9. CHALIAND, Gérard :

L'Algerie est-elle Socialiste ? Paris, François Maspero, 1964.

10. CHIRCHIL, Charles Henri :

La Vie de Abd El-Kader Traduction par Michel Habart. Alger, 1971.

11. DUBRETON, J. Lucas

Bugeaud, Le Soldat le deputé le Colonisateur. Paris, Albin Michel, 1931.

12. GAFFAREI, Paul :

L'Algérie, histoirl, Conquête et Colonisation, Paris Libraire de Firmindidat, 1883.

13. Gillespie, Joan.

Algeria rebellion and revolution. London, Ernest Benn. 1960.

14. JEANSON, Colette et Françis :

L'Algérie, hors la loi. Paris, edition du seuil, 1955.

15. JULIEN, Charles-André :

L'Afrique du nord en Marche, Nationalismes, Musulmans et Souveraineté Française. Paris, Ren, 1950.

16. KENETH, Fieldhouse David :

The Colonial Empires, A comparative survey From the Eighteenth Century. London, Weider Feld and Nicolson, 1966.

17. LANESSAN, Jeanmarie Antoine (ed.) :

L'expansion Coloniale de la France. Paris, ancienne Librairie Germen Bailliere et Gie, 1886.

18. MANDOUZE, Andre :

La Revolution algérienne Par Les textes. Paris, Français Maspero, 1962.

19. MANSELL, Gerard :

Tragedy in Algeria. London, Oxford University Press, 1961.

20. MATTHEWS, Tanya :

War in Algeria, background for crisis. London, Fordham University Press, 1961.

21. El-MOUDJAHID, La RENAISSANCE DE L'ETAT ALGERIEN ET LES DEVELOPPEMENTS DE LA GUERRE DE LA LIBERATION, Vol. 2, Zavod, Beogradski, 1962.

22. O'BALLANCE, Edgar :

The Algerian Insurrection, 1954-62. London, Faber, 1967.

23. PLANTENT, Eugéne :

Correspondance des deys d'Alger ravec la cour de France 1579-1833. Tome II, Paris, Felixalcan, 1889.

24. RAGER, Jean-Jacques :

Les Musulmans Algérien en France et dans le pays Islamiques. Paris, Les Belles Letters, 1950.

25. RAYNAL, Paul :

L'expedition d'Alger 1830. Paris, Societe d'edition geographiques, Maritimes et Coloniales, 1930.

26. ROGERT, Stephen H.

History of French Colonial Policy 1870-1925 Vol. 2, London, P.S. uing, 1929.

27. 20, ANNIVERSAIRE DU DECLENCHEMENT DE LA REVOLUTION DE AL'ANP. Alger 1974.

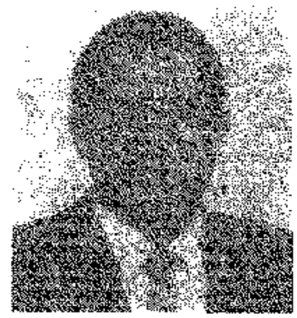
Circulaires

1. Grand la Rousse Encyclopédique, en dix volumes. Paris, Librairie La Rouse, 1968.

فهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٠/٥٦٢٠

ISBN — 977 — 01 — 2505 — 9



يعالج هذا الكتاب الفكرة العربية الإسلامية الموجودة في الجزائر منذ القرن الأول الهجري وقد قاومت هذه الفكرة كل المحاولات الفرنسية الهادفة لهدم مقومات الشخصية الجزائرية الممثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي وتاريخ وجغرافيا الجزائر . ورغم ذلك بقيت مقومات الشخصية الجزائرية حية بين علماء الدين المسلمين وحين أرادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثلاثينيات إحياء الثقافة العربية الإسلامية عارضتها بشدة الإدارة الفرنسية ـ تحت ستار الادماج والمشاركة ـ نتيجة تمسك العلماء المسلمين الجزائريين بمقومات شخصيتهم ، مما ساعد على توحيد صفوف الشعب الجزائري من عرب وبربر ، والذي اتخذ طابع الجهاد الإسلامي المناهض للنظام الاستعماري الفرنسي حتى حصلت الجزائر على استقلالها في الخامس من يوليو سنة ١٩٦٢ .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب